



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الحدود الشمالية
كلية التربية والآداب في عرعر
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا
مسار اللغة والنحو

الحجاج في كتاب الخصائص لابن جني

دراسة وصفية تحليلية

بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على الماجستير

إعداد الطالبة:

انتصار بنت عبدالرحمن بن علي الفريح

الرقم الجامعي:

٢٠١٤٠٨٦٤٥

إشراف:

أ.د. محمد حدّوش

أستاذ اللسانيات في قسم اللغة العربية في جامعة الحدود الشمالية

العام الجامعي

١٤٣٨هـ / ١٤٣٩هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث

يدرس هذا البحث الحجاج في كتاب الخصائص لابن جني، وتقوم هذه الدراسة على أبرز المنطلقات النظرية لنظرية الحجاج البلاغي، ونظرية الحجاج اللغوي، ويحاول هذا البحث استثمار النظرية الحجاجية وتوسيع مجال تطبيقها في دراسة نصوص تحمل هوية معرفية مختلفة عما درج عليه الباحثون في الحجاج، والتي تمثلها أبواب الخصائص التي كُتبت بلغة علمية محايدة في كثير من المرات.

كما ترمي هذه الدراسة إلى دراسة مكونات جهاز الإنجاز الحجاجي في كتاب الخصائص، والكشف عن مدى وفائها بمتطلبات الحجاج، ودراسة: طرق الاستدلال، وطرق نقض الحجاج، والمغالطات الحجاجية، ثم الخروج منها إلى شكل الحجاج في هذا الكتاب الذي تبين في كثير من التجليات أنه يميل إلى الحجاج الجدلي الذي يرتبط بخلفية ابن جني الثقافية والعقدية، كما أن عددا من المظاهر الحجاجية التي حضرت في استدلالات ابن جني كانت على قدر من الكثافة التي أدت في كثير من الأحيان إلى التأثير في الفاعل الهدف، وقد يتجاوز الأمر أحيانا التأثير إلى درجة إلزام ذلك الفاعل بنتائج ابن جني، ومحاولة تقليص حججه المعارضة من خلال قلة حضور الموجهات الحجاجية فيها.

Abstract

This research is study in the language's book for Ibn Jains, and the study is based on the most prominent theoretical principles in rhetorical arguments, and the theory of linguistic arguments, This research attempts to exploit the argumentative theory and expand the scope of its application in the study of texts with a different cognitive identity than what the researchers used in the arguments, which represented by chapters or units of properties written in neutral scientific language many times.

The aim of this study is to study the components of the achievement device in the characteristics book, and the range to which they meet the requirements of the arguments, and study: Methods of inference, ways to Criticize Arguments, and ambiguities, and then out of it into the form of arguments in this book, which has been shown in many manifestations that it tends to dialectic pilgrims, which is linked to the background of Ibn Jaini cultural and doctrinal, Also, a number of the quasi-metaphysical manifestations that were present in Ibn Jaini's deductions were of a degree of intensity which often led to an influence on the target, Sometimes it may even go so far as to force that effect on Ibn Jaini's results, and it's a try to quantify the opposition through the lack of presence of the argumentative arguments in it.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فلقد زحرت الدراسات اللغوية القديمة بأساليب لغوية وأدبية متنوعة، وكتبت بلغة واصفة تحمل المُتلقي على تحليلها وإعادة النظر في بنياتها التعبيرية وفق مناهج ونظريات حديثة؛ وتأسيسًا على ذلك وقع اختياري على كتاب الخصائص لابن جني بوصفه مصدرًا مشبعًا بقوة حجاجية جلية، حيث تتبعت من خلاله مظاهر النظرية الحجاجية فكانت الرسالة العلمية: "الحجاج في كتاب الخصائص لابن جني: دراسة وصفية تحليلية".

ومن باب التعالق بين اللغة والفكر كان من الضروري البحث في لغة تلك المؤلفات؛ لأنها تعبر عن الثقافة التي كتبت بها، كما أن البحث في اللغة الواصفة للمؤلفات اللغوية قد يكشف لنا طرق المؤلفين اللغويين في حمل المخاطب على التسليم برأيهم، ويكشف أيضًا المغالطات التي وقعت أثناء معالجتهم لبعض القضايا، كما أن الدراسات الحجاجية اللغوية في المكتبة العربية مازالت في طور النشأة، وتحتاج إلى مزيد من العناية، فكان من الضروري إكمال سير الباحثين في هذا المجال.

يدرس هذا البحث الخطاب الحجاجي في كتاب الخصائص لابن جني دراسة تتخذ المنهج الوصفي التحليلي إطارًا لها وفق متطلبات النظرية الحجاجية؛ لأن الجهاز الحجاجي بمشمولاته المتعددة موضوع يستلزم الوصف والتحليل بما فيه من: مواضع حجاجية، وطرق للحجاج، وطرق لنقض الحجاج، ومغالطات منطقية، وإستراتيجيات حجاجية، وآليات حجاجية.

أما الإطار النظري فقد كان منطويًا على عدة اتجاهات حجاجية كان لا بد من العودة لها؛ لإضفاء نوع من التكامل بين أجزاء البحث في دراسة هذه المدونة اللغوية، ولعدم وفاء نظرية حجاجية واحدة بمتطلبات الدراسة، وأبرز هذه الاتجاهات:

- النظرية الحجاجية التي أرساها شاييم بيرلمان مع البركت تيتيكاه.
- النظرية الحجاجية اللسانية التي أسسها ديكرو مع زميله أنسكومير.
- بعض المنطلقات النظرية التي ارتضاها فرانز فان إيمرن وروب غروتندورست في مقاربتهما التداولية الجدلية.
- بعض المنطلقات النظرية التي أسس لها باتريك شارودو عند مقارنته للحجاج بوصفه نظرية وأسلوبًا.
- وقد وقع اختياري في هذا البحث على كتاب الخصائص لابن جني لدراسته دراسة حجاجية للأسباب التالية:
- كثافة الموجهات الحجاجية التي يمكن إدراكها للوهلة الأولى في لغة ابن جني في هذا الكتاب.
- الطريقة الحوارية التي غلبت على كتاب الخصائص والتي تتطلب وجود عنصرين متحاورين مُتخلفين غالبًا.
- الطبيعية الموسوعية التي بُني عليها هذا الكتاب، فهو كتاب في اللغة، والنحو، والصرف، وعلم الأصوات، وأصول النحو، حيث تتميز هذه العلوم بسمت حجاجي واضح؛ إذ يحتاج الكاتب فيها لأساليب حجاجية مختلفة تحمل المتلقي على التسليم.
- إن كتاب ابن جني الخصائص كتاب في أصول النحو، وسيتضمن بالتالي بعض الموضوعات العامة التي اتفق عليها علماء اللغة والتي يحتكمون إليها عند أي اختلاف في مسائل اللغة، وتُكوّن مواضع حجاجية في كثير من الأحيان.
- المذهب البغدادي الذي ينتمي له ابن جني حسب أصح الآراء، والذي يقوم على الانتقاء بين آراء المذهبين البصري والكوفي، فتكونت بالتالي عند ابن جني قدرة عالية على انتقاء الآراء ثم الدفاع عنها.

- المذهب المعتزليّ الذي نُسب إليه ابن جني الذي يتأسس على التحاور مع الآخر ومحاولة فرض الرأي.

أما الفرضية البحثية فتقوم على تقدير وجود نوع من الإلزام في نتائج حجاج ابن جني مُوجه للفاعل الهدف؛ نظرًا لبعض الظروف الحياتية والمعرفية التي أحاطت تكوين ابن جني، وهذا الإلزام يتعلق بنوع خاص من الحجاج هو الحجاج الجدلي.

وللتحقق من مدى صحة هذه الفرضية؛ يحاول هذا البحث الإجابة عن

تساؤلات متعددة أبرزها:

- هل ساعدت الأحوال المعرفية التي سيّجت القرن الرابع الهجري وظروف نشأة

ابن جني على ظهور السمة الحجاجية في كتاب الخصائص؟

- هل كانت لغة ابن جني في كتاب الخصائص تميل إلى فرض الرأي أو إلى

مخاطبة عاطفة الجمهور؟

- هل كان ابن جني واعيًا بإستراتيجيات الحجاج، وهل ضمّن كتابه سردًا نظريًا

يؤسس لها؟

- هل وقع ابن جني في مغالطات حجاجية أثناء مناقشته لبعض القضايا؟

- هل كان ابن جني يروم الإقناع أو الاقتناع من خلال حجاجه؟

- ما شكل الحجاج في كتاب الخصائص؟

- هل يميل ابن جني إلى إعلان موقفه في الحجاج أو السكوت عنه؟

- هل كانت الآليات الحجاجية حاضرة في حجج ابن جني وحجج خصمه

الافتراضي على حد سواء؟

و يتوخى هذا البحث تحقيق مجموعة من الأهداف، منها:

- بيان علاقة الخلفية الثقافية لابن جني بلغته الواصفة وطريقه حجاجه.
- توضيح أثر الطريقة الحوارية التي درجت في كثير من أبواب الخصائص في حجاج ابن جني.
- التحري عن شكل الحجاج في كتاب الخصائص.
- رصد أبرز طرق الاستدلال وطرق نقض الحجاج في كتاب الخصائص.
- الكشف عن الأساليب والإستراتيجيات الحجاجية في كتاب الخصائص.
- رصد أبرز المغالطات الحجاجية التي وقع فيها ابن جني أثناء مناقشته لبعض القضايا اللغوية.
- محاولة توسيع مجال تطبيق النظرية الحجاجية، وذلك باستثمارها في معالجة نصوص ذات هوية معرفية مختلفة عما درج عليه الباحثون في الحجاج.
- دراسة مكونات جهاز الإنجاز الحجاجي في كتاب الخصائص، والكشف عن مدى وفائها بمتطلبات الحجاج.
- البحث في الآليات الحجاجية المختلفة في لغة ابن جني، وبيان دورها الحجاجي في النص.

ولتحقيق هذه الأهداف، رأيت أن أقسم بحثي على النحو التالي :

يبدأ البحث بمقدمة ومدخل، يتلوها ثلاثة فصول، وينتهي بخاتمة وفهارس، أما المقدمة فتتضمن عرضاً لأسباب اختيار الموضوع، ومنهجيته، والدراسات السابقة حوله، وأما المدخل فيتضمن تحرير مصطلح الحجاج، والنظر في هويته العلمية، والبحث في أبرز نظرياته.

وأما الفصول، فقد جاءت وفق الرسم التالي:

الفصل الأول: (ابن جني وكتابه الخصائص)، وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: السياق الفكري في القرن الرابع الهجري.
- المبحث الثاني: خلفية الحجاج عند ابن جني.
- المبحث الثالث: الضوابط المنهجية العامة عند ابن جني.

الفصل الثاني: (أسس الخطاب الحجاجي في كتاب الخصائص)، وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الأصول النحوية عند ابن جني.
- المبحث الثاني: طرق الاستدلال ونقض الحجاج في الخصائص.
- المبحث الثالث: المغالطات الحجاجية في الخصائص.

الفصل الثالث: (فحص الحجاج في كتاب الخصائص)، وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: العلاقة الحجاجية في كتاب الخصائص.
- المبحث الثاني: الجهاز الحجاجي في الخصائص.
- المبحث الثالث: بعض الآليات الحجاجية في الخصائص.

لقد تعددت الدراسات حول كتاب الخصائص لابن جني^١، فتمت مناقشة كتابه من جهة بلاغية حيناً، ومن جهة نحوية حيناً آخر، لكنني لم أعتز على دراسة حجاجية واحدة اتخذت هذه المدونة إطاراً لها.

^١ مثل: دراسة: فاضل السامرائي، ابن جني النحوي، بغداد: دار النذير، ١٩٦٩م، وأصل هذا الكتاب رسالة ماجستير. ودراسة: حسام سعيد النعيمي، ابن جني: عالم العربية، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م. ودراسة: أحمد سليمان ياقوت، دراسات نحوية في خصائص ابن جني، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م. ودراسة: مُجدد السيف، العلة النحوية والصرفية في كتاب الخصائص لابن جني، رسالة ماجستير. الرياض: جامعة الإمام مُجدد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية. ١٤١٢هـ. ودراسة: عبدالحكيم راضي، الفكر البلاغي في كتاب الخصائص لابن جني، وهي مقدمة لتحقيق كتاب الخصائص، القاهرة: الهيئة العامة لقصور =

وقد تعددت أيضاً الدراسات التي حاولت أن تقارب مدونة لغوية ما، مقارنة حجاجية، والتي يمكن أن أعدها دراسات سابقة لبحثي هذا؛ لأنه يدرس مدونة لغوية دراسة حجاجية، ومن أبرز هذه الدراسات:

١- عبدالله صولة، **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم مظاهره الأسلوبية**، ط٢، بيروت: دار الفارابي، ومكتبة المعرفة، منوبة: كلية الآداب، ٢٠٠٧م، (ط١: ٢٠٠١م)، وأصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب في منوبة عام ١٩٩٧م.

استقصى صولة في هذه الدراسة الحجاج في القرآن الكريم من خلال ثلاثة مستويات: **أولها مستوى الكلمة** الذي تحدث فيه عن الطاقة الحجاجية للمفردة، وخصائص الكلمة الحجاجية، وحركة الكلمة الحجاجية في القرآن بناء على خصائصها في التداول والاستعمال، **وثانيها هو مستوى التركيب**، الذي ناقش فيه نظرية العدول بنوعيه الكمي والنوعي داخل الجملة، **وثالثها هو مستوى الصورة**، الذي استقصى فيه خصائص الصورة البلاغية في القرآن الكريم وأبعادها الحجاجية، وقد زواج صولة في هذه الدراسة بين المنهجين الحجاجي التداولي والأسلوبي. وهي دراسة قيمة أفدت منها خاصة فيما يتعلق بآليات التحليل الحجاجي.

٢- هاجر مدقن، **الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي**، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٣م.

جاءت هذه الدراسة في شقين، الأول: نظري، بسطت فيه الباحثة تاريخ الخطاب الحجاجي وأنواعه وخصائصه الأسلوبية والمناظرية و الحوارية، والثاني: تطبيقي، استقصت

=الثقافة، ٢٠٠٦م. ودراسة: محمد مشبال، البلاغة والأصول: دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي (نموذج

ابن جني)، المغرب: دار إفريقيا الشرق، ٢٠٠٧م.

فيه أنواع الحجاج في كتاب المساكين، وانطلقت منها لمعالجة بنية وخصائص الخطاب البلاغي، والفلسفي، والتداولي في كتاب المساكين.

٣- مكلي شامة، **الحجاج في شعر النقائض دراسة تداولية**، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، ٢٠٠٩م.

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على نقيضتين إحداهما: الجري، والأخرى: للفرزدق، منطلقة منهما للبحث عن القوانين التداولية التي تحكم النقائض في العصر الأموي، باعتبارها نصوصاً فنية من جهة، وباعتبارها مناظرات شعرية من جهة أخرى، وقد استعانت بمنهج تحليل الخطاب؛ باعتبار النقائض تفاعلاً خطائياً. وعلى الرغم من أنها عرضت لها من وجهة نظر حجاجية تداولية؛ إلا أنها غلّبت فيها منهج المناظرة، فجاء بحثها في فصلين، عرضت في الأول منهما للعلاقات التخاطبية في النقائض، متناولةً استراتيجيات البناء والهدم، وعرضت في الفصل الثاني للاستراتيجيات الإقناعية من خلال دراسة الآليات الحجاجية الموظفة في النصين، مركزةً على آليات العرض والاعتراض والوسائل البلاغية في النقائض ودورها الحجاجي.

٤- حسين بوبلوطة، **الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي**، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة الحاج لخضر -باتنة-، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٠م.

انطلق الباحث في هذه الدراسة من لسانيات الخطاب وفق رؤية منهجية تجمع بين آليات الحجاج البلاغي و اللغوي، وجاءت دراسته في ثلاثة محاور، كان الأول منها مهاداً نظرياً عن الحجاج، وتعلق المحور الثاني بآليات الحجاج البلاغي عند أبي حيان في الإمتاع والمؤانسة، وقد حاول في المحور الثالث استنباط آليات الحجاج اللغوي في المدونة نفسها، لكن دراسته اتصفت بالعموم، فالباحث استخراج آليات الحجاج اللغوي والبلاغي من

الكتاب المدروس عامةً، دون أن يوضح خصوصية آليات الحجاج عند أبي حيان في هذا المؤلف.

٥- علي مُجَّد علي سلمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج: رسائله نموذجًا، بيروت: المؤسسة العامة للدراسات والنشر، عمان: دار فارس للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

توجه الباحث في هذا البحث من خلال المنهج الوصفي المؤطر بالنظرية الحجاجية إلى تقسيم بحثه إلى قسمين: الجزء النظري الذي توجه في هذه الدراسة إلى عرض مطول لتاريخ الحجاج بدءًا من اليونانيين، ومرورًا بالبلاغيين العرب القدامى، مستقصيًا بعض المفاهيم البلاغية التي ترتبط بالحجاج، والجزء التطبيقي الذي بدأه الباحث بالبحث في خلفية الحجاج عند الجاحظ المتمثلة في ظروف نشأته العلمية والعقدية، ثم بحث في استراتيجيات الحجاج ووظائفه عند الجاحظ معتمدًا على المقام بوصفه مكونًا من مكونات النظرية البيانية عند الجاحظ، وبوصفه تقنية من تقنيات الحجاج في مقام الترسل، وقد ختم بحثه بتقصي أطراف دائرة الحجاج الثلاثة في رسائل الجاحظ: المتكلم، والمتلقي، والجنس الأدبي في بُعدين: نظري، وتطبيقي.

٦- سليمة محفوظي، وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة الحاج لخضر-باتنة-، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١١م.

لقد جاءت هذه الدراسة في شقين، بدأت بالجزء النظري الذي استعرضت فيه الباحثة تاريخ الحجاج و مفهومه وآلياته ووسائله اللسانية والمنطقية، ثم أتبعته بجزء تطبيقي على خطبة طارق بين زياد مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي في تحليل الخطبة لسانيًا، وواصفة أبرز تقنيات المحاجة وآليات بناء الحجاج في الخطبة.

٧- عبدالعالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي: الرسائل الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أمودجًا : دراسة تحليلية، عمّان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٥م، وأصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه نوقشت عام ٢٠١١م في كلية اللغة العربية بمراكش، جامعة القرويين.

اتخذ الباحث في هذا البحث النظرية الحجاجية إطارًا لدراسة الخطاب السياسي في الرسائل الأندلسية، وقد بدأ بالتنظير لمفهوم الحجاج في البلاغتين الغربية والعربية، وتلاه بعرض تنظيري للرسائل الأندلسية يتعلق بمفهومها، وعوامل ازدهارها، وأنواعها، وأغراضها، وخصائصها الفنية والتخاطبية، ثم شرع بالتطبيق من خلال دراسة طرق الاستدلال الخطابي في تلك الرسائل، وأنواع الحجج، وطرق تفنيد الحجج، وأساليب المغالطات الحجاجية فيها، وقد أولى حجاجية الصورة البلاغية في تلك الرسائل عناية بالغة، وخرج بعد ذلك ببعض الإستراتيجيات الحجاجية العامة والخاصة في تلك الرسائل.

٨- مُحمّد عديل عبد العزيز علي، التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري ت٥٧٧هـ نموذجًا، القاهرة: دار البصائر، ٢٠١١م.

اقترح الباحث في هذا الكتاب نموذجًا تحليليًا تداوليًا يستند إلى مبادئ وصفية عامة لمقاربة خطاب الحجاج النحوي في كتاب الإنصاف، وقد انصبت عناية الدراسة على الطرح الخلاف في كتاب الإنصاف، فجاء الفصل الأول نظريًا عرض فيه الباحث للأصول النحوية، والقواعد المنهجية، والمنطلقات الفكرية عند أبي البركات، وعرض في الفصل الثاني لسمات الخطاب الحجاجي في كتاب الإنصاف من خلال رصد مسالك الاستدلال التي اعتمدها الأنباري، وكذلك مسالك النقض، والمغالطات الحجاجية عند أبي البركات، أما الفصل الثالث فقد عرض فيه للأسس التداولية للمحاجة الاستدلالية، وختم بحثه بنموذج تطبيقي على مسألة من مسائل الإنصاف. وهذه الدراسة قيمة، وعليها ساعتمد في أجزاء من بحثي.

٩- أميمة صبحي، **حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدى**، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٥م، وأصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه نوقشت عام ٢٠١٢م في كلية الآداب في مصر، جامعة الفيوم.

بدأت الباحثة هذا الكتاب بمدخل تمهيدي يتعلق بمصطلح الحجاج، والحركة الثقافية في القرن الرابع الهجري؛ بوصفه الزمن الذي عاش فيه التوحيدى، ثم شرعت بالبحث في المدونة من خلال البحث في القيمة الحجاجية لبعض الوجوه البلاغية، مثل: الجنس، والتكرار، والازدواج، والاستعارة، والتمثيل، ثم خرجت إلى البحث بعض الأيدولوجيات الاجتماعية، والسياسية، والفكرية التي أفرزتها نصوص التوحيدى.

١٠- نعيمة يعمران، **الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير**، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة مولود معمري-تيزي وزو-، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، ٢٠١٢م.

انطلقت الباحثة في هذه الدراسة من المنهج التداولي في معالجة آليات الحجاج عند ابن الأثير في كتابه المثل السائر، وجاءت دراستها في شطرين، الأول: نظري عرضت فيه لمفهوم الحجاج في البلاغة العربية القديمة وفي الدراسات اللسانية الحديثة، والثاني: تطبيقي عرضت فيه لأهم تجليات الحجاج من المنظورين البلاغي والتداولي، لكن الجزء التطبيقي في دراستها جاء مختصراً جداً خاصة فيما يتعلق بآليات الحجاج التداولي التي قصرتها على الحجج المبينة للواقع، وعلى بعض الروابط الحجاجية .

١١- ليلي جغام، **الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ**، رسالة دكتوراه، الجزائر: جامعة محمد خيضر-بسكرة-، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، ٢٠١٣م.

عرضت الباحثة في هذه الدراسة لحجاجية النصوص البلاغية عند الجاحظ، وبدأت بالتنظير التاريخي لنظريات الحجاج في الفكرين العربي والغربي، ثم قامت بتطبيق آليات التحليل الحجاجي على حُطْبٍ مختارة من كتاب الجاحظ، بعد أن عرضت

للهيكلية الحجاجية العامة للنص البلاغي الجاحظي، وخلصت منها إلى مراحل بناء النص عند الجاحظ، ثم درست في فصل جديد حجج الجاحظ في الرد على مزاعم الشعوبية وتمثيله لبعض الفئات الاجتماعية كالعباد، والنسك، والخطباء، والشعراء، والمتكلمين.

وفي الفصل الأخير عرضت الباحثة للاستراتيجيات الحجاجية في كتاب البيان والتبيين، واختارت الرسالة والوصية بوصفهما بناءً حججياً متميزاً؛ لتعرف على الأنماط الحجاجية في الكتاب، وتكشف عن الآليات المستعملة في البناء والهدم، ثم عرضت في النهاية أهم وظائف الحجج في كتاب الجاحظ التي حصرتها في ثلاثة وظائف هي الإقناعية، والانفعالية، والمداولة.

و قد اختلف بحثي عن كل هذه الدراسات بما يلي:

- المدونة اللغوية، حيث لم يحلل كتاب الخصائص لابن جني -حسب علمي- تحليلاً حججياً.
- نوع الخطاب المدروس، فبعض التطبيقات جاءت على أجناس أدبية معينة، ومعلوم ما للأجناس الأدبية من خصوصية في التحليل، وبعضها جاءت في القرآن الكريم، وأخرى تعلقت بالخطاب النحوي، لكن لم تكن هناك تطبيقات على نصوص لغوية علمية.
- الإطار النظري، حيث سأعتمد في التحليل على نظرية الحجج اللغوي لديكرو وأنسكومبر، وعلى نظرية الحجج البلاغي لبيرلمان وتيتيكاه بناء على ما يقتضيه البحث، وعلى بعض المنطلقات الحجاجية النظرية عند باتريك شارودو وعند فرانز فان إيمرن وروب غروتندورست؛ حيث يفيد الجمع بين عدة اتجاهات نظرية في تحقيق أهداف البحث، كما أن الاقتصار على نظرية واحدة حسب ما أظن قد يؤدي إلى قصور الدراسة.

وفي النهاية لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل يد طالت هذا العمل بالعون والدعم، وأبدأ بمن لا يوفيهما شكر، ولا يكفي مقام للكلام عن جميلها، من علمتني القراءة والكتابة حرفًا حرفًا، وبذلت كل جهد وجهد في تعليمي وتربيتي: أمي -حفظها الله-، ثم أبي وإخوتي الذين شقّ عليهم بُعدي، وعزّ عليهم اغترابي.

كما أتقدم بالشكر الوافر لرئيس قسم اللغة العربية السابق أستاذنا: د.صغير بن غريب العنزي الذي طال دعمه كل طالب علم، وكان مرشدًا موجّهًا لنا طوال أيام وشهور وسنين الدراسة، أسأل الله أن يجزيه عنا خير الجزاء، والشكر موصول أيضًا لرئيس القسم الحالي: د.عبدالله اليوسف، أسأل الله له التوفيق والسداد، كما لا أنسى أن أشكر الدكتور المشرف على هذا العمل: أ.د. مُحمّد حدوش الذي بذل كل جهده في التوجيه والإرشاد، والشكر الوافر يصل أيضًا للجنة المناقشة الموقرة التي بذلت جهدًا ووقتًا في قراءة وتقويم هذا العمل، أسأل الله بمنة وكرمه التوفيق والسداد، وأن يجعله خالصًا لوجهه.

مدخل

(الحجاج: مقدمة نظرية)

• الهوية العلمية الحديثة للحجاج:

يعد مفهوم الحجاج من المفاهيم الملبسة والصعبة على الضبط؛ ويعود ذلك لعدة عوامل، منها: تعدد مظاهر الحجاج وتنوعها، كالحجاج الصريح والضمني.. الخ، وإلى تعدد استعمالاته، فالحجاج من المفاهيم الرخالة؛ فمرجعياته متعددة، كالخطابة، والمنطق، والسياسة، والتعليم وغيرها، وإلى خضوعه للرخاوة التداولية التي تميز ألفاظ اللغة الطبيعية^١.

وإن اختلفت منطلقات الحجاج النظرية، وظروف نشأتها، إلا أنّ هناك خيوطاً ناظمة لا تكاد تُعدم بينها، فقد اتفقت الأدبيات الحجاجية المختلفة على عدّ الحجاج قالباً للإقناع والتأثير؛ وإن اختلفت درجات هذا الإقناع وطبيعته، فهو يتأتى من داخل اللغة حيناً، ومن خارجها حيناً آخر.

ويمكن عد التحول الذي حدث للبلاغة في عصر التجديد في الأدب إرهاصاً أول ساعد على ظهور الحجاج أو (الخطابة الجديدة)، فحاولت البلاغة تحت وطأة الضيق الشديد من أصحاب هذه النزعات التجديدية أن تنفصل عن طابعها التقعيدي، وكانت

١ ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية محكمة)، مجموعة من المؤلفين، ج ٢، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت: دار الروافد الثقافية، ٢٠١٣م، ص ١٥٩ / وهذا البحث أيضاً من منشورات مجلة عالم الفكر، مج ٣٠، ع ١٤، يوليو-سبتمبر، ٢٠٠١م.

"الأسلوبية" التي أرساها بعض تلاميذ دو سوسير De Saussure هي الاتجاه الأول لمحاولة التغيير، فاقتنع الناس بأنها العلم المؤهل ليحل محل الخطابة^١.

ولما اتضح عجز الأسلوبية عن مسايرة التغيير الذي حدث في الآداب والفلسفات؛ أدرك الناس أنّ الأسلوبية والخطابة حقلان مختلفان، وأن الأسلوبية لا تتعدى جانب العبارة Lexis, Elocutio من أقسام الخطابة الأساسية^٢، فاجتهدوا في البحث عن اتجاه آخر يحقق طموحهم في تأسيس خطابة جديدة يرتفع نسبها إلى أرسطو Eurisis، فكانت (الخطابة الجديدة) التي اشتهرت بعد صدور كتاب (الخطابة الجديدة- مؤلف في الحجاج) سنة ١٩٥٨م، لشاييم بيرلمان ch. Perelman، وألبركت تيتيكاه I. Olbrechts-Tyteca هي العتبة الأولى لظهور نظرية في الحجاج، وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن الخطابة في كونها لا تهتم إلا ببعض المظاهر المساعدة من لغة الخطاب أو النص، وتهتم بشكل خاص بالأساليب والطرق المعتمدة في إقناع السامع من وجهة نظر منطقية^٣.

عبارة أخرى لقد تجاوزا بذلك البلاغة التي تُعنى بالوجوه الأسلوبية والاستخدامات اللغوية التي تتصف بالانزياح، والتي صبت عنايتها على جانب وحيد من النص هو (العبارة)، إلى بلاغة الحجاج التي تتجه إلى دراسة الخطاب في كليته، مع أخذ كل مكونات فعل التلطف المتمثلة في: المتكلم، والمخاطب، والخطاب بعين الاعتبار^٤.

^١ ينظر: حمادي صمود، مقدمة: في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) أشرف عليه حمادي صمود، تونس: منشورات كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٨م، ص ٣١، ٣٣

^٢ أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب هي: البصر بالحجة (أو إيجاد الحجج) inventio، وترتيب الأقسام dsipositio، والعبارة Lexis, Elocutio، ينظر: المرجع نفسه، ص ١٣-١٦

^٣ ينظر: المرجع نفسه، ص ٣٤ - ٣٥

^٤ ينظر: مُجد مشبال، في بلاغة الحجاج: نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٧م، ص ١٦-١٩

لقد انصبت عناية بيرلمان على إحياء الخطابة بمفهومها الأصلي اليوناني، أي بصفتها صناعةً للإقناع، فجمع بين جدل أرسطو وخطابته لبلورة نظرية في الحجاج سماها: الخطابة الجديدة^١، وما قدمه شايم بيرلمان هو ثورة حقيقة في مجال الخطابة، وانقلاب معرفي في مجال البلاغة، وهذا ما يؤكد ميشيل ماير Michel meyer بقوله: "إن الثورة الكبرى في الخطابة خلال هذا القرن قد تحققت، سواء أردنا أم لم نرد، على يد شايم بيرلمان... من الأكد أن إسهام بيرلمان يشكل تجديدًا عظيمًا لهذا العلم، وطريقة جديدة لفهم الخطابة وطبيعتها ومهمتها..."^٢.

اتجهت نظرية الحجاج بعد ذلك إلى حقل اللسانيات مع ديكرودucrot o. وأنسكومبر Anscombre, jean-claude، من خلال كتابهما المعنون ب(الحجاج داخل اللغة)، والذي حاول فيه مقارنة الحجاج من داخل اللغة من خلال نظريتهما الموسومة باسم: (الحجاجيات اللسانية)، وهذه النظرية في اللسانيات تنحدر من أصلين^٣: أحدهما ينتمي إلى حقل التداولية في اللسانيات الذي جاء معبرًا عن إخفاق المقاربات الصورية الصارمة للدرس اللغوي، والآخر تُمثله أعمال الخطابة الجديدة مع بيرلمان وتيتيكاه والتي هي الأخرى جاءت معبرة عن إخفاق المحاولات الصورية لنمذجة الفاعلية التدلالية. وعن العلاقة بينهما يعلن كريستيان بلاتان وجود حالة من التجاهل بين هذين التوجهين، ويظهر ذلك التجاهل في غياب أو ندرة إحالتهم إلى بعضهما، وربما كان السبب في ذلك -بحسب كريستيان- السياقات المختلفة التي نشأ فيها كل توجه، أي السياق اللساني المحصور للحجاجيات اللسانية المرتبط بالتداولية المدمجة، في حين أن سياق أعمال بيرلمان وتيتيكاه هو الفلسفة، وفلسفة القانون، وفلسفة العمل.

^١ ينظر: الحسين بنو هاشم في كتابة: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة،

٢٠١٤م، ص ٨

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٦

^٣ ينظر: رشيد الراضي، مفهوم الموضوع والحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرود، الكويت: مجلة عالم الفكر،

٢٤م، مج ٤٠، أكتوبر- ديسمبر ٢٠١٢م، ص ١٩٣ / أما نقله عن كريستيان فقد أوردته في نفس البحث في

الهامش رقم(٢)، ص ٢٢٩

ومع هذا الانتساب إلا أن الحجاجيات اللسانية لم تكن وافية لهذين الأصلين، فتجاوزتهما محاولةً بناء نسق نظري علمي جديد يبعد بالدراسة الحجاجية عن الفلسفة، ويمكن إجمال هذا التجاوز في مرحلتين، وهما¹:

أولاً: التداولية: لقد قامت التداولية بمحاولة لإدماج الوقائع التداولية في قلب الدرس الدلالي-في سياق ما عرف بالتداولية المدجة *La pragmatique intégrée* - بعد أن كانت تلك المعطيات خارج الدرس اللساني الصوري. أما اللسانيات الحجاجية فقد تجاوزت ذلك بنوع من التضييق، فحُصر موضوع الاشتغال فيها بتلك المعطيات التداولية التي تنطبع في بنية اللغة، واختاروا من تلك المعطيات ما يتصل بالفاعلية الحجاجية فقط.

ثانياً: أبحاث الخطابة الجديدة ليرلمان وتيتكاه: تتمثل مجاوزة اللسانيات الحجاجية لها في تأكيد وجود شيء من التداخل بين الوقائع من جهة، والذوات المتفاعلة حجاجياً من جهة أخرى، ومع أن هذا التصور جسد ثورة في عالم الخطابة إلا أنه لم يفِ بطموحات ديكر و أنسكومبر فيما يخص طبيعة العلاقة بين الوقائع والخطاب في سيرورة التفاعل الحجاجي؛ فهما قد وصلا في مرحلة متأخرة من النظرية، إلى أن التمايز بين هذه الوقائع وصياغاتها اللسانية غير موجود أصلاً؛ لأن اللغة في مجملها ليست إلا تحويلاً حجاجياً للوقائع اللغوية.

أخلص إلى أنه من الصعب ضبط الهوية العلمية للحجاج؛ لأنه من المفاهيم الرحالة، وهو بمثابة شبكة وصل بين عدة علوم، ولا أظن أن الحجاج بوصفه نظرية لتحليل وقراءة النصوص قد تفرد بهوية علمية محددة حتى اليوم؛ فما زال يتماهى بين البلاغة واللسانيات وعلوم المنطق، والاقتصار على مفهوم الحجاج في توجه واحد قد يُضيّق نطاق الدراسة.

¹ ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج: مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، الدار البيضاء: المركز الثقافي

العربي، ٢٠١٤م، ص ٩-١١

• مفهوم الحجاج:

جاء في لسان العرب: "حاججته أحاجه حجاجًا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... وهو رجل مُحجاجٌ أي جدلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاضُّم؛ وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نازعه الحُجَّة. وحجَّه يُحجُّه حِجًا: غلبه على حُجَّتِه"^١، وجاء فيه: "والمِحجَّةُ: الطريق؛ وقيل: جادَّةُ الطريق؛ وقيل: مُحجَّةُ الطريق سنَّه"^٢، وجاء أيضًا: "والتَّحاجُّ: التَّخاضُّم؛ وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نازعه الحُجَّة... والحُجَّةُ: الدليل والبرهان"^٣، وجاء في التعريفات: "الحجة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"^٤.

تنتمي لفظة الحجاج إلى مادة (ح.ج.ج)، التي تدور في اللغة حول ثلاث

دلالات لغوية^٥، هي:

أولاً: القصد والتعمد.

ثانياً: العلامة أو الأمانة أو الدليل.

ثالثاً: الجدل والخصام والنزاع.

تكاد تتفق هذه الدلالات الثلاث مع التعريفات الحديثة لمصطلح الحجاج، فلا بد أن يتوفر في الحجاج القصد إلى الإقناع، وأن يكون في النص أمارات تدل السامع وتوجهه للقضية المراد إقناعه بها، وغالبًا ما يقع الحجاج في الأمور الخلافية التي يتنازع فيها الناس ويختلفون.

^١ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح.ج.ج)، ج ٢، ط ٣ (١: ١٩٩٠: م)، بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م،

ص ٢٢٨

^٢ المرجع نفسه.

^٣ المرجع نفسه.

^٤ علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، لبنان: مكتبة بيروت، ١٩٨٥م، ص ٨٦

^٥ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢٢٦-٢٣٠

وكثيراً ما يتم التعبير عن غاية الحجاج بكونه حملاً على الإقناع، كما أن كلمة الإقناع تستعمل أحياناً بوصفها مرادفة للحجاج، لكن بيرلمان وتيكاه يفرقان بين ثلاثة عناصر أساسية في تبين غاية الحجاج، وهي^١:

- ١- الاستدلال la demonstration: وهو مجال بحث المناطقة، ويعني استنباط النتائج من المقدمات التي تفضي إليها دون أي لبس، فهو حتمي ويتناول الحقائق الثابتة التي لا خلاف حولها، ولا يرتبط بمقام معين.
- ٢- الإقناع La persuasion: وهو الجانب الذاتي من الحجاج، ويكون بمخاطبة الخيال والعاطفة، مما لا يدع مجالاً للعقل بأن يختار، ويرمي إلى إقناع جمهور خاص.
- ٣- الاقتناع Conviction: وهو الذي اختاره غاية لكل حجاج، وهو مرتبط بالمقام، و فيه درجة عالية من النسبية فليس موضوعياً محضاً ولا ذاتياً محضاً، و فيه يُعطى العقل مساحة للاختيار، وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل، فهو عام.

سأقتصر في تبين مفهوم الحجاج على ثلاثة مفاهيم أساسية؛ لأنها تعبر عن الاتجاهات المدرسية الأساسية للحجاج، ولأنها تتعلق بالتطبيق في هذا البحث، وهي:

^١ ينظر: عبدالله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، تونس: مسكيلياني للنشر، ٢٠١١م،

أولاً: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه :

يعرف بيرلمان وتيتيكاه الحجاج بوصفه: "مجموع تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تبعث على إذعان المتلقين للقضايا التي تعرضها عليهم، أو أن تزيد في درجات هذا الإذعان"^١.

لقد بنى بيرلمان نظريته على أسس أرسطوية، فنظريته قائمة على إعادة الاعتبار لخطابة أرسطو وتحديدتها بالتشذيب والتوسيع^٢، فمنطلق نظريته كان من علم المنطق، ويكاد يغلب عليها الجانب المنطقي، وإن كان يتوسع في نظريته إلى أبعد من ذلك، بل إن بعضهم يرى "أن الجمع بين الخطابة والجدل هو أهم إنجاز قام به بيرلمان وأكبره، وهو الذي مكنه من تجديد الخطابة، وفتح له المجال لتوسيع خطابة أرسطو وتعديلها"^٣، فأقام بعض التعديلات على الخطابة الأرسطوية، وصحح بعض المفاهيم المغلوطة العالقة بها.

فبيرلمان وإن كان ينطلق من علم المنطق إلا أنه يتوسع فيه، عن طريق تحويل الحجاج إلى مجموعة من التقنيات المتنوعة، تشمل الوسائل اللغوية: بما فيها من أدوات لغوية صرف وآليات بلاغية، والوسائل غير اللغوية، التي تطلق غالباً على الآليات المنطقية للحجاج^٤.

ويرى إيمن وغروتندورست أنه رغم الحيوية التي أسبغتها هذه الدراسة على الدراسات الحجاجية، إلا أنها لم تستطع أن تتقاطع مع التقليد الكلاسيكي في نظرية الحجاج؛ لأنها تركز على السمات الجدلية في الحجاج، وأنها يمكن أن تدخل في التقليد

^١ ينظر: عبدالله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص ١٤٣-١٤٤

^٢ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شام بيرلمان، ص ٣٣

^٣ المرجع نفسه، ص ٣٥

^٤ فصل بعض الباحثين في هذه التقنيات، مثل: عبدالمهدي ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة)، مجموعة من المؤلفين، ج ١، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت: دار الروافد، ٢٠١٣م، ص

البلاغي دون أدنى صعوبة، وأن ما تفتقر إليه هذه النظرية هو البعد المعياري الذي ينصف تلك الاعتبارات الجدلية^١.

وأرى أن هناك ما ينقض هذا الاعتراض الذي قدمه إيمن وغروتندورست؛ وهو أن منطلق هذه النظرية هو ذلك الضيق الشديد بالبعد المعياري الذي وصلت له البلاغة، فحاولت جاهدة أن تبني بلاغة جديدة تنأى عن هذا البعد، وأن تلك المعيارية التي دعيا إليها ستحول دون ذلك الهدف، وأما توجهها الجدلي فبدهي؛ ذلك أن بيرلمان قد انتسب في نظريته إلى أرسطو .

ثانياً: مفهوم الحجج في الحججيات اللسانية:

يُعد ديكر و زميله أنسكومبر مؤسسي هذا الاتجاه، حيث انطلقا من أبحاث بيرلمان وتيتكاه، ومن المباحث التداولية؛ ليكونا نظرية تنبثق من اللغة وتكاد تنحصر فيها، ويفرق ديكر بين معنيين للحجاج، هما^٢:

المعنى العادي: ويعني طريقة عرض الحجج و تقديمها، و يستهدف التأثير في السامع، فيكون الخطاب بذلك ناجحاً فعلاً. ومعيار نجاحه: مدى مناسبه للسامع.

المعنى الفني: يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقة الحججية فيه أن تكون قابلة للقياس بالدرجات، أو واصلة بين سلام. و المعنى الفني للحجاج هو موضوع النظر في اللسانيات التداولية المدمجة. فعبرا عن الحجج الذي ينحصر في طرق عرض الحجج بالحجاج العادي، وهو تعبير عن قلة أهمية هذا النوع من الحجج، وإرساء

^١ ينظر: فرانز فان إيمن وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجج: المقاربة الذريعية الجدلية، ترجمة: عبدالمجيد جحفة، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٦م، ص ٦٤، ٦٨

^٢ ينظر: صابر الحباشة، التداولية و الحجج: مداخل ونصوص، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م،

لأهمية المعنى الفني الذي قدره موضوع النظر في دراستهما، والذي يضع للمحتوى الدلالي مرتبة مميزة.

لقد دأب اللسانيون على النظر إلى الخطاب اللفظي الحجاجي بوصفه خطاباً يحتوي على خصائص بنائية وبراغماتية تجعله مختلفاً عن غيره من الخطابات: السردية، الحكائية، الإخبارية... إلخ. وهذه التصنيفات تقوم على أساس السمات الغالبة على كل خطاب متجسد في نص ما، وليس لها حدود فاصلة تميز بين أجناس الخطاب النصي. ثم تقرر بعد ذلك أن دراسة الحجاج هو من شؤون التداولية؛ وذلك لخضوع الخطاب الحجاجي في ظاهره وباطنه لقواعد شروط القول والتلقي (مخاطب، خطاب، مخاطب)، عدا عن بروز القصدية فيه، حتى إن ديكرود نفسه يقول بانضمام الحجاج إلى حقل التداولية المنسجمة في كتابه القول والمقول^١.

لقد كان المنظور الدلالي للسانيات الحجاجية منطوياً على وصف معنى الملفوظ اللغوي بصفته وصفاً وتمثيلاً لفعل التلفظ، ومن أهم مظاهره (الإرشادات^٢)، وقد استبعد ديكرود بداية مُنتج الكلام (أو مُصدر التلفظ)؛ باعتبار أن الدراسة اللسانية يجب أن تقتصر على وصف اللغة وأن تبتعد عن الوقائع الأخرى الخارجية كالسيكولوجيا والسوسيولوجيا^٣، لكنه وجد بعد ذلك أن المتكلم يشكل جانباً مخصوصاً من فعل التلفظ، هو الذي يدخل في تكوين معاني الملفوظات، وهو أكثر أهمية وقاعدية من

^١ ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية محكمة)، ج ٢، ص ١٦٥-١٦٦

^٢ لقد ناقض ديكرود التصور الدلالي الكلاسيكي للجملة، وقرّر أن دلالة الجملة هي مجموع الإرشادات التي تتضمنها، والإرشادات هي: مجموعة من التوجيهات التي تقدمها الجملة لأولئك الذين يريدون تأويل ملفوظ معين من ملفوظاتها، وتطالبهم في البحث عن المعطيات التي تفيد بصورة ما في إعادة بناء المعنى المقصود من المتكلم. وتنحصر وظيفة تلك الإرشادات في تعيين الخطوات التي يجب اتباعها لإسناد معنى معين لملفوظ من ملفوظات الجملة التي تتضمن الإشارات. ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص ٤٠، ٦٢

^٣ هذا التصور يمثل مبدأ المحايثة الذي هو من إفرازات المدرسة السوسيرية (البنوية) في اللسانيات، ويعني باختصار النظر إلى اللغة في ذاتها دون أخذ أي تمثيلات خارجية في الحسبان.

الإشارات. فمصدر التلفظ هنا حيثية داخلية حاضرة في معنى الملفوظ ذاته، ومن ثم لا ينبغي إسقاطها وإلا كان هذا الوصف ناقصًا. أي أننا نمر على هذا المصدر من المعنى (داخليًا)، وليس من الواقع الخارجي الفيزيائي^١.

وقد تميزت دراسة ديكرول للحجاج بمنطقية اللغة، بمعنى أنه حاول أن يُقابل المعطيات اللغوية بالأنساق المنطقية، فحاول إدماج المنطق باللغة من خلال هذا التقابل، منطلقًا من المعطيات اللغوية نفسها، متجاوزًا بعض الاتجاهات اللغوية قبله والتي حاولت اختزال اللغة بالمنطق، وقد كان لذلك بالغ الأثر في دراسته الحجاجية من خلال استكشافه لبعض السمات الخاصة بالروابط الحجاجية عن طريق مقابلتها بمثيلاًتها من الروابط المنطقية^٢.

إن العلامة الفارقة لتصور ديكرول وأنسكومير، والتي أحدثا بها قطعة أستيمولوجية مع كل التصورات اللغوية قبلهما، هي نظرتهما للوظيفة الأساس في اللغة، حيث قدما الوظيفة الحجاجية على الوظيفة الإخبارية^٣؛ حيث كانت التصورات اللغوية قبلهما تقدم الوظيفة التواصلية بصفتهما الوظيفة الأساس، يقول ديكرول في بداية كتابه القول والمقول: "إن الاختلاف بين الجملة الحاملة لعامل حجاجي والجملة غير الحاملة لعامل حجاجي، بيّن في درجة السلم الحجاجي، ولأجل هذا كان من وظيفة العوامل علاوة على التوجيه، التضييق من مدى الغموض وتعدد المعاني والاستلزمات"^٤.

إن التصور الكلاسيكي للحجاج مع بيرلمان يختلف مع تصور الحجاجيات اللسانية؛ حيث إن الحجاج عند بيرلمان عبارة عن نشاط ليس له أي علاقة بالبنية التركيبية للغة، فهو يتعلق بآثار الكلام فقط، فينصرف البحث فيه إلى الطريقة التي يمكننا بها استعمال القول في خطاب حجاجي بغاية التأثير على الغير، وضمن هذا المنظور يكون الانتقال من ملفوظ ما،

^١ ينظر: المرجع نفسه، ص ١٥٦-١٥٧

^٢ ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والمنطق: مدخل نظري، الرباط: طوب بريس الرباط، ٢٠١٤م، ص ١٨-٢٠

^٣ عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، صفاقس: مكتبة علاء الدين، ٢٠١١م، ص ٦٥

^٤ ينظر: المرجع نفسه، ص ٦٥-٦٦

أو متوالية من الملفوظات إلى نتيجة معينة. ويقابل هذا التصور اللسانيات الحجاجية عند ديكرو وأنسكومبر اللذين ينظران إلى الحجاج من حيث هو نشاط تلفظي يندرج في بنية اللغة، فاللغة في هذا التصور لن تكون أداة للحجاج بل محلاً له^١. وهذا تأكيد آخر على وفاء هذا التوجه للنظرية السوسيرية من حيث الالتزام بمبدأ المحاثة من خلال طرح كل ما هو خارج اللغة من الدراسة.

ثالثاً: المقاربة التداولية الجدلية في الحجاج:

تُشكل هذه المقاربة نظرية نسقية في الحجاج، وقد جاءت من عدم رضاها عن الوضع الذي آلت إليه دراسة الحجاج الذي اجتمعت تحت سقفه عدة مقاربات تباينت في بناء التصورات، فجاء هذا التوجه بوصفه أساساً لحل المشكل القائم وهو عدم نجاح أي من المقاربات السابقة في تكوين نظرية يقبلها الجميع، وتجب عن جميع أسئلة المجالات الإشكالية في الحجاج وهي: المغالطات الحجاجية، والتنظيم الداخلي للحجاج، وغيرها^٢.

والحجاج في نظر فرانز فان إيمرن وروب غروتندورست - بصفتها مؤسسي هذه النظرية - هو: "نشاط كلامي واجتماعي الغرض منه إقناع ناقد معقول، بمقبولية وجهة نظر، عن طريق تقديم كوكبة من القضايا المبررة أو المفندة المعبر عنها في وجهة النظر"^٣، وهذا النموذج "جدلي؛ لأنه يفترض وجود طرفين يحاولان حل خلاف الرأي من خلال تبادل وتناوب منهجي على خطوات النقاش... وذريعي؛ لأن هذه الخطوات والانتقالات في النقاش تُعتبر أفعالاً كلامية تُنجز في وضع وسياق مخصوصين"^٤.

إن ما قدمه فان إيمرن و غروتندورست في طموحه يقارب ما قدمه شاييم بيرلمان في الحجاج؛ من حيث اعتمادهما على منظور فلسفي يوناني قديم، تتخلله بعض التصورات والمفاهيم الجديدة، وقد اعتمدا على نظريات تداولية حديثة تضبط آليات

^١ ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص ٤٢، ٤٣

^٢ ينظر: فرانز فان إيمرن وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج، ص ١٥-١٦

^٣ المرجع نفسه، ص ١١

^٤ المرجع نفسه، ص ٣٥

الحجاج بصفته فعلاً كلامياً، وعلى اجتهادات بلاغية شكلت ركائز التنظير الحجاجي، وتقوم نظريتهما على فكرة مفادها: أن التعايش بين مقاربات الحجاج المختلفة يمكنه أن يؤدي إلى مقارنة موحدة قادرة على إنتاج معرفة دقيقة بالحجاج وبنيته^١. لكن ما قدمناه لم يرق إلى كونه نظرية مستقلة في نظري؛ لأن المنطلقات المعرفية تكاد تتفق ونظرية بيرلمان، وما قام به لا يعدو كونه تهدياً لنظرية كل من: بيرلمان، وديكرو في الحجاج.

ويتشابه المنهج المتبع في هذا البحث مع فكرة هذه النظرية؛ حيث لم يقتصر هذا البحث في وصف الحجاج عند ابن جني على إطار نظري واحد، بل يقوم على أطر نظرية متعددة بما يخدم موضوع البحث. وذلك من باب الاعتقاد بأن أي دراسة للحجاج لا يمكنها الإحاطة بمفهومه باعتماد منهج تفسيري واحد فقط، ولا بد من العودة لعدة مرجعيات فيه، حتى يمكن إضفاء صفة الشمولية والتكامل عليه^٢.

لقد كان من الصعب حصر الحجاج وتقييده بنظرية واحدة؛ نظراً لطبيعته التي تتطلب تلاقح عدة علوم، وهذا الذي يعطي دراسة الحجاج نوعاً من المرونة والشمول، ولا يمكن الاكتفاء بتوجه نظري واحد في دراسة الحجاج، وما يدل على ذلك هو أن بعض النظريات التي حاولت حصره وتقييده قد وصلت في النهاية إلى باب مغلق، فديكرو مثلاً -أحد أبرز منظري الحجاج اللغوي- قد وصل إلى مرحلة أخيرة من نظريته اضطر أن يعلن فيها عدم جدوى حصر دراسة الحجاج داخل اللغة، قائلاً: "[إن] الحجاج بواسطة الكلمات إنما هو محال من المحالات^٣، و [إن] الخطابات حتى وإن كان

^١ ينظر: عبدالمجيد جحفة، مقدمة كتاب: نظرية نسقية في الحجاج، ص ٥-٧

^٢ يشاطرنى هذا الرأي: كمال الزماني، في كتابه: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي عليه السلام، إريد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م، ص ١٤٦، وأساس هذا الرأي مستقى من نظرية فان إيمرن كما سبقت الإشارة، والتي تهتم بجمع التوجهات الحجاجية المختلفة في نظرية واحدة؛ بهدف إنتاج معرفة حجاجية دقيقة.

^٣ أظن أن ترجمته بالمستحيالات أنسب؛ لأن محال اسم مفعول من أحال التي تدور معظم معانيها حول التبدل والتغير، بينما مستحيل اسم فاعل من استحال التي يغطي حقلها المعجمي معنى الامتناع وعدم تحقق الوقوع، واسم الفاعل في هذا المقام أنسب من اسم المفعول؛ كون الامتناع جاء من طبيعة الحجاج، ولم يُفرض عليه أو يُتدخل فيه.

من الدارج وصفها بصفة (الحجاجية)، لا تربطها صلة قريبة أو بعيدة بذاك الذي يفهم من عبارة (الحجاج)، وتبين أيضاً أن الحجاج ما هو إلا سراب..''، وهذا ما يؤكد اتساع دراسة الحجاج، وعدم إمكانية حصرها في نطاق نظرية واحدة.

• أبرز المنطلقات النظرية للحجاج:

نطلق من مسلمة منهجية هي: أن الحجاج كائن في كل أنماط الخطاب وأنواع النصوص: نجده في الخطبة الدينية، والقصائد الشعرية، والمحاورة اليومية، والمفاوضات التجارية، والخطاب السياسي، وفي الرواية، والمسرحية الأدبية، والمناظرات، ومناقشة الأطروحات العلمية، وغيرها^٢، وعلى هذا فوجوده في الخطابات العلمية بشتى أشكالها أمر حتمي؛ كون العلم دائماً يبحث في الحقيقة ويروم إثباتها والتأثير من خلالها، ويعزز هذا القول ما زعمه باتريك شارودو من أن النصوص العلمية تنتظم غالباً وفق شكل يغلب عليه الحجاج^٣.

فأصبح مصطلح الحجاج بهذا الاعتبار بعداً ملازماً لكل خطاب على وجه الإطلاق، وغير محصور في استعمالات ظرفية معينة؛ بسبب ذلك الانقطاع بين الحجاج وموضوعه، وهذا الانفكاك هو الذي انتقل بالكلمة إلى المستوى الاصطلاحي في الممارسات اللسانية الحديثة^٤، فليس هناك اختلاف في هيمنة الحجاج على كل أنواع الخطابات، لكن هناك تفاوت في طريقة توظيف هذا الحجاج، "فثمة خطابات حجاجية بامتياز توظف الإقناع أو التأثير أو الحوار مباشرة كما نجد ذلك في الإشهار أو السياسة.

^١ ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص ٢٣٠

^٢ ينظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، بيروت: مؤسسة الرحاب، ٢٠١٠م، ص ١١

^٣ باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب: عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة أحمد الوردني، بيروت:

دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩م، ص ١٩

^٤ ينظر: حسن الملخ: الحجاج في الدرس النحوي، ضمن (الحجاج: مفهومه ومجالاته...)، ج٢، ص ١٢١

وفي المقابل، نجد خطابات أخرى توظف الحجاج بطريقة غير مباشرة بالاعتماد على التخيل والرمزي والجمالي والفني كما في الرواية والمسرح والقصة..^١.

وتعد مركزية الوظيفة الحجاجية للغة من المنطلقات النظرية الأساسية في نظرية الحجاج، ذلك أن الوظيفة الحجاجية موجودة في اللغة بصفة ذاتية، ومؤشر لها في بنية اللغة، وفي بنية الجمل والأقوال نفسها، فتقع في الظواهر الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والتركييبية، والدلالية، والتداولية^٢. وقد مضت الإشارة إلى أن تصور ديكر و أنسكومبر قد أحدث قطيعة معرفية لكل التصورات اللغوية التي قبله والتي أكدت مركزية الوظيفة الإخبارية في اللغة، وذلك بتقديمه للوظيفة الحجاجية في اللغة.

إن الحجاج مرتبط بكافة أشكال التواصل اللغوي، وغير اللغوي، فلا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل، لكن نظرية الحجاج في اللغة تنظر إلى التواصل على أنه أمر ثانوي وأن الوظيفة الجديدة بالحفاوة هي الوظيفة الحجاجية^٣، ويمكن القول: إن الحجاج بوصفه أداة للإقناع يعد شكلاً من أشكال التواصل، فنحن عندما نقنع أو نستجلب الحجج للإقناع، إننا في الحقيقة نخلق تواصلاً مع الآخرين.

والحجاج بوصفه عنصراً للتواصل والإقناع يروم دومًا سياقًا يقع فيه ويفسر من خلاله؛ لأن "العبارات اللفظية ليست (بطبيعتها) وجهات نظر أو حججًا... إنها لا تغدو كذلك إلا عندما تظهر في سياق تؤدي فيه وظيفة خاصة في سيرورة التواصل"^٤.

يتميز الحجاج عن البرهان المنطقي بأنه خطاب احتمالي^١، وقد ألح بيرلمان مرارًا في كتابه: (إمبراطورية الخطابة) على أهمية الفصل بين المنطق والحجاج، أي بين

^١ جميل حمداوي، نظريات الحجاج، منشورات شبكة الألوكة،

http://www.alukah.net/Books/Files/Book_3719/BookFile/alhgaag.pdf، الأحد ٢٠-٦-

١٤٣٨هـ، ص ٧

^٢ ينظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص ١١

^٣ ينظر: المرجع نفسه، ص ١٢

^٤ فرانز فان إيمرن و روب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج، ص ١٣

الاستدلال المنطقي الملزم، والاستدلال الحجاجي الذي لا مجال فيه للإلزام بل إنه يمنح أهمية كبيرة لحرية المخاطب في الاختيار^٢.

وابن جني يؤمن بمبدأ الاحتمالية في الحجاج، يقول في كتابه: "وهذا قدر من الحجاج مختصر، وليس بقاطع، وإنما فيه الأُنس بالنظير، لا القطع باليقين"^٣، ويقول في موضع آخر: "ألا ترى أن العالم الواحد قد يجيب في الشيء الواحد أجوبة وإن كان بعضها أقوى من بعض، لا تمنعه قوة القوي من إجازة الوجه الآخر، إذ كان من مذاهبهم وعلى سمت كلامهم..."^٤.

هذه أبرز المنطلقات النظرية المعتمدة في هذا البحث، وإن كانت تتفاوت في أهميتها بين تصور وآخر، وجرى اختيارها في محاولة لتحقيق نوع من التكامل لهذا البحث في شمولية تناوله لمعطيات الحجاج عند ابن جني.

^١ ينظر: أبو بكر الغزوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء: العمدة في الطبع، ٢٠٠٦م، ص ١٤-١٥

^٢ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٣١

^٣ ابن جني، الخصائص، تحقيق: مُجَّد النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م، ج ٢، ص ٦١

^٤ المصدر نفسه، ص ٤٩١

الفصل الأول

(ابن جني وكتابه الخصائص)

- المبحث الأول: السياق الفكري في القرن الرابع الهجري.
- المبحث الثاني: خلفية الحجاج عند ابن جني.
- المبحث الثالث: الضوابط المنهجية العامة عند ابن جني.

الفصل الأول

المبحث الأول

(السياق الفكري في القرن الرابع الهجري)

على الرغم من الضعف والتفكك السياسي الذي سيطر على الخلافة الإسلامية في أواخر القرنين الثالث والرابع الهجريين، إلا أن الحالة العلمية فيهما كانت على قدر من الرقي؛ يعود ذلك إلى النشاط الذي شهدته حركة الترجمة التي وضعت المسلمين أمام ثروة معرفية كبيرة تتطلب منهم الفهم، والشرح، والإضافة، والتمحيص^١. وتنوعت تبعًا لذلك الاتجاهات الفكرية والدينية التي اتضح تأثيرها في شتى مؤلفات النشاط العلمي، ولا يعني ذلك توجيه أصابع الاتهام لأصحاب تلك المؤلفات بتمير توجهاتهم الفكرية المختلفة، لكن قد تتسلل بشكل تلقائي بعض الخطوط العريضة أو السمات العامة لتلك التوجهات إلى مؤلفاتهم.

• الحياة العقلية في القرن الرابع الهجري:

بدأ العصر العباسي مبكرًا منذ أواسط القرن الثاني الهجري، وتوصف الفترة ما بين القرن الثالث الهجري وبدايات القرن الرابع الهجري حسب المؤرخين بالعصر العباسي الثاني، بينما يطلق على أواخر القرن الرابع الهجري: العصر العباسي الثالث وما بعده^٢. وقد انتابت الخلافة الإسلامية العباسية في هذا القرن مظاهر الفتور والضعف؛ حيث تفككت الدولة الإسلامية إلى دويلات وممالك متعددة، بعدما كانت دولة

^١ ينظر: أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ج ١، القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م. ص ٨١، ٨٤

^٢ ينظر: جرجي زيدان، *تاريخ آداب اللغة العربية*، ج ٢، راجعه وعلق عليه: شوقي ضيف، مصر: دار الهلال،

د.ت، ص ١٠

واحدة^١، وتسلسل هذا التفكك إلى المجتمع الإسلامي الذي حضرت فيه الطبقة التي يتفاوت بها الناس مكانةً ودخلاً^٢.

وقد يظن المطلع على تاريخ الأمم أن قوة مملكة ما ترتبط بوحدتها، وضعفها قرين انقسامها، لكن لأحمد أمين رأي مختلف، فهو يرى أن ذلك المقياس غير مطرد؛ لأن كثيراً من الأقطار الإسلامية - حسب رأيه - في تلك الفترة كانت أفضل حالاً بعد انفصالها عن الخلافة في بغداد^٣. فالانقسام السياسي وحضور الطبقة في المجتمع قد يكونان دافعين للناس ليصنعوا التغيير، فيتهافتون إلى ما يرفع منزلتهم حتى لا يههوا إلى قاع تلك الطبقة، فيتمسكون بكل ما من شأنه أن يوجد لهم المكانة.

ومع وطأة هذه الاضطرابات السياسية والاجتماعية إلا أن الحركة العلمية والثقافية قد لاقت نشاطاً وازدهاراً كبيراً، حتى نُعت العصر العباسي بالعصر الإسلامي الذهبي؛ حيث ازدهرت فيه العلوم والآداب العربية، وتُرجمت العلوم الأجنبية، ووصل العقل العربي إلى درجة عالية من النضج فوجد سبيله للبحث والتأمل^٤. فبعد أن كانت القبيلة فيما مضى هي التي تحدد مكانة وموقع الإنسان في مجتمعه، أصبح العلم مناط العناية وسبيل الرفعة، فتسابق الناس إليه عرباً وعجمًا، ولا يعني ذلك انحسار القبائلية آنذاك، لكنها لم تعد المؤشر الأوحد ولا الأهم للمكانة العليا في المجتمع.

ويمكن إجمال العوامل التي أدت إلى هذه النهضة العلمية في الآتي:

- نكوص العصبية العربية وانفتاح العرب على غيرهم من الأمم، فامتزجوا بثقافات متعددة كالفارسية، والتركية، والسريانية، والرومية، والبربرية،

^١ ينظر: أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ج ١، ص ٨١

^٢ ينظر: شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني*، ط ٢، مصر: دار المعارف، ١٩٧٣م، ص ٥٣

^٣ ينظر: أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ج ١، ص ٨٣

^٤ ينظر: أحمد حسن الزيات، *تاريخ الأدب العربي*، القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت، ص ٢١٠

وامتد هذا التنوع إلى الدين، فظهرت فرق كثيرة ومتعددة، أبرزها : المعتزلة، والشيعة، والخورج^١.

- للخلفاء العباسيين دور كبير في هذه النهضة؛ حيث استحثوا العلماء، وأجزلوا لهم العطاء، ومثلهم في ذلك: حكام الولايات، الذين شاركوا الخلفاء في إكرام العلماء وتخصيصهم بالهبات والرواتب، وبلغ من إكرامهم للعلماء أنهم كانوا ينفقون حتى على من ينزل عليهم من علماء الولايات الأخرى^٢.

فقد أمر المعتضد أن يكون للزجاج^٣ النحوي -على سبيل المثال- "رزق في الندماء، ورزق في الفقهاء، ورزق في العلماء نحو ثلاثمائة دينار"^٤. وقد أمر الخليفة المقتدر لابن دريد^٥ اللغوي بخمسين دينارًا شهريًا تقديرًا لمكانته في العلم^٦. وإلى جانب تلك الرواتب الشهرية كان هناك عطايا خاصة بمؤلفات العلماء، فأبو عبيد القاسم بن سلام كان إذا أُلّف كتابًا حمله إلى عبدالله بن طاهر، فيجزيه به مالًا كثيرًا^٧.

فأصبحت المكانة العليا والثروة تبعًا لذلك قرين العلم والعلماء ومصاحبتهما، وأصبح العلم طريقًا إلى الخلفاء ونيل كراماتهم وعطاياهم، فكان كل "من تفوق في علم أو

^١ ينظر: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص ٢١١

^٢ ينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص ١١٩-١٢٠

^٣ هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، ت ٣١٠هـ. ينظر: ابن النديم، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٤م، ص ٨٤-٨٥

^٤ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب، ج، ١، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص ٦٣

^٥ هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، ت ٣١٢هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،

ج ٤، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م، ص ٣٢٣، ٣٢٨

^٦ ينظر: المرجع نفسه، ص ٣٢٦

^٧ ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٩٧

أدب فلا أمل في شهرته ونبوغه، وذيوع صيته وثروته، إلا إذا رحل إلى بغداد وتقرّب بعلمه وأدبه إلى خلفائها وأمرائها"^١.

- حركة الترجمة .

من باب التبدية أن يرتبط ذلك الانفتاح العربي على الأمم والأقوام المختلفة بنشاط حركة الترجمة عندهم، وقد زادت حدة حركة النقل والترجمة في العصر العباسي الثاني، وكان أكثر ما نقلوه من علوم عن اليونان، حتى إن شوقي ضيف يقول: "ويخيل إلى الإنسان أنهم لم يتركوا كتابًا يونانيًا في أصله اليوناني أو في ترجمته السريانية إلا ترجموه إلى العربية"^٢.

وقد كان من بالغ حرص العرب على الترجمة أنهم لم يكتفوا بالترجمة الواحدة، بل تعاقبت على النص الواحد العديد من الترجمات، حتى إن بعض كتب أرسطو المنطقية قد وصلت عدد ترجماته إلى أربع ترجمات، وقد انتقلوا في ذلك العصر من مرحلة العمل السريع وترجمة كل ما يقع في أيديهم إلى مرحلة التدقيق والتمحيص في تلك الترجمات^٣.

الترجمات^٣.

وقد تنوعت العلوم التي ترجموا لها، كالطب والفلك والرياضيات والجغرافيا، إلا أن أبرز علم قد دخل إلى سلم العلوم العربية هو علم المنطق الذي كان إفرازًا من إفرازات الفلسفة حيث كانت تضم آنذاك المنطق، والطبيعات، والرياضيات، وعلم النفس،

^١ أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ج ١، ص ٨٤

^٢ شوقي ضيف، *العصر العباسي الثاني*، ص ١٣١

^٣ ينظر: عبد الرحمن بدوي، *مقدمة تحقيقه ل: منطق أرسطو*، الكويت: وكالة المطبوعات، بيروت: دار القلم،

١٩٨٠م، ص ٧-٨

والاجتماع، وغيرها^١، وغدا أرسطو رائد هذا العلم المعلم الأول للعرب، خاصة في علمي المنطق والرياضيات^٢.

وقد كان لهذا العلم أثر كبير في الثقافة الإسلامية، حيث عرف المسلمون لأول مرة الفلسفة، ونتج عن ذلك الفلسفة الإسلامية التي ظهرت أولاً في علم الكلام، حيث اضطر المتكلمون للتسلح بها دفاعاً عن الإسلام، وكانت المعتزلة من أشد فرقهم بأساً وأكثرهم دفاعاً عن الإسلام، حتى إنهم جعلوا المناظرة والمجادلة ركناً من أركان الإسلام^٣.

كل هذه العوامل أنشأت حركة علمية وثقافية كبيرة لم يعرفها العرب من قبل، وأثرت في جوانب شتى على المؤلفات العربية، لعل أبرزها:

● انتقل التفسير في هذا القرن من التفسير بالمأثور إلى التفسير الذي كان يعتمد الرأي ويعمل العقل^٤، ومن أبرز التفاسير التي وصلت الذروة في التفسير بالمأثور: كتاب الزمخشري^٥ المسمى بالكشاف، حيث ساعدته معرفته بالعلوم العربية وتمكنه منها في بيان أساليب القرآن وبلاغته وإعجازه^٦.

وعلى الرغم من النزاع الحاصل حول كتب التفسير تلك والهجوم الذي تعرض له أصحابها، إلا أن منهجها في التفسير بالرأي وإعمال العقل قد أثر في عدد من العلوم،

^١ ينظر: أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ص ٣٥٥

^٢ ينظر: شوقي ضيف، *العصر العباسي الثاني*، ص ١٣١

^٣ ينظر: أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ج ١، ص ٣٥٦-٣٥٧

^٤ ينظر: المرجع نفسه، ص ٢٩٣-٢٩٥

^٥ هو أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، ت ٥٣٨هـ، ينظر: *ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب*، ج ٦، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص ٢٦٧٨،

٢٦٨٩

^٦ ينظر: أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ص ٢٩٦

حيث "تخلص علم اللغة [مثلاً]، كما تخلص علم الكلام من طريقة الفقهاء ومناهجهم حتى من الناحية الشكلية"^١.

فالمؤلفات لما كانت تعتمد المأثور وترفض الرأي في السابق، لم يكن للجدال مساحة، لكن لما ظهر التفسير العقلي، وأُعطي الرأي مساحته؛ اتسعت دائرة الأخذ والرد، فاحتشدت كثير من المؤلفات بأساليب حجاجية متنوعة، متباينة بين مؤلف وآخر، ومصنف وآخر.

ومن باب التضييق الحكم على تلك الأساليب الحجاجية المتناثرة في مؤلفات شتى^٢ بأنها كانت فقط نتاجاً لتعدد الفرق الكلامية، أو وسيلة لتمير مسالك دينية معينة، فالأمر - في ظني - أبعد من ذلك، لأن وجود الفرق الدينية وتعددتها وتنافسها، وإن ساعد بإغناء تلك الطرائق الحجاجية التي تتسلح بها كل فرقة للدفاع عن معتقداتها، لكنه ليس السبب الوحيد، فظروف ذلك العصر مجتمعة قد ساعدت في أن تحضر الأساليب الحجاجية في المصنفات بشكل أو بآخر؛ نتيجة توجه الفكر العربي عامة إلى أعمال العقل وإبداء الرأي، وبداية انسلاخه من تقديس الأولين وأقوالهم.

ولا بد من الإشارة إلى سمة تأليفية عامة في هذا القرن، وهي: تعمد الكُتَّاب والمؤلفين البساطة والوضوح في الأسلوب، ويذكر شوقي ضيف أن ذلك بدأ مبكراً منذ كتابي الجاحظ (الحيوان)، و(البيان والتبيين)، ومثلهما كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة؛ ويعمل لتلك السمة التأليفية في مؤلفات هذين القرنين بأن تلك الأساليب بمثابة التدريب للعامّة وتسليحهم بالنظريات الأرسطية، وطرائق المتكلمين، والمعترلة، وأساليبهم في

^١ آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج ١، ترجمة: محمد عبدالحادي أبو ريده، ط ٥ (ط ١: ١٩٤٠)، بيروت: دار الكتب العربي، د.ت، ص ٤٣٤

^٢ على سبيل المثال لا الحصر: الدراسة التي قامت بها أميمة الصبحي حول مؤلفات التوحيدي، وأيضا الدراسة التي قام بها محمد عدليل لكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، وغيرها من الدراسات التي حاول فيها الباحثون استجلاء البنى الحجاجية في مؤلفات القرن الرابع وما بعده بطرق مختلفة.

الجدال؛ حتى يتمكن العامة من محاورة أصحاب الملل الأخرى خاصة النصارى^١. ويُرجع الزيات تلك الرقة في الألفاظ إلى "انغماس القوم في الحضارة، وإخلادهم إلى الترف، وإيثار الموالي للكلم السهل والأسلوب البين، لأنهم حذقوا اللغة بالدراسة والصنعة، لا بالتلقين والطبع"^٢.

وهذا صحيح من جهة، إلا أن ذلك ليس السبب الوحيد لحضور تلك السمة التي تقصد إلى تأسيس الإقناع في النص أولاً، والذي يكون الإفهام أيسر سبله، خاصة مع تداخل العربية مع غيرها من الثقافات في تلك الفترة، الذي زادت معه الحاجة إلى البيان والإفصاح، فالتمازج بين العرب وغيرهم لم يكن قبل ذلك بهذا الحجم.

• موقف العرب من علم المنطق :

بعد النهضة التي استحوذت على العصر العباسي، واختراق اليونان نطاق الثقافة العربية، توسع العرب في العلوم اليونانية نقلاً وشرحاً وتعليقاً، وتداخلت مع علم المنطق آراء مذهبية وفكرية متعددة، وربما كان الجدل -خامس كتب أرسطو المنطقية^٣ - من أكثر العلوم التي تباينت فيها وجهات النظر.

يقول أحمد أمين موضحاً أثر الثقافة اليونانية في المسلمين: "كان لهذه الثقافة اليونانية أثر كبير في المسلمين، ومما زاد في أثرها أن اتصال المسلمين بها صاحب عصر تدوين العلوم العربية، فتسربت الثقافة اليونانية إليها، وصبغت صبغة خاصة، وكان لها تأثير كبير في الشكل والموضوع... وقد كان منطق أرسطو وشروحه العربية أوسع وأعمق مما بين أيدينا من كتب المنطق اليوم. فكان القياس يشتغل فيه حيزاً كبيراً، وفيه كتاب واسع في البرهان، وآخر في الجدل وكيف يكون، وكيف تسلك في إفحام الخصم، وكان

^١ ينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص ١٢٩

^٢ أحمد الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص ٢١٣

^٣ كتب أرسطو المنطقية هي: كتاب المقولات، وكتاب العبارة، وكتاب تحليل القياس، وكتاب البرهان، وكتاب الجدل، وكتاب السفسطة، وكتاب الخطابة، وكتاب الشعر. ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٣٠٧-٣٠٨

فيه باب للسفسطة وباب في الخطابة وباب في الشعر... وعلى كل حال كان للمنطق سلطان كبير على العقول في العصر العباسي، وكان من جزاء ذلك أن اصطبغت طريقة الجدل والبحث والتعبير والتدليل صبغة غير التي كانت تعرف من قبل"^١.

لكن لم يكن علم المنطق وخاصة الجدل محل قبول وترحيب كبيرين من كافة العرب، فتعددت تبعًا لذلك ردّات الفعل تجاهه، والتي يمكن تصنيفها في فرقتين:

- فرقة أحجمت عن علم المنطق، ورفضته وعدته خرقًا للعقيدة بل خروجًا منها، وبحسب طه عبدالرحمن فقد لقي علم المنطق في الحضارة العربية الإسلامية معارضة شديدة، وهي تقريبًا أشد معارضة لقيها علم منقول، كما أن المشتغلين به والقائمين عليه تعرضوا للمضايقة التي اتخذت أشكالًا عديدة: فقد عُدد علم المنطق فضولًا من القول أو خروجًا عن الفطرة ومرتعا للشناعات ومظنة للشبهات، بل ورجمًا بالغيب وخوضًا في لجج الباطل، وقد وبلغ هذا الأمر حدًا كبيرًا يصل إلى تحريمه ومصادرته^٢.

وتمثل مؤلفات ابن قتيبة على اختلاف موضوعاتها نموذجًا لذلك الاعتراض السائد على تقبل المعارف الجديدة وإنتاجها، ومن بالغ اعتراض ابن قتيبة أنه كان يرجع كل ما حل ببيئة العرب من آفات إلى التعلق بالفلسفة والمنطق، ورفضه للجدل مرجعه - في نظره - إلى فساد طوية المتجادلين وسوء توظيفهم إياه، وقد استهدف في كتابه تأويل مشكل القرآن أكثر الفرق دراية بالفلسفة وهم المتكلمين خاصة المعتزلة^٣.

وبقي صدى هذا الاعتراض حتى عند المتأخرين، يقول السيوطي في مقدمة كتابه صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام: "فقد كنت قديمًا...ألفت كتابًا في تحريم

^١ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ١، القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م، ص ٢٥٢-٢٥٣

^٢ ينظر: طه عبدالرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط ٢، الدار البيضاء/بيروت: المركز الثقافي العربي، د.ت،

ص ٣١٥

^٣ ينظر: عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي: خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية، عمان: كنوز المعرفة،

٢٠١٦م، ص ١٩٦-٢٠٠

الاشتغال بفن المنطق، سمّيته: (القول المشرق) ضمنته نقول أئمة الإسلام في ذمه وتحريمه^١، وهذه العبارة تقع في مقدمة كتاب قدّم فيه صاحبه استدلالاً معتبراً يتعلق بتحريم المنطق!

"ولم يكن موقف ابن قتيبة من الجدل خاصة والمنطق عامة حالة شاذة لا نظير لها في الحضارة العربية الإسلامية، بل كان امتداداً لحركة عامة مناهضة للمنطق ما فتئت تعظم وتبسط نفوذها وتحاصر من خالفها"^٢، فعلى الرغم من أن علم المنطق قد دخل إلى الحضارة العربية في وقت مبكر - منذ القرن الثاني -، لكن استيعاب العرب له استيعاباً يصل إلى حد النقد والاعتراض قد بدأ في هذا القرن.

ولعل الصبغة التجريدية - حسب طه عبدالرحمن - لعلم المنطق هي التي دعت أهل الممارسة التراثية إلى معارضة المنقول المنطقي، والتي تتعارض مع التوجه العملي الذي تتسم به أصول المجال التداولي الإسلامي العربي. فكان لزاماً أن يخضع هذا العلم إلى التقريب التداولي الإسلامي حتى يُكتب له القبول^٣.

- فرقة أخرى تلت علم المنطق بالإعجاب، وأحاطته بهالة من القدسية، وهم الفلاسفة العرب^٤، خاصة علماء الكلام الذين أحسوا بحاجة ماسة إلى الدفاع عن الإسلام دفاعاً مسلحاً بالفلسفة؛ ليواجهوا الخصم بمثل أسلحته. وكانت المعتزلة من أكثر الفرق الكلامية دفاعاً عن الإسلام، فكانوا

^١ جلال الدين السيوطي، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، ج ١، تحقيق: علي سامي النشار وسعاد علي عبدالرزاق، ط ٢ (ط ١ ١٩٤٦م)، مصر: سلسلة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٠م، ص ٣٣

^٢ عبد الله البهلول، الحجاج الجدي، ص ٢٠٦

^٣ ينظر: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص ٣١٢، ٣١٥

^٤ ينظر: عبدالرحمن الوكيل، مقدمة كتاب نقض المنطق لابن تيمية، تحقيق: سليمان الصنيع ومُجدد عبدالعزيز، وتصحيح: مُجدد الفقي، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥١م، ص ٦

يدحضون كل ما كان يثيره اليهود والنصارى والوثنيون من مزاعم دحضًا عقليًا فلسفيًا^١.

ومناطق الاعتناء في هذا البحث هو ارتباط الجدل بالحجاج في الثقافة العربية، فإذا كانت البيئة العربية تُحارب الجدل وتعدّه مزلقًا خطيرًا وشبهة تلوث في عقيدة صاحبها، فهل يعني ذلك أنها بيئة طاردة للبنىات الجدلية أو الحجاجية في النصوص المختلفة؟ وهل أثر ذلك على شكل النصوص وعلى هيمنة الإقناع في المؤلفات العربية؟

لقد أثر هذا الانقسام على قبول علوم المنطق في تلقي العلوم الجديدة بشكل مباشر في كثير من العلوم شكلاً ومضموناً، فأصبحت العلوم إما جامدة لا تقبل التغيير ولا التعديل ولا الإضافة، ويكون التغيير فيها بمثابة الخروج المرفوض عما انتهجه الأوائل، فهي تكتفي بما قال الأوائل وتقدسه، وإما مرنة وحية تتجدد وتتغير وتقبل الإضافة والآراء المختلفة.

ففي علوم الدين مثلاً قد مضى عصر الابتكار، وعُدَّ العلماء الأولون بمثابة المعصومين، ففي علم الفقه أصبح الفقيه لا يستطيع إصدار حكمه الخاص إلا في المسائل الصغيرة^٢، ومثله علم الحديث حيث ظهرت في القرن الرابع فكرة جواز الاكتفاء في رواية الحديث بما في كتب الصحاح الستة^٣.

أما علم اللغة مثلاً، فقد تخلص شكلياً من مناهج الفقهاء التي تعتمد المنقول؛ لأن علماء اللغة في القرن الرابع "قد شعروا بالحاجة إلى منهج يسيرون عليه، وإلى تناول مادة بحثهم بطريقة منظمة، وقد كان لمعرفة العرب بعلوم اليونان أثر كبير في ذلك"^٤. فمن مظاهر التجديد في العلوم أن المنهج قد دخل إلى مؤلفات العرب ضمناً، وقد كانت

^١ ينظر: أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ص ٣٠٢

^٢ ينظر: آدم ميتز، *الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري*، ج ١، ص ٣٨٧

^٣ ينظر: أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ص ٢٩٩

^٤ آدم ميتز، *الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري*، ج ١، ص ٤٣٤ - ٤٣٥

العلوم المنطقية اليونانية خاصة الجدل منها بمثابة المنهج الذي سار عليه كثير من العلماء والمؤلفين، بوعي أو دون وعي. ولا يعني ذلك تخلص علوم اللغة تماماً من طريقة الفقهاء والمحدثين، إذ تسللت إلى بعض علوم اللغة تلك الأفكار التي تمجد علوم الأوائل، وتشكك فيما عداها.

ومن مظاهر تلك المرونة التي أحاطت عددًا من العلوم: دخول العلل إلى علم النحو، فبدأ النحاة يبحثون عن علل الأحكام النحوية، بعد أن كانوا يتلقونها تلقياً، وشرعوا يوظفون شتى الطرق للمُحاجة عن مذاهبهم المختلفة، وقد "كان كثير ممن أولعوا بالتعليل النحوي والتفنن فيه من علماء المعتزلة، كأبي علي الفارسي، وابن جني، والرماني، وابن السراج، والزجاجي"^١، حيث يمكن القول إن "التعليل النحوي... صدى للتعليل المنطقي من ناحية، وللمجهود الفكري العام الذي فرض سلطانه على الباحثين في الدين واللغة فيما بعد"^٢.

أما علم البيان، فقد بين طه حسين أن البيان العربي -ابتداءً من القرن الثاني وحتى الخامس- كان في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولاً وبالبيان اليوناني أخيراً، وخلص طه حسين إلى قوله: "وإذا لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان"^٣.

لكن كان تأثير تلك المعارضة للعلوم المنطقية جزئياً أو على الأقل ليس ظاهراً بشكل كبير، بدليل أن كثيراً ممن عارض علم المنطق كان يلجأ إليه بشكل أو بآخر، فابن قتيبة مثلاً مع رفضه للجدل ومحاربه للعلوم المنطقية كانت مؤلفاته -حسب البهلول- موسومة بطابع جدلي، فهو يكتب ردًا على الفرق الكلامية خاصة المعتزلة منهم، ويوظف

^١ محمد عيد، أصول النحو العربي: في نظر النحاة وأبي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٩م، ط٤، (ط١: ١٩٧٣م)، ص ١١٦ (تم تعديل علامات الترقيم في النص المنقول).

^٢ المرجع نفسه، ص ١١٨

^٣ طه حسين، "البيان العربي من الجاحظ إلى عبدالقاهر"، من مقدمة كتاب نقد النشر المنسوب لقدماء بن جعفر، بيروت: دار الكتب العلمي، ١٩٨٢م، ص ٣١

ما استطاع من سبل الإقناع ليحذر ناشئة الكُتّاب من علوم الفلسفة والمنطق، مبيّنًا ما فيها من مجافاة للعقيدة الإسلامية^١. وهو مع مجافاته للفكر المعتزلي إلا أن تأثره بهم وبطرقهم في الحجاج واضح؛ فقد حاور فكرهم في مواضع عديدة من مصنفاته التي أفردتها لنقض أطروحات المعتزلة في العقيدة والأدب^٢.

والرفض في ظني كان لعقائد الفلاسفة والمتكلمين لا لمناهجهم، فابن تيمية - مثلاً - في كتابه المعنون ب(نقض المنطق) كان يُوجه كل عنايته لتلك الفئات، مُحاولًا الطعن في عقائدهم، فهو يبحث في: (كيف تناظر الصابئة والفلاسفة والمشركون)، و(ذم السلف للمتكلمين)، و(الفلاسفة والمتكلمين أكثر الناس افتراقًا واختلافًا)^٣، وغيرها من المباحث التي كان القصد منها بيان فساد باطن المتكلمين والفلاسفة.

فالحجاج لم يكن غائبًا عن العرب، بل كان مستقرًا في وعيهم، وحاضرًا في أساليبهم، فنجد الجاحظ^٤ مثلاً يلتفت له في أكثر من موضع في كتابه وإلى المسائل الحافة به من تعريف وأخلاقيات^٥، ويرى حمادي صمود أنه على الرغم من وعي الجاحظ بقضية الحجاج في القول إلا أن البلاغة أصبحت منذ مطلع القرن الرابع مسردًا بالوجوه

^١ ينظر: عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ص ٢٠٠

^٢ ينظر: مصطفى الغرافي، البلاغة والإيديولوجيا: دراسة في أنواع الخطاب النثري عند ابن قتيبة، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٥م، ص ٤٩

^٣ ينظر: ابن تيمية، نقض المنطق، تحقيق: مُجّد عبدالرزاق، وسليمان الصنيع، تحصح: مُجّد الفقي، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥١م.

^٤ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة البصري، من أدباء العصر العباسي، ت ٢٥٥هـ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب، ج ٥، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص ٢١٠١، ٢١٢٢

^٥ ينظر: علي مُجّد علي سلمان، الحجاج عند البلاغيين العرب، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية محكمة)، ج ١، ص ١٦٥

وأتماط البديع وأساليب أداء المعنى القائمة في النص، وأن البلاغيين والنقاد انشغلوا ببلاغة العبارة لا ببلاغة النص^١.

فالعرب قد لجأوا إلى المنطق وأساليبه المختلفة من قياس وبرهان وجدل، وإن كانوا أحياناً لأسباب دينية يغيرون مسماها، أو يصطلحون على اسم جديد لها، فالاستدلال أو الاحتجاج أو الاعتبار—مثلاً—الذي نجده حاضراً في كتب الفقهاء والبلاغيين وعلماء الكلام هو قياس، لكنهم تجنبوا هذا المصطلح لما يشوبه من إشكالات، فالقياس والاستدلال والنظر والاعتبار كلها أسماء لعملية واحدة تقوم على تقدير شيء على مثال شيء آخر لجامع بينهما، ولكن المصطلحات لا تحمل دلالتها العلمية وحدها، بل كثيراً ما تحمل مضامين ذات طابع أيديولوجي^٢.

وقد يكون غياب مصطلح الحجاج أو قلة حضوره مع وعيهم به مرده ارتباط الحجاج في الثقافة العربية بالجدل، الذي ارتبط بالمنظرات الكلامية، والجدل ليس جديداً على هذه الثقافة؛ إذ قامت العقيدة الإسلامية على أسس جدلية حينما ناظرت من يخالفها، وأبرزهم: اليهود، والنصارى، كما شكلت دعوة حوارية تعاونية قادرة على الاستدلال والمطالبة بالبين^٣. فالحجاج بأساليبه المختلفة قائم في أذهانهم ومؤلفاتهم، لكنه بعد دخول الثقافة اليونانية اتخذ شكلاً ممنهجاً، وأضحى أكثر وضوحاً.

ومن البدهي أن يتأثر ابن جني بكل ظروف عصره العلمية، وبطرقهم وبأساليبهم التأليفية، وأن يتلون أسلوبه بما هو سائد في ذلك العصر، فطريقة الحجاج في كتاب

١ ينظر: حمادي صمود، المقدمة النظرية للمصطلح، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم)، ص ٢٣

٢ ينظر: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ط٩ (ط١):

١٩٨٦م)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩م، ص ١٤٣-١٤٤

٣ ينظر: عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، بيروت: منشورات ضفاف، الجزائر: منشورات الاختلاف، الرباط: دار الأمان، ٢٠١٣م، ص ١٣٢

الخصائص متأثرة بما أحاط القرن الرابع الهجري وما قبله من تطورات علمية سواء في الشكل أو في المنهج المتبع.

لكن هل كان ذلك التأثير نتاجًا لمجموع الظروف الاجتماعية والسياسية التي شكلت تلك الهوية العلمية لعصره فحسب، أو أن هناك عوامل أخرى تخص شخصية ابن جني وتكوينه العلمي قد أثرت في ذلك؟ ذلك التأثير الذي يتضمن حضور الحجاج في كتاب الخصائص لابن جني، والذي ستوضح تجلياته الحجاجية في كتاب الخصائص في المبحث الثالث، بينما سيكون المبحث القادم بحثًا عن مدى تأثير الظروف الحياتية لابن جني في تلك التظاهرات الحجاجية في كتابه.

الفصل الأول

المبحث الثاني

(خلفية الحجاج عند ابن جني)

لما كان عصر ابن جني مرتكزًا على نهضة علمية قامت على علوم المنطق، وأثرت في شكل ومضمون الكتابة، كان من الضروري تبين ملامح الخلفية الحجاجية لشخصية ابن جني نفسه بعيدًا عن عصره؛ وصولًا لأثر البناء الفكري والعقدي لابن جني في شكل حجاجه. فهل هيمنة الوظيفة الحجاجية في نصوص ابن جني إفراز من إفرازات عصره فحسب، أو أن للمسلك العقدي والفكري الذي ينتهجه تأثيرًا في شكل حجاجه؟

إن تبين ملامح تجربته الفكرية والمذهبية قد يكون مدخلًا لفهم خصوصية النص الحجاجي في كتاب الخصائص. التي سيتم مناقشتها في المبحث القادم.

● النشأة والتكوين:

وُلد أبو الفتح عثمان بن جني في الموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة للهجرة^١، ونشأ بها، وكان ابناً لمملوك رومي لسليمان بن فهد الأزدي الموصلية يُدعى (جَيّ)، وقد برع أبو الفتح في علوم العربية خاصة علوم النحو وأصوله والتصريف^٢.

وتكاد الأحوال الاجتماعية في العراق في تلك الفترة التي عاشها ابن جني تماثل سوء الأحوال السياسية، وكانت الطبقية أبرز مظاهرها، فوجدت طبقة تعتر بدمها ونسبها، وأخرى تعتر بمناصب الدولة، وبين هذه وتلك نشأت على استحياء طبقة ثالثة تعتر بالعلم أو الدين، وهو اعتزاز في أوساط الخاصة^٣. وكأنها نشأت لتعبر عن وجودها وسط تلك الأجواء العنصرية الصاخبة، وكثير من علماء ذلك الزمان لم يكونوا عرباً، وقد وجد هؤلاء العلماء في العلم سبيلاً للمكانة والشرف، حتى إن ابن جني يقول:

فإن أصبح بلا نسبٍ فعلمي في الورى نسبي
على أيّ أوّلٍ إلى قُرومٍ سادةٍ مُجِبٍ
قياصرةً إذا نطقوا أرمّ الدهرُ ذو الخُطْبِ
أولاك دعَا النبيُّ لهم كفى شرفاً دعَاءُ نبيّ^٤.

^١ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م، ص ٢٤٨

^٢ ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب، ج ٤، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص ١٥٨٥

^٣ ينظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ص ١٠٤ - ١٠٥

^٤ أرم تعني: سكت.

^٥ البيت من الهزج، ينظر: جمال الدين القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ٣، تحقيق: مُجَدُّ أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م، ص ٣٣٥ / ياقوت الحموي، معجم الأدباء، م ٤، ص ١٥٨٦ (وقوله: "ذو الخطب" جاءت في معجم الأدباء: "في الخطب") / ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٤٦.

فجعل انتسابه للعلم؛ حيث إن أباه كان مملوكًا روميًا، وبالتالي هو لا يملك ذلك النسب العربي الأصيل الذي يتغنى به العرب آنذاك، وكأنه قد تأثر بالعرب تأثرًا جعله يتألم من قوله: (بلا نسب)، فأمسى يدافع عن نسبه الرومي وعن انتسابه للقيصرة العظام الذين ملكوا الدنيا في زمن من الأزمان.

وهذه الأبيات التي قالها لا تدل على شعوبيته ولا بغضه للعرب؛ فهو لم ينتقص أمة ولا شعبًا، وإنما ذكر انتسابه إلى العلم لأجل الانتساب^١، لكن الشعور بالنقص لا بد وأن يظهر مع تلك الأجواء الاجتماعية التي حضرت فيها الطبقية، "وكأنما كان ابن جني يحس ضعة عند الناس أنه لم يكن من أصل عربي، فعُني أن ينضح عن نفسه"^٢، فظل يحاول إقناع الآخرين بعربيته المبتورة من خلال اعتزازه بلغة العرب، وقيامه بالدفاع عنها والتأليف فيها، ويمكن عدّ هذه العربية الناقصة عتبه من عتبات الحجاج الكبيرة في كتابات ابن جني.

وكانت العراق آنذاك محكومة بسلطة الأتراك، وإن كانت تحمل شكلاً اسم الخلفية العباسي، وهي مازالت مركز الصدارة في العلم والأدب من عهد المتوكل حتى أواخر عهد البويهيين، وكان معظم العلماء ينزعون إلى الابتعاد عن الأمور السياسية المضطربة مما ساعد في رقي الحركة العلمية، وشجع الخلفاء ذلك بواسطة تبجيل العلماء متى لم يدخلوا في السياسة^٣.

وعلى الرغم من تحاشي العلماء للسياسة وأهلها، إلا أن كثيرًا منهم كان في بلاط الأمراء والخلفاء، فابن جني كان ملازمًا لأمرء البيت البويهي: عضد الدولة وأبناؤه صمصام الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة^٤، ويمكن الاعتذار للعلماء في ذلك؛ لأن

^١ ينظر: مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الميسرة: في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، ج ٢، بريطانيا:

سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، ٢٠٠٣م، ص ١٥١٠

^٢ محمد علي النجار، مقدمة الخصائص، ص ٧

^٣ ينظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ص ٨٥-٨٦، ١٨٣-١٨٤

^٤ ينظر: جمال الدين القفطي، إنباه الرواة، ج ٣، ص ٣٤٠

الأوضاع المالية للدولة في تلك الفترة كانت غاية في الاضطراب، فهي إما أن تميل إلى إسراف وبذخ شديدين أو إلى بؤس وفقير مقدر^١، ولا يعني ذلك أن ابن جني أو غيره ممن لازم العلماء كان يتكسب بعلمه، لكن الأمان المالي وبيوت الخلفاء والأمراء صنعت نوعاً ما بيئة خصبة يستطيع أن يُنتج فيها الأديب، وأن يؤلف فيها العالم دون أن يفكر في شظف العيش ولقمته.

وقد سبق في المبحث السابق بيان تأثير الحياة العامة في ذلك العصر بالثقافة اليونانية خاصة علوم المنطق منها، وانتشار الترجمات المتعددة للكتب المنطقية والفلسفية، "وعلى الجملة فقد كانت الحركة الفلسفية في العراق من أرقى الحركات الفلسفية في المملكة الإسلامية"^٢، ومن المُرجَّح تأثر ابن جني بهذه الكتب حتى لو لم تشر كتب التراجم لذلك، لكن يمكن الاستدلال على احتفائه بالمنطق الأرسطي بكثافة حضور ألفاظ الاستدلال عنده، من قبيل: طريق الاستدلال، ووجه الاستدلال، ووجه الفساد، والصواب، والاحتجاج، والحجة، والدليل، والجواز، وسقوط الحكم، والجدال، وغيرها. ويمكن الاستدلال على ذلك أيضاً بكثرة استخدامه لبعض التقنيات الجدلية مثل: الحوار الذي يعتمد استراتيجية السؤال والجواب، والاحتكام في حوارهِ إلى بعض السلطات اللغوية مثل أصول النحو، وأقوال علماء العربية بشتى توجهاتها.

ويمكن التمثيل لذلك بقضية التغيرين اللذين يعترضان في المثال الواحد، التي انطلق فيها ابن جني من منطلق أن القياس يسوغ البدء بأيهما شئت، ثم علّل لكل وجه منها بما يفيدهِ، ويقول وهو في طور النقاش: "فإن قلت: فهلا استدلت بقولهم في مثال فعول من القوة: قَيَّو على أن التغيير إذا وجب في الجهتين فينبغي أن يبدأ بالأول منهما، ألا ترى أن أصل هذا قَوَّو، فبدأ بتغيير الأولين فقال: قَيَّو، ولم يغير الآخرين فيقول: قَوَّي؟ قيل: هذا اعتبار فاسد. وذلك أنه لو بدأ بغير من الآخر لما وجد بدا من أن يغير الأول أيضاً؛ (لأنه لو أبدل الآخر فصار إلى قوى للزمه أن يبدل الأول أيضاً) ... وإنما

^١ ينظر: أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ص ١٠٢

^٢ أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ص ١٩٢

كان يجب عليه أيضًا تغيير الأوليين لأنهما ليستا عينين فنصحنا؛ كبنائك فعلاً من قلت: قَوْل، وإنما هما عين وواو زائدة"، فيلاحظ غنى النص على الرغم من قصره بمفردات تنتسب إلى المنطق وعلومه، وهي تلك الكلمات التي تُعنى بالوجوب والجواز والمنع والاستدلال، وغناه أيضًا ببعض الإستراتيجيات الجدلية كالحوار، واعتماده القياس في الحجة والحجة المعاندة لها.

ومما يذكر في هذا الشأن أن ابن جني كان يلجأ كثيراً للتقسيمات والتصنيفات المنطقية، ولعل ذلك أثر من آثار تأثره بالمنطق الأرسطي، فهو يفصل في المادة المبحوثة قدر احتمالها، ويقبلها على كل أوجهها المحتملة، على سبيل المثال: ما قاله في باب الاطراد والشذوذ حينما قسم الكلام من حيث الاطراد والشذوذ أربعة أضرب، وهي^٢:

- ١- المطرد في القياس والاستعمال جميعاً.
- ٢- المطرد في القياس، الشاذ في الاستعمال.
- ٣- المطرد في الاستعمال، الشاذ في القياس
- ٤- الشاذ في القياس والاستعمال جميعاً.

فاستوفى كل التقسيمات الممكنة للكلام في هذه الكيفية، ومثلها أيضًا تصنيفه في أحكام المثليين التي صنفها كالتالي^٣:

الزمرة الأولى: وتختص بما يكون فيه المثلان أصلان، وهي تنقسم قسمين

هما:

^١ ابن جني، الخصائص، ج٣، تحقيق: مُحمَّد النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م، ص ١٤

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج١، تحقيق: مُحمَّد النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م، ص

٩٧-٩٧

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج٢، ص ٥٦-٦١

أ- القسم الأول: الكلمة التي يجتمع فيها حرف أصل ومعه حرفان مثلان، سواء أكان الحرفان متصلين أم منفصلين. مثل: قصَصَت.

- ب- القسم الثاني: الكلمة التي يجتمع فيها حرفان أصلاً ومعهما حرفان مثلان، ويجعل هذا القسم على خمسة أضرب هي:
- ١- الأول: إذا كان هناك تكرير على تساوي حال الحرفين، ويعني الكلمات التي يتفق فيها الحرفان الأول والثالث، والثاني والرابع. نحو: صعصع.
 - ٢- الثاني: إذا اتفق الحرفان الأول والثالث، واختلف الثاني والرابع. نحو: جَرَجَم.
 - ٣- الثالث: إذا اتفق الحرفان الثاني والرابع، واختلف الأول والثالث. نحو: قِسْطَاس.
 - ٤- الرابع: إذا اتفق الحرفان الأول والرابع، واختلف الثاني والثالث. نحو: قُرْبَق.
 - ٥- الخامس: إذا اتفق الحرفان الأول والثاني، واختلف الثالث والرابع. نحو: زَيْرْفُون.

ج- القسم الثالث: الكلمة التي يجتمع فيها ثلاثة أحرف أصول ومعها مثلان غير ملتقيين، فهما أيضاً أصلاً. نحو: زَبَعْبَق.

الزمرة الثانية: وتختص بما يكون فيه أحد المثلين زائداً، وهي تنقسم قسمين هنا:

- أ- القسم الأول: ما يكون فيه المثلان طرفاً. نحو: جَلْبَب.
- ب- القسم الثاني: ما يكون فيه المثلان حشواً. نحو: كَسَّرَ، وقطَّع.

وهذه التقسيمات المتشعبة والمتفرعة لا تكاد تترك فراغاً يمكن سده فيها، حتى إن ابن جني يقول فيها: "فهذه هي الأصول التي يكون فيها المثان أصليين. وما علمنا أن وراء ما حضرنا وأحضرناه منها مطلوباً فيتعجب بالتماسه وتطلبه"^١، وواضح من هذا التقسيم مدى إيغاله فيه، فهو قلب المادة إلى كل أوجهها المنطقية الممكنة.

وقد تلقى ابن جني العلم على يد عدد من الشيوخ تفرقت توجهاتهم العلمية، فمنهم من برع في الشعر والأدب، ومنهم من تمكن من النحو، ومنهم من ألم باللغة ونشط في الرواية، ومنهم من جمع إلى جانب ذلك معرفة بالفقه وأصوله، مما أتاح لابن جني تكويناً ثقافياً موسوعياً في حقول معرفية متنوعة.

فمن الشيوخ الذين قرأ عليهم واستفاد منهم: ابن مقسم أبو بكر محمد بن الحسن، وهو عالم بالشعر واللغة^٢، و"من القراء، وكان راوية ثعلب"^٣، "وقد تردد اسم ابن مقسم مراراً في كتب ابن جني كسر الصناعة والمبهج والخصائص"^٤، ومنهم أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني^٥، الذي امتاز بالشعر والأدب والرواية^٦، ومن شيوخه أيضاً الأخفش أحمد من محمد الموصلي الذي "كان إماماً في النحو، فقيهاً فاضلاً، عارفاً بالمذهب الشافعي، قرأ عليه ابن جني"^٧، "كما استفاد من أبي القطان أحمد من محمد بن عبدالله... [الذي] كان صادقاً أديباً شاعراً راوية للأدب"^٨، وغيرهم^٩، فهذا التنوع الثقافي

^١ المصدر نفسه، ص ٥٨

^٢ ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٥٢

^٣ محمد علي النجار، مقدمة الخصائص، ص ١٤

^٤ فاضل السامرائي، ابن جني النحوي، بغداد: دار النذير، ١٩٦٩م، ص ٢٨

^٥ أشار السامرائي إلى عدد من المواضع في سر الصناعة التي ذكر فيها ابن جني قراءته على أبي الفرج، ينظر:

المرجع نفسه، ص ٢٩

^٦ ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٤

^٧ جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين، ج ١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،

ط ٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩م، ص ٣٨٩

^٨ فاضل السامرائي، ابن جني النحوي، ص ٢٩

الثقافي قد خلق لابن جني عقلاً خصباً منفتحاً يتقبل الآراء بمختلف توجهاتها، ويختار منها ويدافع عنها بما يراه مناسباً. ومن أهم شيوخه الذين تأثر بهم:

• أبو علي الفارسي:

لا يمكن الحديث عن نشأة ابن جني وتكوينه العلمي دون المرور بأستاذه أبي علي الفارسي، فالحموي يذكر أنه صحب أبا علي أربعين سنة^٢، "وتبعه في أسفاره، وخلا به في مقامه، واستملى منه، وأخذ عنه،.. ووقف أبو علي على تصانيفه واستجاده"^٣. و
وقد كان لأبي علي الفارسي أكبر الأثر في طريقة تفكيره ومنهجه في البحث^٤، فهو "الذي أحسن تخريجه ونهج له البحث، وفتق له سبل الاستقصاء والتوسع في التفكير"^٥، وقد أثر ذلك في طريقة تعاطي ابن جني مع النصوص، وفي طريقة حجاجه. ويمكن إيجاز العلاقة بين أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني في محورين هما:

• أولاً: طبيعة العلاقة بينهما:

^١ أشار السامرائي إلى آخرين استفاد منهم ابن جني بواسطة القراءة والتحديث، ينظر: المرجع نفسه، ص ٣٠

^٢ ينظر: معجم الأدباء، ٤م، ص ١٥٨٩

^٣ القفطي، إنباه الرواة، ج ٣، ص ٣٣٦

^٤ ينظر: فاضل السامرائي، ابن جني النحوي، ص ٤٥

^٥ النجار، مقدمة الخصائص، ص ١٤

كانت العلاقة بين أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني علاقة تتوسم "بأوثق الأسباب وأمتن العُرَا. وكان ابن جني يظهر من التعلق به التقبل لرأيه والانتفاع بعلمه أحسن ما يُظهر تلميذًا لأستاذه"^١، فهو يشير إليه في الخصائص في حوالي (١١٤) موضعًا، وكان كثيرًا ما يترحم عليه عندما يذكره، فيقول: "فهذا قول؛ وهو لأبي علي - رحمه الله -"^٢.

كما أنه يَعُول على رأيه في بعض المسائل ويحيل إليه، وذلك مثل قوله في باب الساكن والمتحرك: "ولأبي علي - رحمه الله - مسألتان: طويلة قديمة، وقصيرة حديثة، كلتاها في الكلام على الحرف المبتدأ أيمن أن يكون ساكنًا أم لا. فقد غنينا بهما أن نتكلف نحن شيئًا من هذا الشرح في معناهما"^٣، فهو لا يكتفي بالإحالة على رأيه في هاتين المسألتين، بل ويرى أن ما قاله أبو علي فيهما شافٍ كافٍ يغني عن الشرح والتوضيح.

● ثانيًا: طريقته في التلقي:

كان ابن جني يكثر من التأمل في اللغة، بل إنه يدعو في كثير من المواضع إلى إنعام النظر وإطالة التأمل، وهو لا يتحرج من ذكر رأيه في أي مسألة كانت، ولا يتردد في الاختيار بين المذاهب المختلفة مما يراه صوابًا، حتى لو عنى ذلك مخالفة أستاذه أبي علي.

فهو عندما يختار رأيًا أو تفسيرًا لأستاذه نراه يحيل إليه ويشيد به، مثل قوله: "وهذا تفسير أبي علي عن أبي بكر، وما أحسنه!"^٤، وقوله: "وهو رأي أبي علي رحمه الله، وعنه أخذته لفظًا ومراجعة وبحثًا"^٥، لكنه لا يتفق دائمًا وآراء أستاذه فقد يخالفه

^١ المصدر نفسه، ص ١٦

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٨٠

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣٢٩

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ١٠٥

^٥ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٢٠

ويعترض عليه مبرراً ذلك الاختلاف، مثل قوله: "واعلم أن هذا القول من أبي علي غير مرضي عندي؛ لما أذكره لك"^١.

وتلك القدرة على فحص المذاهب، والاختيار، والتعليل، والتفسير عند ابن جني إنما هي أثر من آثار شيخه أبي علي، فطبيعة العلاقة بينهما تميل إلى المدارس والمباحث، فأبو علي يُعلم ابن جني كما أنه يتعلم منه ويسأله ويقبل رأيه واختلافه، ويدلنا على ذلك مواضع كثيرة من الخصائص، منها قوله: "وكنيت عرضت هذا الموضوع على أبي علي - رحمه الله - فرضيه وأحسن تقبله"^٢، وقوله: "وقلت مرة لأبي علي - وهذا الموضوع يقرأ عليه من كتاب أصول أبي بكر - رحمه الله -: يجوز أن يكون تنوحي مقصورة من تنوءاء بمنزلة بزوءاء، فسمع ذلك وعرف صحته"^٣.

وهكذا تكلفت هذه العلاقة بين التلميذ وأستاذه ببناء عقلية تتقبل الاختلاف والآراء، ولها القدرة على مواجهة المسائل الخلافية، والاختيار بين المتغيرات المختلفة فيها ثم التبرير لذلك الاختيار.

• الاعتزال:

أشار السيوطي إلى أن ابن جني وشيخه أبا علي الفارسي معتزليان^٤، ولم تشر كتب التراجم ولا كتب ابن جني - فيما أعلم - إلى ذلك، وقد حاول بعض الباحثين تلمس مظاهر هذه الاعتزالية في كتاب ابن جني ووجدوا ما يمكن عدّه دليلاً على ذلك

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ١٠٠

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٢٣

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ١٩٢

^٤ ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج ١، القاهرة: دار القدس، ٢٠٠٩م، ص ٣٣

من خلال بعض العبارات التي تؤكد بعض مبادئ المعتزلة العقديّة^١، لكن ما يهم في هذا البحث هو بيان علاقة هذا الاعتزال بالحجاج وشكله عند ابن جني في الخصائص.

يعد منهج الاعتزال - وهو منهج المعتزلة أحد الفرق التي انبثقت من علم الكلام - رافداً ثقافياً كبيراً، اتكأ عليه ابن جني واستقى منه منهجه في البحث والتلقي وإن لم يصرح به. وهذا يؤكد ما سبق تقريره من أن ابن جني قد تأثر بالمنطق الأرسطي، فالثقافة اليونانية التي انتشرت في العالم الإسلامي في وقت مبكر، وأثرت في جوانب شتى من الثقافة العربية "كانت أكثر وضوحاً في بيئات المتكلمين، ولا سيما المعتزلة الذين وجدوا فيها... عوناً في مناظراتهم مع النصارى واليهود والمجوس وغيرهم من الطوائف التي كانت تعتصم بالفلسفة والمنطق، وتتخذ منها سلاحاً قوياً في الدفاع عن عقائدهم ومهاجمة الإسلام"^٢.

ولا يتعلق هذا البحث في التنقيب عن عقائد هؤلاء المعتزلة الدينية والحكم عليها أو تقويمها، لكن ما يهم هنا هو منهج المعتزلة في بحثهم النقدي والبلاغي ومصادر ذلك البحث، الذي يمكن تلمس خطوطه العريضة في كتابة ابن جني، وأبرز تحليلاته:

• يمكن القول إن منهج المعتزلة قائم على النزعات الخلافية والاعتراض في شتى المجالات، دينية كانت أو سياسية أو أصولية. والاختلاف "بوصفه جنساً من القول ينشأ عند تباعد الرأيين وذهاب كل من الخصمين إلى أحد النقيضين، [أما] مبدأ الاعتراض [فهو الذي] ينهض به كل مجادل، فيؤدي وظيفتين: دعم أطروحتة، ودحض أطروحة خصمه"^٣.

^١ ينظر: مُجد علي النجار، مقدمة الخصائص، ص ٤٢-٤٣ / فاضل السامرائي، ابن جني النحوي، ص ٥٢ -

٥٤ / مجموعة مؤلفين، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، ج ٢، ص ١٥٠٥ -

١٥٠٦

^٢ وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدوحة: دار

الثقافة، ١٩٨٥م، ص ٤٠٦

^٣ عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ص ١٦٦

ومجموع آراء المعتزلة ومشمول معتقداتهم ليست جديدة تمامًا على الثقافة الإسلامية، لكنهم أنعموا النظر في مختلف المسائل عند الفرق الإسلامية المختلفة، واختاروا منها ما استحسنوه من الآراء، وكونوا من هذه الآراء المختارة نظرية عُرفوا بها^١. ووقفوا موقف المدافع لكل من يعترض على هذه الآراء أو يرفضها، مؤطرين ذلك كله بالمنطق وعلومه وطرائق الجدل المختلفة، فمنهجهم عامة قائم على الاختيار، ومن ثم الدفاع عن هذا الاختيار.

وهذا الأثر بيّن في كتاب ابن جني، فهو في كثير من المواضع يعرض الآراء ثم يختار منها، ثم يدافع عن اختياره ويبرره، فهو يعرض -مثلاً- في مسألة أصل وضع اللغة في البناء والإعراب، وينقل رأيين لأبي الحسن^٢، هما:

- ١- أن اللغة في أصل وضعها فيها المعرب والمبني، فالعرب توقعت للحروف وبعض الأسماء والأفعال أن يكثر استعمالها، فغيروها وجعلوها مبنية من أول الوضع.
- ٢- أن اللغة كانت قديمًا كلها معربة، فلما كثرت لاحقًا عُيِّرت.

ثم يختار القول الأول، ويستدل على اختياره قائلاً: "القول عندي هو الأول؛ لأنه أدل على حكمتها، وأشهد لها بعلمه بمصاير أمرها، فتركوا بعض الكلام مبنيًا غير معرب؛ نحو: أمس، وهؤلاء، ... واحتملوا ما لا يؤمن معه من اللبس؛ لأنهم إذا خافوا ذلك زادوا كلمة أو كلمتين، فكان ذلك أخف عليهم من تجشمهم اختلاف الإعراب واتقائهم الزيغ والزلل فيه..."^٣، وكتاب الخصائص غني جدًا بهذا الأسلوب الذي يتعلق بعرض المذاهب والاختيار بينها، أو حتى دحضها كلها والإتيان بما يراه ابن جني صوابًا.

^١ ينظر: وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، ص ١٤

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣١

^٣ المصدر نفسه، ص ٣١-٣٢

● ومن أبرز مبادئ المعتزلة كذلك الاعتماد على العقل بوصفه وسيلة للاستدلال، والاحتكام إليه في مختلف القضايا؛ لأنه كان على المعتزلة في ظل توافد التيارات المختلفة على العالم الإسلامي أن ينظموا وسائلهم لمواجهةهم والرد عليهم، خاصة وأن معظم هذه التيارات والعقائد كانت تتكئ على فلسفات تتصف بالشمول والعمق النظري^١.

ويذكر نصر أبو زيد أنهم لأجل ذلك تخلو عن أدلتهم الدينية المستمدة من الكتاب والسنة، إلى أدلة جديدة تعتمد على العقل^٢، ولما كان الترك المطلق والتفرغ من المعاني اللغوية للتخلي، كان هذا الرأي مشكوكًا فيه؛ لأن المعتزلة لم يتركوا الأدلة النقلية، إنما فقط قدموا عليها تلك الأدلة التي تستند إلى العقل.

ولعل أبرز مظهر من مظاهر اعتماد ابن جني على العقل هو تمجيده للقياس، ويكاد القياس اللغوي أن يكون انعكاسًا للقياس المنطقي في أبسط صورته، فالقياس اللغوي هو "حمل غير المنقول على المنقول، إذا كان في معناه كرفع الفاعل ونصب المفعول"^٣، أما القياس المنطقي فهو "قول إذا وضعت فيه أشياء أكثر من واحد، لزم من الاضطرار عن تلك الأشياء الموضوعة بذاتها، لا بالعرض، شيء ما آخر غيرها"^٤، فكلاهما حمل شيء على آخر من منطلق معياري، ويمكن التمثيل لأي قاعدة لغوية تعتمد القياس المعياري بشكل القياس المنطقي، على سبيل المثال:

مقدمة صغرى: كل فاعل مرفوع.

^١ ينظر: نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير: دراسة في قضايا المجاز في القرآن عند المعتزلة، الدار البيضاء، ط٤، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م، ص ٤٥

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٤٥

^٣ أبو البركات عبدالرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري، الإغراب في جمل الإعراب، تحقيق سعيد الأفغاني، دمشق: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٧م، ص ٤٥ .

^٤ ابن رشد، تلخيص القياس لأرسطو، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨م، ص ٢٩

مقدمة كبرى: مُجَدَّ في جملة: (جاء مُجَدَّ) فاعل.

نتيجة: مُجَدَّ مرفوع.

فكان القياس بمثابة القالب الكبير الذي صبَّ فيه العرب قضاياهم اللغوية، وهم يرجعون إليه في كل حجاج يختص بتلك القضايا.

يقول ابن جني في تحديده لمفهوم القياس: "هذا موضوع شريف وأكثر الناس يضعف عن احتمالها، لغموضه ولطفه، والمنفعة به عامة، والتساند إليه مقوم مجد . وقد نص أبو عثمان عليه فقال : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"، فيصفه بالموضع الشريف والصعب والكثير النفع، وأن الاحتكام إليه منفذ قوة في الحجاج، وهو مع تمجيده للقياس إلا أنه يتبع منهج العرب فيه فيقول: "واعلم أن الشيء إذا اطرده في الاستعمال وشد عن القياس، فلا بد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره... فإن كان الشيء شاذاً في السماع مطرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله...".^٢

● ويدلنا القياس على مبدأ آخر من مبادئ المعتزلة هو الاتساع اللغوي، فقد برع المعتزلة في اللغة، وتوسعوا فيها توسعاً شديداً، ولم يكن ذلك التوسع مجرد نظرية أدبية كما يقول نصر حامد، بل كان دافعاً شخصياً لأن اللغة إنما تساعدهم في تأويل النصوص أو ليها حتى تتوافق مع أهدافهم المعتزلية^٣، وتساعدهم أيضاً في تنفيذ فرضية الخصم ومعارضتها من نفس المنطلق وهو التوسع في تأويل النصوص وتحويرها.

ومظاهر التوسع اللغوي في كتاب الخصائص متنوعة ومتعددة، أذكر منها^٤:

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٥٧

^٢ المصدر نفسه، ص ٩٩

^٣ ينظر: نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص ٤٤٣

^٤ أشار إلى معظمها نصر حامد أبو زيد، ينظر: المرجع نفسه، ص ٤٤٢

- نظرية الاشتقاق اللغوي (الاشتقاق الأكبر) التي ابتكرها ابن جني بإيعاز من شيخه أبي علي، وهي إحدى أبرز مظاهر التوسع اللغوي، فالاشتقاق "من أكبر الحيشيات القياسية التي تمدُّ اللغة بجملة مفردات لا يجدُ المتكلمُ إليها سبيلاً بسواه"^١.

- اتسع ابن جني في القياس حتى قرر أنه جائز على كل لغات العرب في باب: (اختلاف اللغات وكلها حجة)، وهذا مما لا شك من باب التوسع اللغوي؛ لأنه جعل اللهجات كلها صحيحة في لغة العرب، وأنه لا يمكن تخطئة لهجة ما؛ لأن القياس متسع ويقبلها جميعاً، مع جواز الاختيار بينها، والحكم بقوة لهجة ما على أختها حسب ما يقتضيه القياس^٢.

- خالف ابن جني من كان قبله، وأجاز للمحدثين ارتكاب الضرورات في الشعر قياساً على ما كان العرب يرتكبونه من الضرورات. فيقول: "كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم فكذلك يجوز أن نقيس شعرنا على شعرهم، فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا..."^٣، واتساعه في قبول هذه الضرورة حتى من المحدثين يدعم الاتساع اللغوي من حيث إدخال بعض التغييرات على الكلمات والتراكيب؛ فتنشأ تبعاً لذلك بعض التراكيب والمفردات الجديدة.

● يعد التأويل أيضاً من المبادئ المهمة التي يركز عليها المعتزلة في مناهجهم، فهو أصل من الأصول المعتمدة عندهم، وهو مرتبط بالعقل خاضع له، فمتى كان الكلام متفقاً مع هذا العقل فهو كلام سليم لا يحتاج إلى مراجعة أو نقاش، ومتى انحرف عن سلم العقل فلا بد من تأويله^٤.

^١ سيروان عبد الزهرة الجنابي، الاشتقاق عند ابن جني: دراسة تحليلية، الكوفة: مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية

الأداب، جامعة الكوفة، ٦٤، حزيران ٢٠٠٨م، ص ١٨٠

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٠-١٢

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٢٣

^٤ ينظر: نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص ٤٣٣

وابن جني يؤمن بأصالة التأويل بوصفه مبدأً في الصنعة اللغوية، ووجهًا من أوجه تفسير الكلام عندما يجافي المنطق أو العقل، يقول في باب الاشتقاق الأكبر: "وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه"^١، يتضح من هذا النص أن ابن جني يقول بالتأويل عندما يتباعد التركيب عن المعنى العام الذي وُضع له، لكن عندما يمكن رده إلى هذا المعنى العام لا يحتاج النص حينئذ أي تأويل، فرأيه في ذلك رأي يتفق مع مبدأ المعتزلة.

ولعل حرص ابن جني على التأويل يعود إلى إيمانه بحكمة اللغة؛ وأن ما يطرأ عليها من تغييرات، وما تتعرض له من انزياحات، يمكن رده، ويمكن تعليقه والاعتذار له عن طريق التأويل، بل وجعله دالاً على حكمة هذه اللغة وشجاعتها^٢.

● مذهبه النحوي:

اختلفت الآراء في نسبة ابن جني لمدرسة نحوية بعينها؛ ربما لأنه ليس هناك إشارة واضحة لانتمائه لإحدى المذاهب النحوية في المصادر القديمة، لكن نجد أن ابن النديم في الفهرست يضع ابن جني في طبقة (العلماء النحويين واللغويين ممن خلط المذهبين)^٣، فهو حتى وإن لم يسمي من خلط بين المذهبين بغداديين كما أشار السامرائي^٤، فهو حتماً يعني مذهباً آخر غير مذهب البصريين والكوفيين، وإلا لما أفردتها في طبقة مستقلة، وربما كانت وفاة ابن النديم المبكرة سنة ٣٧٨هـ سبباً في غياب التسمية لتلك المدرسة التي

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٣٤

^٢ ينظر: مُجد مشبال، البلاغة والأصول: دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي (نموذج ابن جني)، المغرب:

دار إفريقيا الشرق، ٢٠٠٧م، ص ١٥٢

^٣ ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ١١٥

^٤ ينظر: السامرائي، ابن جني النحوي، ص ٢٥٠

خلطت بين المذهبين، ذلك أنه عايش ابن جني ولم تكن المدرسة البغدادية في ذلك الوقت قد أخذت اسمًا لها.

ويمكن إجمال أبرز الآراء الحديثة الواردة في مذهب ابن جني النحوي كالتالي:

● يرى مُجدد علي النجار أن ابن جني وشيخه أبا علي بصريان؛ ويبرر لذلك بأنهما يجريان على مسلك البصريين، ويستدل بإطلاق ابن جني لفظة: (أصحابنا) على البصريين، وأن ما جاء في كتابه من ميل للبغداديين في بعض المواضع لا يدل على بغداديته؛ لأنه باقٍ على أصول البصريين^١.

وهذا الكلام فيه شك؛ لأن ابن جني يختار من الآراء ما يراه، دون التعصب لمذهب معين، أما إطلاقه لفظة (أصحابنا) على البصريين فهو من باب التبديهِ؛ إذ إن المدرسة البغدادية كانت حديثة النشأة، والأرجح أنها لم تعرف بمسمى معين بعد؛ لأن كثيرًا من كتب التراجم التي أُلفت في ذلك العصر أو قبله لم تشر إلى مسمى هذه المدرسة.

وابن جني يميل إلى البصريين في كثير من القضايا، لكنه لم يوافقهم على كل ما قالوه، بل وافق الكوفيين حينًا، وانتحى لنفسه مذهبًا مستقلًا حينًا آخر، وأما أنه باقٍ على أصول البصريين، فأصولهم هي الطاغية في النحو العربي عامة؛ نظرًا لسبقهم المدرسة الكوفية، فحتى ندهم الكوفي يتفق معهم في كثير من الأصول العامة للنحو العربي، ثم إن ابن جني لا يوافقهم في كل أصولهم، خاصة في اتساعه في السماع.

● أما شوقي ضيف فله رأي معتبر في ذلك، ذلك أنه يؤمن بالمدرسة البغدادية، ويثبت انتماء ابن جني لها؛ ويبرر لذلك بأن ابن جني كان يقيم مذهبه النحوي والصرفي على الانتخاب من المذهبين الكوفي والبصري، وهذا الانتخاب هو ما يشكل اللبنة الأساسية للمدرسة البغدادية^٢. فالانتخاب يؤهله ليكون من أعلام المدرسة البغدادية بغض النظر عن ميله لإحدى المدرستين.

^١ ينظر: مُجدد علي النجار، مقدمة الخصائص، ص ٤٤-٤٧.

^٢ ينظر: شوقي ضيف، المداس النحوية، ط ١٠، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٨م، ص ٢٤٥ - ٢٤٦، ٢٧٢.

● أما فاضل السامرائي فيسلك ابن جني في مذهب البصريين، معتمداً في

ذلك على ثلاثة محاور، وهي:

١- غلبة أسس المدرسة البصرية في أصول النحو التي يعتد بها.

٢- ارتكازه على مصطلحات البصريين.

٣- أنه يعد نفسه مع البصريين.

وكل ذلك يمكن تفنيده، وأن ميل ابن جني لمدرسة البصرة، لا يعد دليلاً قاطعاً على انتمائه لها، وأن الأساس الذي بنيت عليه مدرسة بغداد هو الانتقاء من المذهبين الكوفي والبصري^١، وهو ما اتسمت به كتابة ابن جني. فلعل انتماءه البغدادي يتلاءم أكثر وشخصيته العلمية، فهو على الأغلب يحتج للرأي العلمي بغض النظر عن صاحبه، ويختار من المذاهب ما يراه صواباً، ولو عنى ذلك أحياناً مخالفة أستاذه أبي علي على عظم قدره عنده. هذا عدا عن أن السامرائي بين الأسس التي أخذها ابن جني عن البصريين، وتجاهل تلك التي أخذها عن الكوفيين وتلك التي كان له فيها مذهباً آخر، ويمكن التمثيل لبعض المبادئ التي أخذها ابن جني عن الكوفيين:

● موقف ابن جني من القياس يتناسب أكثر وموقف الكوفيين، حيث إن

البصريين وضعوا الأحكام والقواعد على أساس الأمثلة الكثيرة... أما الكوفيون فقد كانوا يقعدون القواعد للشاهد والشاهدين ويعتدون بالقليل^٢.

ولابن جني باب في جواز القياس على ما يقل، ورفضه فيما هو أكثر منه،

يقول فيه: "هذا باب ظاهره - إلى أن تعرف صورته - ظاهر التناقض، إلا أنه مع

تأمله صحيح. وذلك أن يقل الشيء وهو قياس، ويكون غيره أكثر منه، إلا أنه ليس

^١ أشار شوقي ضيف إلى نماذج من اختياراته عن المدرستين، ينظر: المرجع نفسه، ص ٢٦٨-٢٧٣

^٢ ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط٦، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م، ص ٢٠-٢١

بقياس"¹، وبين من ذلك أن ابن جني لا يعتد بالكثرة بقدر ما يعتد بصحة القاعدة ولو قلت، وهذا ما يقول به الكوفيون.

● اعتمد الكوفيون على القياس النظري في كثير من المواضع عند انعدام الشاهد اللغوي²، وهذا ما اطرده عند ابن جني في عدة مواضع، منها قوله: "كما أنك لو سميت رجلاً هنداً، ثم حقرت قلت: هنيذ: ولو سميته بها محقرة قبل التسمية لوجب أن تقر التاء بحالها...³"، وقوله: "ولو سميت رجلاً ببنت وأخت لصرفته. وهذا واضح"⁴.

لقد اختلف الباحثون في نسبة ابن جني للمدرسة النحوية التي ينتمي إليها، لكن لم يختلفوا في أنه ينتقي ويختار الآراء. هذا الخلط بين المذهبين والانتقاء من الآراء ما يراه صواباً قد خلق عند ابن جني القدرة على الحجاج، والدفاع عن الرأي الذي يراه صواباً؛ لأنه عندما يختار رأياً فلا بد أن يحاجج من وجهين هما: صواب الرأي الذي اختاره، وخطأ الرأي الآخر الذي تجنبه.

وعلى هذا يمكن القول إن ظروفًا شتى تضافرت وساعدت في ظهور الحجاج في كتابة ابن جني، بدءاً من العصر الذي عاش فيه والأحوال السياسية والعلمية فيه، وانتهاءً بظروف خاصة أحاطت بشخصيته العلمية، مثل مذهبه العقدي والنحوي.

¹ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١١٥

² ينظر: مُجد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط ٢، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص ١٤٣

³ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٥٧

⁴ المصدر نفسه، ص ٢٠٠

الفصل الأول

المبحث الثالث

(الضوابط المنهجية العامة عند ابن جني)

إذا كنا نصدر عن وجود تفاوت بين السمات الأسلوبية في الخطابات المختلفة، فإن هذا التفاوت كائن أيضاً في التجليات الحجاجية لها، وقد حاولت في هذا المبحث استجلاء مظاهر خطاب ابن جني في الخصائص، وأدخلت فيه: السمات الأسلوبية والضوابط المنهجية العامة؛ لأنها عامل يمكن التوصل به لاستكشاف خصائص الخطاب الحجاجي، وبالتالي الوصول إلى شكل الحجاج في كتاب الخصائص.

ولا يعني ذلك وجود اختلاف كبير بين الخطابات المختلفة في الميزات الحجاجية؛ لأن بعض هذه الميزات قد تكون عامة في تخصص ما، أو حقبة زمانية محددة، وبعضها الآخر يكاد يكون لازماً لكاتب دون غيره. لكنها تعبر في مجملها عن مدى حجاجية نص ما.

أولاً: سمات الخطاب الحجاجي في كتابة ابن جني:

يمكن الحكم على خطاب ابن جني في كتابه الخصائص بأنه خطاب حجاجي؛ لأنه عرض فيه لأفكاره العلمية والفلسفية حول اللغة بأسلوب حجاجي. وهذا الحكم مبني على التمييز له عن الخطاب العلمي، فالخطاب الحجاجي هو الذي

يراعى فيه استعداد المتلقي لقبول ما يلقي إليه من حجج، وهذا الاعتبار لا يلقي له أي وزن في الخطاب العلمي^١.

كما أن الحوار العقلي مع الذات وتسييد الرأي حاضرٌ في لغة ابن جني، فابن جني يلجأ كثيراً للعبارات التي تبين رأيه ومذهبه، وما يراه هو صائباً أو فاسداً، بغض النظر عن المذاهب التي عرض لها في هذا القول، فنجد في الخصائص اطراد بعض العبارات التي تبين ذلك، منها قوله: "وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل"^٢، وقوله: "وسبب ذلك وعلته عندي ما قدمناه من سعة مذاهب القول، وضيق مذاهب الكلام"^٣، فهو يوضح مذهبه ورأيه وانطباعه ثم يعلل له.

ولا يعني ذلك أن ابن جني يُغلق الباب أمام الآراء الأخرى، فهو على سبيل المثال يقول في أصل اللغة: "واعلم فيما بعد، أنني على تقادم الوقت، دائم التنقيح والبحث عن هذا الموضوع، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي، مختلفة الجهات التغول على فكري. وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاق، والرقعة، ما يملك علي جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر... كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا - وإن بعد مداه عنا - من كان ألطف منا أذهاناً، وأسرع خواطر وأجراً جناناً. فأقف بين تين الخلتين حسيراً، وأكاثرتها فأنكفي مكثوراً. وإن خطر خاطر فيما بعد، ... قلنا به، وبالله التوفيق"^٤، فهو هنا يوضح تردده في القول بأحد المذهبين وترجيح أحدهما على الآخر، بعد أن قدم الحجج التي تدعم كلاً من

^١ ينظر: مُحمد الولي، مدخل إلى الحجج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، الكويت: المجلس

للتقافة والفنون والآداب، ٢٤، مج ٤٠، أكتوبر-ديسمبر ٢٠١١م، ص ١٢

^٢ أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٧

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٣

^٤ المصدر نفسه، ص ٤٧

المذهبيين، واللافت للنظر حضور الذاتية في مرافعاته اللغوية حتى مع تردده، فضمير المتكلم والفاعل حاضرٌ مع أنه لا يقف على رأي واحد يلزم المتلقي به.

وليست الذاتية هنا ضد الموضوعية، بل تعني حضور شخصية ابن جني بين ثنايا أسطره، فهو يعرض المذاهب المختلفة ويناقشها ثم يختار منها ويحتج لاختياره، وهذا مما يميز لغة الخطاب الحجاجي عن الخطاب العلمي، لأن "اللغة المعتمدة في الحجاج بعيدة كل البعد عن تلك المعتمدة في العلم"^١، فمن أراد الاقتناع أو الإقناع لن يوفر شيئاً يمكن توظيفه لدعم ذلك الإقناع، ولو كان ذلك الشيء ذاته المنطبعة في الخطاب.

ولم يغب عن بيرلمان أهمية ذلك في الخطاب الحجاجي، فهو يركز على أن يعي المتكلمون أن (الفعل الحجاجي) عبارة عن عمل جاد وليس نوعاً من التسلية الكلامية، وبالتالي فإنه يتطلب من ممارسه قناعة ذاتية ووثوقاً به نفسياً^٢، وهذا ما جعل بعض أعلام الخطابة القدامى يرى أن الحجج التي نقنع بها الآخرين عندما نقصدهم بالخطاب، هي ذاتها التي نستخدمها عندما نفكر أو نحادث أنفسنا في أمر معين ننوي القيام به أو نريد إقناع الآخرين بذلك^٣، ويركي هذا الرأي بالنسبة لي ما تم استجلاؤه من شواهد سبقت الإشارة لها في فصول مختلفة من الخصائص.

ولعل أول ما يلفت النظر في خطاب ابن جني أنه يتخذ عادة شكلاً حوارياً مع خصم افتراضي، من قبيل: فإن قيل كذا (السؤال من المعارض المفترض)، قيل كذا.. (الرد عليه من قبل ابن جني)، ويحاول ابن جني من خلال هذا الحوار استجلاء كل الحجج المعارضة التي يمكن أن يُدحض بها موضوعه ثم يقوم بالرد عليها، "وبعد الحوار أنجع سبيل ينتهجها مرسلُ الخطاب لدراسة حجج مخاطبيه ومواقفهم بطريقة مقبولة تمنح

^١ محمد الولي، مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، ص ١٣

^٢ ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، في كتابه: الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر،

بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م، ص ١٢٥

^٣ المرجع نفسه، ص ١٢٥

حجاجة في النهاية النفاذ والمصدقية، وهما أمران لا يتمان إلا عن طريق الحوار المؤسس على الاحترام و الحقيقة، البعيد عن القسر والاحتياال^١، فحقيقة الحجاج موصولة بالحوار معنى وروحاً^٢.

واتخاذ خضم افتراضي ومحاورته من قبل المحاجج أمر من شأنه أن يدعم الحجاج، فيبرلمان يؤكد على ضرورة وعي المحاججين بمستوى مخاطبيهم، ولا يتم ذلك إلا من خلال تجريد أشخاص من نفس المحاجج يحملون سمات مخاطبيهم ومحاوروتهم، وهو ما من شأنه أن يثري الحوار ويفتح آفاقه^٣. وحضور هؤلاء المخاطبين -حسب بيرلمان- في الخطاب بصفة خاصة هو حضور حقيقي غير مجازي؛ لأن الخطيب الحقيقي هو الذي يتفاعل تماماً مع تفكير مخاطبيه وقناعاتهم، بخلاف الخطيب الانطباعي الذي لا يعتني إلا بما يقتنع به هو، والصورة الفاعلة لا يحققها إلا خطاب يكسر جمود الصورة المألوفة، فيكون الخطاب بذلك مفارقاً وواقعياً في نفس الآن، وجامعاً بين الحقيقة والمجاز^٤.

سمي هذا النوع من الحوار بالجدال ذي الطرف الواحد؛ وقُسر بأن "الخطاب المكتوب لا يسمح بقيام حوار له عناصر الجدالات ذات الطرفين"^٥، ولذلك فإنه "ينشأ شكل خاص للجدال ذي الطرف الواحد... ولا يواجه المؤلف غربما حقيقا، بل مجموعة من الغرماء المفترضين، أو مجموعة من الغرماء الحقيقيين غير الحاضرين للدفاع عن أنفسهم، أو للقيام بمجهود مضاد"^٦، وابن جني يقوم بذلك؛ من خلال توظيفه لاستراتيجية توقع

^١ محمد سالم الأمين، حجاجة التأويل، الجزائر: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ٢٠٠٤م، ص

١٩

^٢ ينظر: خلادي محمد الأمين، "إعجاز الحوار والحجاج في القصص القرآني"، مجلة فصل الخطاب، دورية أكاديمية

محكمة تصدر عن الجزائر: جامعة ابن خلدون، تيارت، مج ٢، ٧٤، سبتمبر ٢٠١٤م، ص ٥٢

^٣ ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص ١١٨

^٤ ينظر: المرجع نفسه، ص ١١٩

^٥ جورج لايكوف، الاستعارات التي نحبها، ترجمة: عبدالمجيد جحفة، ط ٢ (ط ١: ١٩٩٦م)، الدار البيضاء: دار

تويقال، ٢٠٠٩م، ص ١٠٣

^٦ المرجع نفسه، ص ١٠٣

تساؤلات الخصم، وإعدادها إعدادًا جيدًا قد يحمل معه أحيانًا نبرة تهكم وسخرية مثل قوله: "ألك هاهنا نفق فتسلكه، أو مُرتفق فتوركه؟"^١، ثم مواجهتها وتفنيدها.

ويقوم ابن جني بدور مزدوج في عملية الحجاج، فهو الفاعل المحاجج الذي يحاول إنشاء برهنة ما، وهو أيضًا الفاعل المهدف الذي يُرجى إقناعه واستمالاته والذي يكون غالبًا ضد الفرضية المراد إثباتها^٢.

ويتميز خطاب ابن جني المحجاجي أيضًا بكثافة الموجهات التي تضمن توجيه سير الحجاج نحو هدفه، وإبقاء تركيز المتلقي عاليًا، من مثل: "اعلم أن.."^٣، و"فاعرف ذلك"^٤، و"هذا واضح"^٥، فبمثل هذه العبارات وما شاكلها واطرادها يتحقق الانسجام الانسجام الحجاجي Coherence argumentative بشكل عالٍ في كتاب الخصائص، فالنص مبني بكيفية منتظمة، ويحكمه منطق معين^٦ هو منطق الخطاب la Logique du discours^٧.

ومثلها أيضًا تلك العبارات التي تستخدم لإبراز السؤال والجواب في حوار ابن جني من مثل: "فإن قلت: فقد نجد أيضًا في علل الفقه ما يضح أمره، وتعرف علته... فلم جعلت علل الفقه أخفض رتبة من علل النحو؟"^٨، و"قيل له: ما كانت هذه حاله من علل الفقه فأمر لم يستفد من طريق الفقه، ولا يخص حديث الفرض والشرع، بل هو

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٠٣

^٢ يعود مصطلحا الفاعل المهدف والفاعل المحاجج لبارتيك شارودو، ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ١٣

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٠٠، ٦٤، ص ٨٣، ص ١١٠، ص ١٤٤

^٤ المصدر نفسه، ص ٤٦، ١١١

^٥ المصدر نفسه، ص ٩٠، ١٠٣، ١١٠

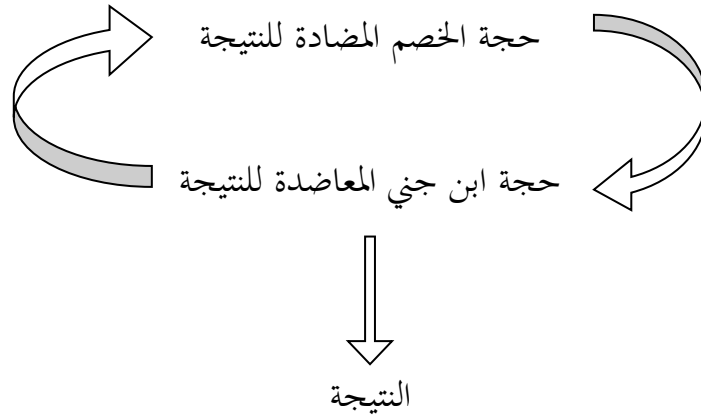
^٦ ينظر: أبو بكر العزوي، الخطاب والحجاج، ص ٤٣

^٧ منطق الخطاب la Logique du discours : هو القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل

الأقوال و الجملة وتتابعها بشكل متنام و تدريجي. ينظر : المرجع نفسه، ص ١٣

^٨ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٥٠

قائم في النفوس قبل ورود الشريعة به...^١، وتكاد تطرد إستراتيجية السؤال والجواب في معظم صفحات الخصائص، والتي تبدأ بقوله (فإن قلت) : التي تمثل غالبًا الحجة المضادة للموضع الذي يطرحه ابن جني، وقوله (قيل): والتي تمثل في معظم الأحيان الحجة التي ينقض بها ابن جني حجة الخصم الافتراضي، ويدور النص في هذه الحلقة حتى يصل إلى النتيجة التي يتوخاها ابن جني من نصه، ويمكن التمثيل لها بالشكل التالي:



فيدور النص في حلقة من الحجج المتعاندة Arguments anti-orientés^٢، حتى حتى يصل إلى النتيجة، وقد تستمر معه هذه الاستراتيجية أحياناً لصفحات كثيرة، يعرض من خلالها لقضايا متعددة، وقد تكون باباً لطرح آرائه واستعراض معارفه اللغوية.

ويستخدم إن شعر بطول السؤال أحياناً طولاً مما قد يتشتت معه ذهن المتلقي: عبارات تحدد السؤال والجواب، ويستحوذ معها على انتباه المتلقي، مثل قوله: "انقضى السؤال. فالجواب أن.."^٣، ويستخدم أحياناً كلمات لتصنيف الأسئلة من حيث حجيتها

^١ المصدر نفسه، ص ٥٠ - ٥١

^٢ ورد هذا المصطلح بمقابلات مختلفة، فقد ترجمه رشيد الراضي في كتابه: المظاهر اللغوية للحجاج، ص ٩١ بالحجج المتعاندة: وهي الحجج التي تُساق لنتيجتين متعارضتين، بينما ترجمه أبو بكر العزاوي في كتابه: اللغة والحجاج، ص ٦٤ بالتعارض الحجاجي، واخترت المصطلح الأول؛ لاكتسابه هوية اصطلاحية متميزة، فالتعارض والمعارضة متواجدة في الحقول اللغوية المختلفة بكثافة، بينما (التعاند) في رأبي صالح للتبينة المعرفية داخل الحجاج.

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٢٣

حجيتها من مثل قوله: "سؤال قوي"^١، كل هذه الإستراتيجيات يلجأ إليها ابن جني ليجعل بها المتلقي أمام هيكلية حوارية منتظمة لا يملك إزاءها إلا التيقظ المؤدي إلى الإذعان والتسليم .

ومن المبادئ الحجاجية التي يتكئ عليها ابن جني في حجاجه مبدأ التناقض، وهو ليس التناقض بوجهه السلبي، بل ذلك الذي يدل على قدرة ابن جني التعليلية الواسعة، فظاهر الحجاج هو عدم التوفيق بين الآراء المتباعدة والاعتداد برأي واحد والمحاجة عنه، لكن للتناقض عند ابن جني فلسفة خاصة، فليس بالضرورة أن يعني الرفض التام لرأي ما، والاحتجاج لغيره، بل يمكن أحيانا الاحتجاج بالشيء الواحد لحكمين مختلفين.

من ذلك احتجاج ابن جني بالمسموع (ضربتك)، على أمرين^٢:

الأول منها: إثبات شدة اتصال الفعل بفاعله، حيث عُدت الكاف هنا ضميراً متصلاً وإن لم تتصل بالفعل مباشرة؛ وذلك لأن الفعل وفاعله من شدة اتصاليهما صاراً كالشيء الواحد.

الثاني منها: رد وبيان فساد من قال إن العامل في المفعول به هو الفاعل وحده، لأن الضمير المتصل متصل بالعامل فيه.

فاستدل ابن جني هنا بالكلمة المسموعة (ضربتك) على تصحيح شيء، ثم استدل بذات الكلمة على فساد شيء آخر.

وقد كتب ابن جني باباً في الشيء يرد مع نظيره مورده مع نقضيه، يستعرض فيه قدرته على نسبة الشيء الواحد لضدين متباينين، مثل: اجتماع المذكر والمؤنث في الصفة المؤنثة، نحو رجل علامة، وامرأة علامة. وعكسها وهو اجتماع المذكر والمؤنث في الصفة

^١ المصدر نفسه، ص ٥١

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٠١-١٠٢

المذكرة كرجل عدل، وامرأة عدل^١. فهو يصر في عدد من أبواب الخصائص على فكرة أن التناقض غير معيب بل ممكن قوة، ودليل على قُدرة المحاجج.

فالتناقض عند ابن جني ليس مجرد الإتيان بقول وضده، بل هو دليل على فضل اللغة وتمكنها، وعلى براعة المتكلم وقدرته، يقول في ذلك: "فهذان وجهان من الاستدلال بالشيء الواحد على الحكمين الضدين... وليس هذا موضع الانتصار لما نعتقده فيه، وإنما الغرض منه أن نرى وجه ابتداء تفرع القول، وكيف يأخذ بصاحبه، ومن أين يقتاد الناظر فيه إلى أبحاثه ومصارفه"^٢.

ولم يكتفِ ابن جني بالتنظير لهذه الفكرة فقط، بل طبقها حين ارتضى تركيب المذاهب، حيث لم يكن منهجه انتخاباً لمذهب من المذاهب والدفاع عنه دائماً، بل كان يرتضى أحياناً التوفيق بين المذاهب المختلفة، ويعرض مثلاً لذلك مذهباً لأبي عثمان تركب له من مذهبين مختلفين^٣:

أولهما مذهب يونس في رد المحذوف في التصغير وإن غني المثال عنه، فيقول في تحقير هارٍ: هو يئر، وهو عكس مذهب سيويه الذي لا يرد المحذوف إذا استوفى التصغير مثاله، فيقول في تحقير هارٍ: هو يئر .

وثانيهما مذهب سيويه الذي يصرف نحو جوارٍ بعد العلمية، وهو على العكس من مذهب يونس الذي لا يصرفها.

فاختار أبو عثمان من مذهب يونس رد المحذوف في التصغير وإن استغنى عنه المثال، واختار من مذهب سيويه صرف جوارٍ إذا جاءت علماً، فتركب له من ذلك مذهب ثالث، وذلك عندما تقول في تحقير اسم رجل سميته (يرى): هذا يُرىء، فتُرد الهمزة على مذهب يونس، وتُصرف على مذهب سيويه. إلى غير ذلك من الأمثلة التي

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢٠١ - ٢٠٢

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٠٨

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٧١-٧٢

عرض لها ابن جني. فالتناقض من هذه الجهة مكن قوة في الحجاج لا وجه ضعف؛ إذ إن المحاجج يختار لنفسه مسلماً متفرداً ويدافع عنه، دون الانتقاص من مذاهب الآخرين أو نبذها.

وقد "كان من أثر اعتماد هذه الطريقة في الحجاج أن أضحي المناظر ينهض بوظيفتين مزدوجتين، هما الدفاع عن (وجهي الحقيقة) فإذا به يحتج للرأي ونقيضه على السواء، فبدأ الكلام نوعاً من الرياضة الذهنية التي يستطيع صاحبها أن يثبت الشيء ونقيضه بأدلة تبدو قاطعة"^١.

يعتمد ابن جني أيضاً في خصائصه على مبدأ الإحالة التي يمكن تصنيفها في مؤلف ابن جني إلى صنفين:

أ- إحالة داخلية: وفيها يحيل ابن جني إلى مواضع أخرى من كتابه. سواء أكانت مواضع سابقة أو لاحقة.

ب- إحالة خارجية: وفيها يحيل ابن جني المتلقي إلى كتب أخرى له.

ومن الأول قوله: "وسنذكر في كتابنا هذا باب حمل المختلف فيه على المتفق عليه بإذن الله"^٢، وقوله: "فهذا جنس من تدرج اللغة الذي تقدم بابه فيما مضى من كتابنا هذا"^٣.

ومن الثاني قوله: "وقد دلت على ذلك وغيره من نحوه في كتابي في (سر الصناعة)"^٤، وقوله: "وقد ذكرت هذا الموضوع في كتابي في شرح تصريف أبي عثمان وغيره

^١ عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ص ٢٤٨

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٠٢

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٩٦

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٣

من كتيبي، وما خرج من كلامي"^١، وقوله "وأنتيت أيضاً في كتابي الموسوم ب (التعاقب) على كثير من هذا الباب، ونهجت الطريق إلى ما أذكره بما نهت به عليه"^٢.

والإحالة في الخطاب تبين اتساق الحجاج وصدق مخرجاته^٣، وهي من الموجهات التي توجه سير الحجاج، وتضمن كثافة حضور الخطاب في ذهن المتلقي، وبالتالي التسليم به. وكل هذه المبادئ تؤكد انتظام هيكل خطاب ابن جني الحجاجي، وتفتح له بالتالي باب القبول، وتؤدي إلى التسليم بالنتيجة التي أرادها.

● ثانيًا: الضوابط المنهجية العامة عند ابن جني:

قد تتشابه الضوابط المنهجية العامة التي توجه مدونة ما مع سمات الخطاب الحجاجي؛ وذلك يعود إلى تماثل الخطاب والحجاج، حيث يرى طه عبدالرحمن أن الكلام والخطاب والحجاج، أسماء مختلفة لمسمى واحد، هو (الحقيقة النطقية الإنسانية)^٤، مرتكزا في ذلك على قول الجويني: "فالكلام، والخطاب، والتكلم، والتخاطب، والنطق - واحد في حقيقة اللغة - وهو ما به يصير الحي متكلما"^٥.

فالحجاج إن لم يكن هو الخطاب فهو على الأقل واقع فيه، فهو يعرف "تقليديًا، باعتباره خطابًا منطقيًا، في نطاق نظرية العمليات الذهنية الثلاث: الفهم والحكم والنظر العقلي... وعلى المستوى اللساني تطابق هذه العمليات العرفانية الثلاث على التوالي: (١) إرساء الخطاب مرجعيًا بواسطة لفظ، (٢) بناء الملفوظ بفرض مستند على هذا اللفظ،

^١ المصدر نفسه، ص ٢٣٤

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٦٦

^٣ ينظر: محمد عديل عبدالعزيز، التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي: كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري ت ٥٧٧هـ "نموذجًا"، القاهرة: دار البصائر، ٢٠١١م، ص ١٠٥

^٤ ينظر: حمودي محمد، مقالة: "الحجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن: -مقاربة إبستمولوجية-"،

<http://www.tahaphilo.com>، جامعة مستغانم. الجمعة ٢٢-٤-١٤٣٨هـ.

^٥ الكافية في الجدل، تحقيق: فؤاد حسين محمود، القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٧٩م، ص ٣٢

(٣) تسلسل قضايا أو حجج ينتج المرء قضايا^١، والحجاج - حسب النظريات الحوارية - في نظر شيفرين: خطاب يدافع المتخاطبون بواسطته عن مواقف قابلة للنقاش^٢.

لأجل ذلك كله أعتقد أن ما يمكن عدّه سمة للخطاب الحجاجي يمكن أيضاً دراسته تحت الخطوط المنهجية العريضة التي تميز خطاباً ما، والفصل بينهما يعتمد على ما هو ميزة بارزة في خطاب ما والتي يمكن إدراجها تحت مسمى السمات الحجاجية التي تميز نصّاً عن غيره، وما هو شائع في معظم الخطابات المماثلة والذي يمكن وسمه بالضابط المنهجي العام.

لعل الضبط والدقة في النقل من أبرز الضوابط المنهجية التي يسير عليها ابن جني في كتاباته، فهو يعزو الآراء والنصوص لأصحابها في كثير من الأحيان سواء اتفق معها أم لم يتفق. و"يكثر ابن جني من الرواية عن غيره. فهو ينقل عن سيبويه وعن أستاذه أبي علي، وعن غيرهما من علماء البلدين، وهو يستشهد بالشعر والقصص، ويجول في فنون المعرفة، ويستطرد لما هو بسبيله"^٣.

وقد زعم النعيمي أن غالب سماع ابن جني للشواهد الشعرية كان عن طريق شيخه أبي علي إلا اليسير الذي لا يعتد به؛ ذلك أنه لم يقل أنشدنا أو أنشدني إلا إذا كان المنشد أبا علي، وأنه في الخصائص تحديداً قلّ أن يذكر شاهداً بإسناده إنما يوردها مباشرة، كقوله: قال الراجز، وأنشد أبو الحسن، وأنشدنا ابن الأعرابي^٤.

وأظن أن ابن جني قد سمع عن أبي علي وعن غيره، ولم يقتصر سماعه عليه، وقد ورد في الخصائص كثير من المواضع التي تدل على سماعه عن غير شيخه، مثل قوله:

^١ باتريك شارودو و دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة:

صلاح الدين الشريف، تونس: المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، ٢٠٠٨م، ص ٦٩

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٧٠، ٧٢

^٣ محمد علي النجار، مقدمة الخصائص، ص ٥٢

^٤ ينظر: حسام سعيد النعيمي، ابن جني: عالم العربية، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م، ص ٥٣-٥٤

"وأُنشدني الشجري لنفسه.."^١، وقوله: "وأُنشدني بعض من ينتمي إلى الفصاحة شعرا لنفسه.."^٢، وأما كثرة سماعه عن شيخه فهي متأية من طبيعة التلمذة، ولا تعني اقتصاره عليه، وأما قلة سماعه عن غيره فيلخصها منهجه في الأخذ عن العرب الذي قال فيه: "علّة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال... ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم... لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر"^٣.

وقد كان ابن جني أمينًا في الأخذ عن شيوخه، حريصًا على تدوين عباراتهم بحروفها، وكان ينقل عنهم الرواية بدقة دون أن يظهر تشككه فيها، أما آراؤهم فقد كان يعمل عقله فيها؛ فيتلقاها بالقبول تارة، وبالرفض والمحاكمة تارة أخرى^٤. ولم يقصر روايته على أهل العلم ومشايخه بل كان "يروي كثيرًا عن الأعراب الذين لم تفسد لغتهم. وقد اتبع في ذلك سلفه من اللغويين. وكان لا يأخذ عن بدوي إلا بعد أن يمتحنه ويتثبت من أمره وصدق نحيزته"^٥.

يعد التجديد وتشجيع الاختلاف إحدى أبرز الأسس المنهجية والتفكيرية التي يسير عليها ابن جني في مؤلفاته، فهو يلح مرارًا تطبيقًا ونظرًا على أهمية الاختلاف في تطور العلوم، فهو يعد الاختلاف عن السابقين والإتيان بالجديد نوعًا؛ إذ يقول على سبيل المثال في (باب في الاحتجاج بقول المخالف): "اعلم أن هذا - على ما في ظاهره - صحيح ومستقيم. وذلك أن ينبغ من أصحابه نابغ فينشئ خلافًا ما على أهل مذهبه..."^٦.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٧١

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ١٤٣

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٥

^٤ ينظر: حسام سعيد النعيمي، ابن جني: عالم العربية، ص ٤٠ - ٤١

^٥ محمد علي النجار، مقدمة الخصائص، ص ١٥

^٦ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٨

وعلى الرغم من أمانة ابن جني العلمية التي جعلت كتابه يفيض بالنقولات عن عدد من علماء اللغة كسيبويه والخليل وأبي علي الفارسي وغيرهم، وعلى الرغم من التقدير البالغ الذي يكنه ابن جني لهؤلاء العلماء، إلا أنه يقول: "فكل من فرق له عن علة صحيحة، وطريق نهجة كان خليل نفسه، وأبا عمرو فكره"^١.

وقد طبق ابن جني التجديد في عدد من أفكاره، ففي قضية الاحتجاج بأشعار المولدين في المعاني -مثلاً- نجد أن ابن جني يخالف الشائع والمتواتر عند اللغويين من العزوف عن أشعارهم لفظها ومعانيها، ويميز الاحتجاج بأشعارهم في المعاني^٢. ولعل الأبواب التي أدرجها تحت مسمى (شجاعة العربية) من أوضح الأمثلة على عزوف ابن جني عن كل ما هو تقليدي، فكثير من الظواهر والأساليب المدرجة في إطار هذا المفهوم من قبيل التجوز والخروج عما هو مألوف^٣.

ومما عده ابن جني من شجاعة العربية: باب الحمل على المعنى، الذي يقول في أوله: "اعلم أن هذا الشرح غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح. قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منشورًا ومنظومًا؛ كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد..."^٤، فالتجديد وقلب الموازين مذهب بعيد لا يطاله إلا المتأمل، وكون فسيح للمبدع في كتابته، وللمتأمل في تأويله.

وقد "اتخذ ابن جني مبدأ (الحمل على المعنى) أداة لتقبل الصيغ اللغوية الموسومة بالشذوذ ومجافة العرف ووسيلة لإغناء اللغة. إنه أداة تحليلية ووسيلة لتوسيع ظاهر اللغة غير المطردة مع القواعد المتعارف عليها"^٥، فالحمل عنده ليس وسيلة لتبرير بعض الظواهر

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٩٠

^٢ ينظر: عبدالحكيم راضي، الفكر البلاغي في كتاب الخصائص: مقدمة للخصائص، ج ١، تحقيق: محمد النجار، القاهرة: سلسلة الذخائر، ٢٠٠٦م، ص ٥

^٣ ينظر: المرجع نفسه، ص ٨

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٤١١

^٥ محمد مشبال، البلاغة والأصول، ص ٩٢

اللغوية التي تبدو لأول وهلة متناقضة، بل مدخلاً لتأويل هذه الظواهر تأويلاً بلاغياً يؤول إلى الاعتراف بشجاعة اللغة ومرونتها في تقبل التغيير وتفسيره.

ومن السمات المنهجية العامة في كتاب الخصائص: الحضور الكثيف للعلة والتعليل في الخصائص؛ حيث أفاض ابن جني في ذكر العلل وتصنيفها، وانفرد باتباع منهج الفقهاء في استنباط العلل، وخصّها بمباحث ليست قليلة، تكاد تفوق أبواب السماع والقياس، وقد عدّ بعضهم دراسته في مجال العلة انعكاساً لتأثره بعلم الكلام^١.

اعتنى ابن جني أيضاً بتفعيل القوالب الثقافية بصفتها حججاً جاهزة يستدل بها على صحة ما يذهب إليه، ولهذا القوالب المكرورة *Les clichés* دور حجاجي بارز؛ إذ تساعد على حدوث وفاق بين الخطيب والجمهور حسب بيرلمان وتيتيكاه^٢. والغالب في شواهد ابن جني أن يعتمد الترتيب الأصولي؛ فيقدم الآية القرآنية والحديث النبوي على البيت الشعري، لكنه لم يعتمد هذا الترتيب دائماً، فقد كان أحياناً يقدم الأبيات الشعرية على الآيات القرآنية خاصة لو كانت قراءة شاذة، ففي تقلبيات (ق و ل) على سبيل المثال أورد في استدلاله على معنى الخفة والسرعة في (و ل ق)^٣ أورد أولاً قول الشاعر:

جاءت به عنسٌ من الشام تَلِقُ^٤

^١ ينظر: سليم عوارب، "نظرية التعليل في النحو العربي عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص"، الأثر: مجلة

الآداب واللغات، الجزائر: جامعة قاصدي مرباح، ورقة، ٩٤، ماي، ٢٠١٢م، ص ١٠٢، ١٠٦

^٢ ينظر: عبدالله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص ٣٩

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٨-٩

^٤ تلق: أي تسرع وتخف، والبيت من الرجز، وهو للشماخ بن ضرار الديباني في ديوانه، تحقيق: صلاح الدين الهادي، مصر: دار المعارف، ١٩٦٨م، ص ٤٥٣ / وينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٩ / ابن سيده، المخصص، ج ٣، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٦هـ، ص ٥٤ / ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٩، صححه وعلق عليه جماعة من العلماء، مصر: إدارة الطباعة المنيرية، د.ت، ص ١٤٥.

ثم قراءةً في قوله تعالى: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ)^١.

لجأ ابن جني أيضاً إلى عدة إستراتيجيات منهجية للظفر بوحدة الشكل الخطابي التي تضمن التوافق والتواصل مع الجمهور، وتدعم حضور ما يكتبه ابن جني في ذهن المتلقي، ومن هذه الإستراتيجيات:

● توزيع النص في كثير من الأحيان في شكل منتظم يتكون من: أسئلة وأجوبة، تمثل الأسئلة الحجج المعارضة، وهي تبدأ بعبارة: (فإن قلت..)، وتمثل الأجوبة رد ابن جني عليها مشفوعة بأفعال القول مثل: (قيل..)، هذا الشكل المتواتر في أبواب الخصائص يعبر عن قدرة ابن جني على الحجج.

● الدقة في دحض الحجج المعارضة حيث يجيب ابن جني عن هذه الحجج من عدة أوجه، ويمكن التمثيل لذلك برده على من قال في بناء الاسم الذي اجتمع فيه ثلاثة أسباب مانعة من الصرف فصاعداً وامتناع إعرابه، فهو يخطئ هذا القول من عدة أوجه^٢:

١- أن سبب البناء في الاسم هو مشابهة الاسم للحرف، وليس لذلك علاقة بصرفه أو منعه من الصرف.

٢- أن من دلل على ذلك بمنع إعراب حذام وقطام فقوله فاسد أيضاً؛ لأن منع إعرابها كان لسبب آخر هو شيء أتاها من باب دراك، ونزال، ثم شبهت حذام، وقطام، ورقاش بالمثل، والتعريف، والتأنيث باب دراك، ونزال.

٣- أنه قد وُجد في كلام العرب من الأسماء ما يجتمع فيه خمسة أسباب مانعة الصرف، ومع ذلك هو معرب غير مبني. مثل امرأة سميت: (أذريجان).

^١ النور: من الآية ١٥

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج١، ص ١٧٩-١٨٠

فابن جني هنا قد قام ببيان فساد القاعدة أولاً، ثم فساد مثالها، ثم التدليل على عكسها، فكان ذلك بمثابة التغطية الكاملة لدحض هذا القول من خلال هذا التقسيم المنطقي، فهو لم يترك للمجادل أي فرصة للمضي في قوله.

وهو يصرح في منهجه الذي يتعلق بدحض هذه الحجج فيقول: "فتنظر إلى آخر ما يلزمك إياه الخصم، فتدخل الاستظهار بذكره في أضعاف ما تنصبه من علته، لتسقط عنك فيما بعد الأسولة والإلزامات التي يروم مراسلك الاعتراض بها عليك، والإفساد لما قررته من عقد علتك"^١.

● استخدام كلمات ذات شحنات حجاجية عالية، مثل قوله بأن: "ما أوردوه من العلة ضعيف واه ساقط غير متعال"^٢، فاستخدم أربع كلمات متتالية في (باب الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة) تأكيداً على جنوح فهمهم للعلة، ولو أتى بواحدة لفُهم المقال، لكنه أراد شحن الجملة بطاقة حجاجية كثيفة؛ لتكون متكاً رصيناً ينطلق منها حجاجه للتدليل على فساد فهمهم للعلل.

وفي ذات الباب يرد على من ادعى أنه ليس كل فاعل مرفوعاً، وليس كل مفعول منصوباً؛ بدليل أننا نصب الفاعل في مثل: إن زيداً قائماً، ونرفع المفعول في مثل: ضُرب زيد، فيقول: "ومثل هذا يتعب مع هذه الطائفة، لا سيما إذا كان السائل عنه من يلزم الصبر عليه"^٣، فيبدأ ببيان قلة فهم السائل، واستخدام لذلك كلمات مثل: (يتعب)، و (يلزم الصبر عليه)، وهي كلمات تُوحى بقلة فهم السائل، وكأنه طفلٌ يُتعب أو منزوع عقل يلزم الصبر عليه! ثم يتمادى في ذلك فيصفه بالهوس والهذيان إمعاناً في بيان اعوجاج فهمه، فيقول: "ولو بدأ الأمر بإحكام الأصل لسقط

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٦٣

^٢ المصدر نفسه، ص ١٨٤

^٣ المصدر نفسه، ص ١٨٥

عنه هذا الهوس وذا اللغو"^١، ثم أخيراً يأتي الرد الذي لو أتى به منذ البداية لكان جواباً وافياً، لكنه لو أتى به مباشرة لما أوصل لنا ذلك المعنى البعيد الذي أراد ابن جني إيصاله، فيقول: "ألا ترى أنه لو عرف أن الفاعل عند أهل العربية ليس كل من كان فاعلاً في المعنى، وأن الفاعل عندهم إنما هو كل اسم ذكرته بعد الفعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم..."^٢، ولا يكفي بذلك بل يختم رده ببيان ضعف السؤال ووهنه الذي يحيلنا أيضاً إلى ضعف فهم السائل، فيقول: "ألا ترى أنه لو عرف أن... لسقط صداد هذا المضعوف السؤال"^٣.

ومثل ذلك قوله ردّاً على من تكلف النطق بساكنين معتلين في الحشو، فيقول إن إطالة الفتحة في مثل: قُوت أو قِيَات، لا يخرج عن أمرين، وكلاهما غير جائز: فإما أن يثبت حكم الياء والواو ساكنتين، فتأتي الألف بعد ساكن، "وهذا ممنوع غير جائز"^٤، وإما أن تسقط حكمهما لسكونها وضعفها، فتكون الألف كأنها تالية للكسرة والضمة "وهذا خطأ بل محال"^٥، فلو قال (ممنوع) أو (خطأ) فحسب، لوصل الحكم وفهم المراد، لكن أراد بيان شناعة الخطأ في مثل هذا القول، وبيان قلة وعي القائل به من خلال حشد تلك المفردات.

يكثر أيضاً في الخصائص كلماتٍ مثل: فاسد، و قوي، و حسن، و جائز، و واضح وغيرها. كل هذه الكلمات مُحْتارة بعناية لتُعطي المتلقي انطباعاً بأهمية ما يقوله المتكلم، و وعيه بما يقوله، وأنه متمكنٌ في فنه، وهذه إحدى السبل التي تُمهّد قبول الحجة المراد إثباتها، والرفض للحجة المراد إسقاطها.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٥

^٢ المصدر نفسه، ص ١٨٥

^٣ المصدر نفسه، ص ١٨٥

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٤٩٤

^٥ المصدر نفسه، ص ٤٩٤

● ثالثاً: السمات الأسلوبية للخطاب الحجاجي في كتاب الخصائص:

إن أول سمة أسلوبية يمكن أن توصف بها كتابة ابن جني عامة، وكتابه الخصائص خاصة هي الوضوح، حيث إن كتاباته تمتاز في عمومها بالأسلوب السهل الواضح وضوحاً لا يُحتاج معه في كثير من الأحيان إلى شرح وتفسير، سواء في كتابه الخصائص أو غيره، فهو يعتمد إلى الألفاظ المألوفة، ويفسر ويشرح الألفاظ المستغلفة ويدلل عليها إن اضطر إليها، كما فعل في باب القول على الفصل بين الكلام والقول عندما عرض لتقليبات القول والكلام^١، ولعل ذلك يفسر غياب الشروح لكتابه الخصائص حتى الآن - فيما أعلم-، على الرغم من أهميته بوصفه أول كتاب عرض للأصول النحوية.

و هذا الوضوح لا يتعلق بعباراته فحسب، بل في شكل نصوصه، فهو غالباً ما يتخذ شكلاً موحداً يبني به نصوصه، يبدأ بإدراج النتيجة أو موضوع القضية، إما في شكل مقدمة يبدأ بها بابه، أو في شكل سؤال، ثم يفتح باب النقاش فيها موجهاً ذلك كله بضروب من التعليل والاستدلال والتمثيل.

و من تمام الوضوح عنده أنه يعتمد أيضاً إلى العبارات الشارحة paraphrases، فيقوم بشرح بعض معاني الشواهد التي يدرجها مستدلاً بها، مثل قوله بعد أن أورد بيت المخزومي:

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتْلَهُمْ حَتَّىٰ عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَّرٍ مُرِيدٍ^٢

"أي فإذا كان الله يعلمه فلا أبالي بغيره سبحانه، أذكرته واستشهدته أم لم أذكره ولم أستشهده. ولا يريد بذلك أن هذا أمر خفي، فلا يعلمه إلا الله وحده، بل إنما يحيل

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص (٥-١٧)

^٢ البيت من الكامل وهو منسوب للمخزومي، ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٢ / ابن سيده،

المختص، ج ١، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٦هـ، ص ٤.

فيه على أمر واضح، وحال مشهورة حينئذ، متعامة"^١. ومثل ذلك أيضًا قوله: "ومنه قول الله سبحانه (سَلُّوْكُمْ بِاللِّسِنَةِ حِدَادًا)^٢ أي نالوا منكم"^٣.

تتداخل مع هذه السمة سمة أخرى، هي الفصاحة، فقد "اشتهر ابن جني ببلاغة العبارة وحسن تصريف الكلام، والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء، وهو يسمو في عبارته، ويبلغ بها ذروة الفصاحة، في المسائل العلمية الجافة البعيدة عن الخيال ووجوه التطرية"^٤، وهو إلى جانب ذلك يعتمد إلى توظيف ما استطاع من طرق الإفهام والإقناع ليصل بالمتلقي إلى الإذعان والتسليم، مستعرضًا كل ما يمكن توظيفه من فنون البلاغة الشعرية والخطابية^٥، فلا تكاد تخلو صفحات الخصائص من فنون البلاغة المختلفة.

وعلى الرغم من غنى الجانب التطبيقي البلاغي في كتاب الخصائص، إلا أن الجانب الذي تمكن منه ابن جني، وأنعم فيه فكره، هو تلك الملاحظات الفكرية في البلاغة الأدبية^٦، حتى إن بعض الباحثين يعتمد على فكرة احتفاء ابن جني بالعديد من المداخل البلاغية تحت عناوين خادعة تستر حقيقتها! مثل حديثه عن قلب التشبيه في باب غلبة الفروع على الأصول، ومناقشته لعرض التشبيه الواحد في صور مختلفة تحت باب في

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٢

^٢ الأحزاب: من الآية ١٩

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١١٧

^٤ محمد علي النجار، مقدمة الخصائص، ص ٢٧

^٥ المقصود بالشعرية هي تلك البلاغة التي يكون المكون الجوهري لها هو التخيل، أما الخطابة فهي تلك البلاغة التي تُبنى في جوهرها على الإقناع. والشعرية والخطابة هما شِقَا البلاغة التي هي العلم الكلي الذي يدرس الخطاب

الإنساني الاحتمالي. ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ١١، ١٣

^٦ القول بالبلاغة الأدبية هو تمييز لها عن البلاغة الحجاجية (التي تجسدها البنيات الإقناعية)، وعن بلاغة المحسنات (التي تتجسد في مجموعة من الصور والوجوه الأسلوبية)، فالبلاغة الأدبية هي: "نموذج فكري لا يسعى إلى الضبط والتقنين، بقدر ما يسعى إلى وضع حدود عامة ومبادئ كلية يسترشد بها البلاغي في عمله". ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأصول، ص ٨، ١٠. تعقيب: إن الفصل بين البلاغة الأدبية وغيرها مقبول في نظري، لكن ما هو غير مقبول هو الفصل بين البلاغة الحجاجية وبلاغة المحسنات؛ لأن كثيرًا من المحسنات البديعية قد تُوظف توظيفًا حجاجيًا وتدخل بالتالي في مجمل البنيات الإقناعية.

إصلاح اللفظ، وتعرضه للمبحث البلاغي: لزوم ما لا يلزم في باب في التطوع بما لا يلزم^١.

وقد جعل بعضهم ابن جني منبعًا لأفكار عبد القاهر الجرجاني في بعض القضايا البلاغية المحورية، مثل: اللفظ والمعنى، ومزية الأساليب البلاغية بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، كذلك نقل عبد القاهر عن ابن جني بعض التأويلات والتفسيرات^٢، فابن جني كان "يؤوّل بلاغة اللغة العربية ويتوغل في استقصاء الصور والأساليب التي ستشكل فيما بعد عمود علم البلاغة"^٣.

اشتهر ابن جني أيضًا بكثرة التعليل والإسراف فيه، فهو مولع بذكر العلل وتوجيهها، ويحاول بكل ما أوتي من قوة فكر استخلاص العلة حتى لو كانت بعيدة^٤، وقد كانت طريقته في اتخاذ معارض افتراضي تُشبع ولعه بالعلل؛ حيث إنه يتخذ الخصم وسيلة لاستعراض العلل بصفتها حججًا للرد عليه، و"القارئ لكتب ابن جني يرى عقلية منظمة غاية التنظيم، فهو لا يكاد يغادر مسألة إلا بعد أن يشبعها بحثًا ويوضحها بصورة وافية"^٥.

ولعل في تقلب ودوران المادة حول أصل واحد^٦ مثالًا واضحًا على مبالغة ابن جني في التعليل، فهو يقلب الحروف ثم يصطفي من معانيها ما يتوافق مع المعنى الكلي الذي وضعه للمادة، حتى أنه يكاد يلوي المعاني لتستقيم لذاك المعنى الكلي، من ذلك أنه أرجع كل تقلبيات مادة (ق و ل) إلى الخفة والحركة، ومنه قوله: "الوقل للوعل، وذلك

^١ ينظر: عبد الحكيم راضي، الفكر البلاغي في كتاب الخصائص: مقدمة الخصائص، ص ٧-٨

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ١٦ / وينظر: مُجّد مشبال، البلاغة والأصول، ص ٢٠١

^٣ مُجّد مشبال، البلاغة والأصول، ص ٢٠١

^٤ ينظر: فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي، ص ٢٠٧

^٥ حسام سعيد النعيمي، ابن جني: عالم العربية، ص ٣٧

^٦ أشار السامرائي إلى بعض الأمثلة حول ذلك، كالأصول (ك ل م)، و (س ل م). ينظر: ابن جني النحوي،

ص ٢٠٧-٢١٢

لحركته، وقالوا: توقل في الجبل: إذا صعد فيه، وذلك لا يكون إلا مع الحركة والاعتماد"^١،
فيمكن إذاً تطبيق معنى الحركة والخفة على معظم الحيوانات من جهة، ويمكن القول إن في
صعود الجبل شدة ومشقة تورث الثقل هذا من جهة، ويمكن القول من جهة أخرى إن في
بنية الوعل الجسدية قوة.

ويمكن تبعاً لذلك تصنيف التعليل في كتاب ابن جني في صنفين^٢:

- صنف تكلف وبالغ فيه في التحليل، ويمكن تفنيده والرد عليه.
- صنف آخر في غاية الدقة، تظهر فيه قدرة ابن جني على التعليل.

ومن الصنف الأول على سبيل المثال ما ذكره ابن جني في باب تلاقي المعاني
على اختلاف الأصول والمباني، عندما أرجع معنى صبي وطفل وغلام إلى اللين وترك
الشدّة، فيقول في ذلك: "ومن ذلك قولهم: صبي وصبيّة، وطفل وطفلة، وغلام وجارية؛
وكله للين والانجذاب وترك الشدّة والاعتياص"^٣، ثم يعلل لذلك قائلاً: "وذلك أن صبيّاً
من صبوت إلى الشيء إذا ملت إليه ولم تستعصم دونه. وكذلك الطفل: هو من لفظ
طفلت الشمس للغرب أي مالت إليه وانجذبت نحوه... وعلى هذا قالوا له: غلام؛ لأنه
من الغلطة وهي اللين وضعفة العصمة. وكذلك قالوا: جارية. فهي فاعلة من جرى الماء
وغيره؛ ألا ترى أنهم يقولون: إنها غضة بضة رطبة..."^٤، ثم يؤكد فكرته ويرجع الكبير
والكهولة والشيخة إلى الشدّة والقوة، فيقول: "وذلك أن الطفل والصبي والغلام والجارية
ليست لهم عصمة الشيوخ ولا جُسأة الكهول"^٥، وكل ذلك يمكن رده وتنفيده، فالكهولة
فالكهولة قد تدل على الضعف واللين؛ لما ينتاب الإنسان في كبره من العجز والخَوَر، وقد

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٨

^٢ ينظر: فاضل السامرائي، ابن جني النحوي، ص ٢٠٧ - ٢١٢

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١١٨

^٤ المصدر نفسه، ص ١١٨ - ١١٩

^٥ المصدر نفسه، ص ١١٩

يكون من ضعفه أنه يكون في حاجة إلى من يؤويه ويقوم بأمره، بينما يوحي الشباب وصغر السن بالقوة والشدة والاعتماد على النفس.

ومن الثاني ما ذكره في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني، كالقضم والخضم والقط والغليان والغثيان، وما ذكره في باب تركيب اللغات وتداخلها نحو حسب يحسب ونعم ينعم، وما أشار له في باب الحمل على المعنى كتذكير المؤنث، وتأنيث المذكر، والتعبير عن الواحد بالجماعة والعكس، وتفسير مواضع من الإعراب حملاً على المعنى، فهذه كلها تعليقات مستقاة من طبيعة اللغة^١.

ومما يتصل بالتكلف والتعليل: الإطناب، "فهو يميل دائماً إلى الإطناب والتكرار والتوسل إلى الإقناع بكل ما في وسعه"^٢ إلى درجة أنه قد يخرج في كثير من المواضع عن موضوعه الذي يتحدث فيه ليعلل ويحلل مسألة وردت عرضاً في بعض أمثله، مثل قوله في سبب تخصيص الله سبحانه وتعالى للأسماء بالذكر في قوله (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)^٣، التي جاء بها محتجاً لمذهب من قال بأن اللغة توقيف: "اعتمد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى القبل الثلاثة، ولا بد لكل كلام مفيد من الاسم، وقد تستغني الجملة المستقلة عن كل واحد من الحرف والفعل، فلما كانت الأسماء من القوة والأولية في النفس والرتبة، على ما لا خفاء به جاز أن يكتفى بها مما هو تال لها، ومحمول في الحاجة إليه عليها"^٤، ثم يخرج من موضوعه إلى موضوع آخر متصل به، وهو ذكر الأمر الواضح وترك ما دونه لمعرفة الناس به، فيدل على ذلك بيتين من الشعر، ثم يستمر في ذلك فينشئ حواراً حول هذه المسألة، فيقول: "فإن قيل: فقد جاء عنهم في كتمان الحب وطيه وستره والبجح بذلك، والادعاء له ما لا خفاء به، فقد ترى إلى اعتدال الحالين فيما ذكرت. قيل: هذا وإن جاء عنهم، فإن إظهاره أنسب عندهم، وأعذب على مستمعهم، ألا ترى

^١ ينظر: السامرائي، ابن جني النحوي، ص ٢١٢

^٢ مُجَّد النجار، مقدمة الخصائص، ص ١٣

^٣ البقرة: من الآية ٣١

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤١-٤٢

أن فيه إيذاناً من صاحبه بعجزه عنه وعن ستر مثله، ولو أمكنه إخفاؤه والتحامل به لكان مطيقاً له، مقتدرًا عليه...^١ وبعد أن حُلِّصَ من بيان هذه المسألة عاد لموضوعه الأول وهو نشأة اللغة، وكأنه قد شعر بإطلاته فقال: "ثم لنعد فلنقل في الاعتلال لمن قال بأن اللغة لا تكون وحيًا...^٢".

قد يصل الإطناب عند ابن جني إلى حد بعيد، إلى درجة أن القارئ قد ينسى معه القضية الأولى موضوع النقاش، فهو "قد يورد الأمر أحياناً [ظاهره] أنه ليس مما هو بسبيله ثم يمضي في الاستدلال حتى ينتهي إلى أنه مندرج تحت ما يبحثه، مما يسبب للقارئ حيرة واضطراباً في أول الأمر"^٣، من ذلك حجاجه حول مسألة كثرة الثلاثي، والتي جاء بها ردًا على من قال إن في اللغة ما يخفى سببه، شأنها شأن العلل الكلامية^٤، فعلل ذلك بعلتين، هما^٥:

١ - قلة حروف الثلاثي.

٢ - عين الثلاثي التي تتوسط بين الأول المتحرك والثالث

الساكن، فتكون كالحاجز بينهما، بحيث لا تصدم الحس.

ثم درج بعد ذلك الحديث عن عين الثلاثي، والتي قد تكون متحركة وقد تكون ساكنة، ثم شرع بعد ذلك بالحديث عن الحرف الساكن وأبرز خصائصه، وهي أنه في حال إدراجه وتوسطه يختلف عنه في حال الوقف والسكون عليه^٦. فانتقل ابن جني من موضوع النقاش الأساسي وهو أن علل العربية أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٣

^٢ المصدر نفسه، ص ٤٣

^٣ حسام النعيمي، ابن جني: عالم العربية، ص ٣٧ (وردت عدة كلمات في النص دون الهمزات، وقد تم تصحيحها أثناء نقل النص).

^٤ وذلك في باب ذكر علل العربية أكلامية أم فقهية؟ ينظر: الخصائص، ج ١، ص ٤٨

^٥ ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٥-٥٦

^٦ ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٨-٥٨

الفقهيين، إلى موضوع آخر وهو: وجود ما يخفى سببه في علل الفقهيين، وليست كذلك علل النحويين، ثم شرع يعلل ويفسر بعض الأمور اللغوية التي عدها بعضهم غامضة ومجهولة السبب؛ لينفي عنها صفة الغموض، مثل: إهمال بعض الأصول، ومن هذا المثال دخل إلى قضية الأصول وأخذ الثلاثي مبيئاً أسباب شيوعه، ثم عرج منه إلى عين الثلاثي، ثم إلى الحرف الساكن وخواصه، وفي ذلك من التكلف والبعد ما لا يخفى.

وابن جني على الرغم من تكلفه وإطالته وإغراقه في التحليل والتعليل إلا أنه كثيراً ما يعتذر عن الإطالة، وعن أهمية الإيجاز وعدم الإطناب! من ذلك قوله: "وهذا باب طويل جداً، وإنما أفضى بنا إليه ذرّو من القول أحببنا استيفاءه تأنساً به، وليكون هذا الكتاب ذاهباً في جهات النظر، إذ ليس غرضنا فيه الرفع، والنصب، والجر، والجزم، لأن هذا أمر قد فرغ في أكثر الكتب المصنفة فيه منه..."^١، وقوله: "وإنما أذكر من هذا ونحوه رسوماً لتقتدى، وأفرض منه آثاراً لتقتفى، ولو التزمت الاستكثار منه لطال الكتاب به، وأمل قارئه"^٢، وقوله: "فالأمثال واسعة. وإنما أذكر من كل طرفاً يستدل به، وينقاد على وتيرته"^٣، إلى غير ذلك من المواضع التي يؤكد فيها ابن جني عدم حاجته للإطالة والتفصيل، وهذا إذا دلّ إنما يدل على قدرته على التعليل.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٢

^٢ المصدر نفسه، ص ١١٦

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢١

● رابعاً: شكل الحجاج في كتاب الخصائص:

لقد جعل أرسطو الحجاج l'argumentation هدفاً يرومه كل من الجدل والخطابة^١، ومن هذا المنطلق يمكن التمييز في إطار النظرية الحجاجية بين نوعين من الحجاج، هما^٢:

١- الحجاج الجدلي l'argumentation dialectique الذي

يقوم على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرد.

٢- الحجاج الخطابي l'argumentation rhétorique وهو

حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة. والحجاج هنا ليس لغاية التأثير العقلي وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات.

أما البرهان فبعيد عن الحجاج؛ لأنه يُبنى على اليقينيّات لا على الاحتمال، وبالتالي هو لا يسعى إلى الإقناع بل إلى فرض الحقائق التي تمّ تقريرها في المقدمات.

فديكرو يميز بين دراسة البرهنة اللسانية -والتي يجب أن تقارن باللغات الشكلية لمعرفة المؤتلف منها والمختلف-، و دراسة الحجاج الذي تتمثل وظيفته في توجيه باقي الخطاب^٣.

وقد تم رصد عدد من المظاهر المختلفة التي تميز كلاً من الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي، أبرزها ما يلي:

^١ ينظر: أرسطو طاليس، الخطابة: الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، بيروت: دار القلم، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م، ص ٣

^٢ ينظر: عبدالله صولة، الحجاج في القرآن الكريم: من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط ٢ (ط ١: ٢٠٠١م)، بيروت: دار الفارابي، منوبة: منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس: دار المعرفة، ٢٠٠٧م، ص ١٨

^٣ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٨

- من حيث الغاية: يتفق الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي في أن كليهما يروم الإقناع حسب أرسطو، لكن التوصل إلى هذه الغاية في الحجاج الخطابي يعتمد على إثارة انفعالات الجمهور ومشاعره، بينما يعتمد الحجاج الجدلي على التأثير العقلي كما سبق.

- من حيث المتلقي: الحجاج الجدلي ذو هيمنة فردية؛ فهو لا يقوم إلا بين طرفين اثنين هما السائل الذي يمثل الطرف الأبرز في الجدل، والذي يوجه حركة الحجاج بأسئلته، والمجيب الذي يجب عليه أن يسلم للأول بما يحتاجه. بينما تحكم الهيمنة الجماعية الحجاج الخطابي؛ حيث يقوم بين مخاطب واحد مسيطر هو الخطيب، وجماعة من المتلقين هم الجمهور الموجه إليهم الخطاب. بعبارة أخرى يتجه الحجاج الجدلي إلى سامع كوني؛ حيث إن أسئلته يمكن أن توجه لأي شخص كان، ولا تعد تبعاً للمتلقى والمقامات المتعلقة به اجتماعية كانت أو ثقافية، بينما يتجه الحجاج الخطابي إلى سامع خاص، فهو موجه إلى جمهور معين، ومعدّ بحسب هذا الجمهور ومقاماته^١.

ولا يشترط في طرفي الجدل أن يكونا ظاهرين، فقد يكون الخصم في الحجاج الجدلي مفترضاً، وسمي الجدل مع خصم افتراضي بالجدال ذي الطرف الواحد تجوزاً؛ لأنه لا يكون طرفاً وحيداً أبداً، وإلا لن يكون هناك جدال، لكن أُطلقت عليه هذه التسمية تمييزاً له من الجدل ذي الطرفين الحقيقيين الذي هو أقرب ما يكون للمناظرة.

- من حيث العلاقة بين المتخاطبين: "تتسم العلاقة [في الخطابة] بعدم التكافؤ لسيطرة الواحد على الآخر"^٢، فالخطيب يسيطر على الجمهور، بينما تكون العلاقة في الحجاج الجدلي أقرب للتكافؤ من حيث التقارب بين المتجادلين في المنزلة والكفاءة. ويذهب بعضهم إلى أنه لا يشترط أن يكون

^١ ينظر: كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص ٩٧ - ٩٨.

^٢ عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ص ٩٠.

المتحاوران في الجدل خصمين في الرأي، بل أن يتمحور الجدل حول مخاطبة الآخر والتباحث معه ومشاركته الفحص إلى أن يتهيأ الإقناع^١.

- من حيث المقدمات: يشترك الجدل والمخاطبة في أن كليهما يدخلان في مجال المحتمل، ولا يقدران في ذاتيهما على تأسيس معرفة محددة سلفاً، لكن يظل الاحتمال في الجدل أقوى منه في المخاطبة؛ لأنه يمثل تقنية مبدئية في التفكير الجدلي، بينما تنعقد المخاطبة حول النافع والمجذب والمتمى والمناسب^٢.

- من حيث النتائج: يشيع أن الحجاج الخطابي يأخذ السامع واقتناعه بالنتائج بعين الاعتبار، أما الحجاج الجدلي فيميل إلى التبكيت، حيث يبني فيه السائل استراتيجية يروم من خلالها إرغام المجيب على التسليم له بما يريد، وليس بالضرورة أن يقتنع^٣.

لكني أظن أن هذا التميز بين نتائج الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي غير دقيق؛ إذ إن الإقناع تيمة موجودة في كل منهما، ومن باب التبديه أن الإقناع الذي يستهدف التأثير العقلي (في الحجاج الجدلي) أطول تأثيراً من نظيره الذي يعتمد إثارة انفعالات الجمهور (في الحجاج الخطابي).

ثم إن الملفوظ الحجاجي عامة يُبنى على فرض النتائج، وإلا لما كان الحجاج ناجعاً، ويعتقد ديكرود أن العمل الحجاجي يتمثل في أن تفرض على الفاعل الهدف نمطاً ما من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن أن يسير فيها الحوار^٤، أي أن المتلقي يجد نفسه فجأة في أحاييل الخطاب لا فكاك منها، ملزماً بأن يستنتج وبأن يلتزم بما استنتج، أو على الأقل ملزماً بأن يقتنع بما استنتج، فقد أصبح المتلقي نفسه آلة في عملية

^١ ينظر: عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ص ٨٠

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٨٣

^٣ ينظر: كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص ٩٧

^٤ ينظر: عبدالله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص ١٤٥

إنتاج المعنى^١. فلا يمكن القول إن نتائج الحجاج الجدلي تبكيتية؛ لأنه لا يمكن أن يكون هناك تسليم من قبل المتلقي دون أن يقتنع بالقضية محور النقاش، لكن يمكن القول إنها تحمل نوعاً من التوجيه الذي يؤدي إلى تسييد النتيجة.

وقد رفض بيرلمان التعارض الذي أقامه أرسطو بين الجدل والخطابة، فقد عد أرسطو الجدل معنياً بالحجج المستخدمة في المناظرات أو في الحوار مع مخاطب واحد، بينما عدّ الخطابة متعلقة بالحجج المستخدمة في ساحة عمومية أمام حشد من الناس غير مختصين وعاجزين عن تتبع استدلالات مقعدة. فبيرلمان يرى أن الفصل بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي فصل مصطنع، فهو يرى أن الخلاف بينهما في الظروف والملابسات المحيطة بكل منهما، وليس خلافاً في طبيعتهما^٢.

ولا أظن أنه يمكن تنحية هذا البون بين الجدل والخطابة بهذه البساطة، و إزاحة هذا التباين بدعوى التشابه في طبيعتهما؛ حيث إن الشكل اللغوي لكل منهما مختلف، وإذا كان يمكن تجاوز بعض الفروق فيما بينهما فلا يمكن تجاوز الشكل اللغوي، فالحجاج الجدلي يقوم على شكل حوارى يعتمد السؤال والجواب، أما الحجاج الخطابي فهو "قول ينشئه الخطيب وحده، يكون الغرض منه في كل الحالات هو إقناع الجمهور"^٣.

إن الروابط بين الجدل والحجاج كثيرة، فقد صنف الجدل بوصفه شكلاً من أشكال الحجاج؛ و يعود هذا الارتباط إلى عدد من المقومات العامة والخصائص المشتركة بينهما^٤.

ويبلغ هذا التعالق بين الجدل والحجاج أوجه في الثقافة العربية حيث كان الحجاج في كثير من الأحيان مرادفاً للجدل^١. نجد على سبيل المثال أن صاحب "البرهان في وجوه

^١ ينظر: عبدالله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص ١٤٥

^٢ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٣٥

^٣ كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص ٩٦

^٤ ينظر: عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ص ١٠٣

البيان" استخدم مصطلح الجدل بديلا عن الاحتجاج، كذلك استخدم الجاحظ (المحاجة) للخصوم في باب (محاجة الخصوم ومناقلة الأكفاء ومقاومة الإخوان)^٢.

لقد أشار البلاغيون والنقاد إلى الحجاج في باب الاستدلال مرة، وفي باب الاستدراج أخرى، وفي باب الاستشهاد والحجاج الثالثة، وفي باب القياس والتمثيل رابعة، وفي باب الجدل والمجادلة خامسة^٣.

ويمكن الحكم على حجاج ابن جني في الخصائص في معظمه بأنه حجاج جدلي من حيث:

● تمكنه من معظم إستراتيجيات المجادل، واطرادها في أسلوبه وكتابه، ويمكن الإشارة أولا إلى (بلاغة السؤال والجواب) وهي إستراتيجية محورية في الجدل؛ لأنه يبنى عليها، وقد سبقت الإشارة بأن خطاب ابن جني خطاب حوارى يعتمد السؤال والجواب في تطوير الموضوع وتصعيد الحجج.

فإجادة صوغ الأسئلة وتقديم الأجوبة مبدأ من المبادئ العلمية التي يقوم عليها الجدل، "وإجادة السؤال موصولة بمعرفة السائل ثلاثة أشياء على الأقل: أولها اختيار صيغة السؤال وثانيها الوعي بطبيعية موضوعه وثالثها مراعاة قاعدة الإيجاز والوضوح..."^٤.

وليست استراتيجية السؤال والجواب مطلقة في الحجاج الجدلي، "فما كل صيغة تصلح سؤالاً في الجدل لأن السؤال الجدلي موقوف على ما يجاب عليه بالنفي أو

^١ ينظر: كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص ٩٩

^٢ ينظر: عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ص ١٦٨، ١٧٢

^٣ ينظر: علي محمد علي سلمان، الحجاج عند البلاغيين العرب، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته:

دراسات نظرية وتطبيقية محكمة)، ص ١٦٧

^٤ عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ص ١٨٤

بالإثبات (نعم أولاً)، لذلك لم يجوزوا للجدلي السؤال عن ماهية الشيء (ماهو؟) أو لميته (لم) لاندراج هذين السؤالين في باب التعليم^١.

وتكثر أسئلة الإثبات والنفي في الخصائص، أو بعبارة أخرى أسئلة التخيير، وفضلاً عن غنى كتاب ابن جني بهذا النوع من الأسئلة، فإن هذا الأسلوب قد تسرب إلى بعض عناوين الخصائص، من مثل:

- باب القول على أصل اللغة ألهام هي أم اصطلاح؟
- ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية؟
- باب في هل يجوز لنا من الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أو

لا؟

- باب في العربي يسمع لغة غيره، أيراعونها ويعتمدها، أم يلغونها ويطرح حكمها؟

- باب في هذه اللغة أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط؟

- باب في الشيء يرد فيوجب له القياس حكماً ويجوز أن يأتي السماع بضده أيقطع بظاهره، أم يتوقف إلى أن يرد السماع بجملة حاله؟

فالمسائل الجدلية ترد غالباً على الصيغة الاستفهامية التالية: (هل "ق" أم لا- "ق"؟)، وهي صيغة ذات فرعين متناقضين، وهذا السؤال هو سؤال مولد لحركة قول واقعة بين قولين متناقضين، فتبدأ المناقشة الجدلية عادة بتخيير المتلقي بين إحدى كفتي القضية موضوع النقاش: القضية مثبتة (ق)، والقضية نفسها منفية^٢.

^١ عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ص ١٨٥

^٢ ترمز ق إلى وجود نتيجة إيجابية في القضية المتناولة.

^٣ ينظر: هشام الرفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، ص ٢٠١

وقد نواجه أحياناً بعض أسئلة الماهية في أسلوب الجدليين، لكنها غالباً لا تُدرج لذاتها، بل لتفتح باباً آخر للجدل، على سبيل المثال يتساءل ابن جني في أحد عناوين أبوابه عن الماهية وذلك في (باب القول على اللغة وما هي)، ثم في ذات الباب يتبع حدها مباشرة بقوله: "وأما اختلافها فلما سنذكره في باب القول عليها: أمواضة هي أم إلهام"^١. فأورد ابن جني تعريفه للغة؛ حتى يملك القارئ وعياً بها، ويكون بالتالي قبولاً يُمكن ابن جني من بدء حججه حول نشأتها وهي اصطلاح أم توقيف.

● ومن الإستراتيجيات الجدلية التي تبناها ابن جني: الإقناع بسلطة الإجماع.

فالإجماع أصل من أصول النحو التي يُتجج بها عند ابن جني، لكن ليس على إطلاقه، فقد قننه ابن جني بقوله: "اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص. والمقيس على النصوص، فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه. وذلك أنه لم يرد ممن يطاع أمره في قرآن ولا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ..."^٢، فيجعل إجماع النحاة على حكم دليلاً على وجوب تسليم الفاعل الهدف.

وقد تبني ابن جني هذه الاستراتيجية في كثير من نصوصه، فيقول على سبيل المثال ردّاً على من اعترض على لزوم حركة الإعراب لآخر الكلمة مثل: أحمد، وإبراهيم، ويضرب؛ بدليل سكونها في الوقف، مثل: إبراهيم، وأحمد، ويضرب: "اعتراض الوقف لا يُجفل به، ولا يقع العمل عليه وإنما المعتبر بحال الوصل؛ ألا تراك تقول في بعض الوقف: هذا بكر، ومررت ببكر، فتنتقل حركة الإعراب إلى حشو الكلمة، ولولا أن هذا عارض جاء به الوقف لكنت ممن يدعى أن حركة الإعراب تقع قبل الآخر؛ وهذا خطأ بإجماع"^٣.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٣

^٢ المصدر نفسه، ص ١٨٩

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣٣١

فربط رفضه لعدم لزوم حركة تلك الكلمات بنقل حركة الإعراب للحرف قبل الأخير في حال الوقف، فالوقف في هذه الكلمات عارض سبب تسكينها، والسبب العارض لا يُعتد به بالإجماع.

كذلك رده على من جعل الضمير عاملاً في الضمير في نحو (ضربتك)، فجعلوا التاء هي العاملة في الكاف، يقول ابن جني ردًا على ذلك: "فلو كانت التاء في ضربتك هي العاملة في الكاف، لفسد ذلك؛ من قبل أن أصل عمل النصب إنما هو للفعل، وغيره من النواصب مشبه في ذلك بالفعل، والضمير بالإجماع أبعد شيء عن الفعل، من حيث كان الفعل موعلاً في التنكير، والاسم المضمر متناه في التعريف"^١، فجعل الإجماع يبعد الضمير عن الفعل باعثًا على رفض عمل التاء في الكاف.

● ومن الإستراتيجيات الجدلية أيضًا: الانضواء الشخصي في الإشكالية التي يناقشها، ففي الحجاج الجدلي يختار الفاعل فيه الانخراط شخصيًا في الإشكالية يتبناها ويدافع عنها، وفي هذه الحالة تستحيل الإشكالية "مناظرة" تصبح فيها الفواعل الأخرى المحاججة والحجج الأخرى محل شك، وذلك عن طريق أحكام قيمية متفاوتة، وعن طريق أشكال إدانة وأقوال ساخرة^٢.

ومن الدلائل على اضطلاع ابن جني بحججه كثافة حضور ياء المتكلم وضمير الفاعلين في خطابه، كذلك حضور العبارات التقويمية من مثل: "وهذا تفسير أبي علي عن أبي بكر، وما أحسنه!"^٣، وقوله: "وهذا وجه حسن"^٤، وقوله: "هذا تقرير فاسد، ووضع غير متقبل"^٥، وقوله: "ويجوز فيه عندي وجه آخر"^٦، وقوله: "وإن كان هذا خطأ

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٠٣

^٢ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٧٢-٧٣

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ١٠٥

^٤ المصدر نفسه، ص ١٧

^٥ المصدر نفسه، ص ٢٤٢

^٦ المصدر نفسه، ص ٤٢

عندنا فإنه قول لقوم"^١، إلى غير ذلك من المواضع المتعددة التي توضح انضواء ابن جني شخصياً في الإشكالية التي يتبناها.

ومما يمكن أن يساعد في توضيح ذلك الانخراط ما سبق تقريره من أن هدف الحجاج أو الخصم الذي اتخذه ابن جني افتراضي ومجهول، وهذا ما يعطي حيزاً أكبر لحضور شخصية ابن جني في الحجاج. فالفاعل الذي نواجهه في الحجاج الجدلي إما مجهول مما يضفي عليه طابعاً تعميمياً، أو موضوع موضع اتهام مما يساهم في إضفاء طابع شخصي على الحجاج^٢.

هذه أبرز الملامح التي تضيفي طابع الجدلية على حجاج ابن جني، وهي جدلية تقوم على بعض الضوابط والمبادئ التي تعطي المتلقي نوعاً من الشعور بأهمية المطروح، وبالتالي التسليم به، وذلك من خلال عدة إستراتيجيات، وهي تختلف عن جدلية التبكيث التي تقترب من السفسطة.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢١٣

^٢ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٧٢

الفصل الثاني

(أسس الخطاب الحجاجي في كتاب الخصائص)

- المبحث الأول: الأصول النحوية عند ابن جني.
- المبحث الثاني: طرق الاستدلال ونقض الحجاج في الخصائص.
- المبحث الثالث: المغالطات الحجاجية في الخصائص.

الفصل الثاني

المبحث الأول

(الأصول النحوية عند ابن جني)

يقول ابن جني في مقدمة كتابه الخصائص مبيئاً سبب تأليفه هذا الكتاب: "وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقهاء"^١، فهو قد قرر أن يفرد كتابه - مع طابعه الموسوعي الذي يتضمن علوم اللغة - بميزة هامة وهي: أنه كتاب جامع للأدلة التي يستدل بها في اللغة على صحة قاعدة ما من عدمها، وقد تعرض للعمل بها على طريقة الأصوليين في أدلتهم، ووضح أنه لم يسبق بهذا العمل إلا من قبل الأخفش^٢ في شيء يسير من المقاييس.

والخصائص لابن جني من أوائل الكتب التي صُنفت في علم أصول النحو - حسب ما قاله -، وهو: "علم يُبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية؛ من حيث هي أدلته، وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل"^٣، والمتأمل في الخصائص يرى أن مؤلفه قد حاول أن يؤسس للأصول نظرياً، وأن يُفعلها تطبيقياً بوصفها طرُقاً للاستدلال على صحة رأيه، أو حججاً يحتج بها على سلامة ما يذهب إليه، ومن باب الارتباط المتين بين دراسة الحجج والأصول النحوية بوصفها حججاً أو طرائقاً للاستدلال كان من الضروري استقصاء الأصول النحوية التي اعتمدها ابن جني في الخصائص في هذا المبحث.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢

^٢ هو حسب النجار محقق الخصائص، ص ٢: الأخفش الأوسط: سعيد بن مسعدة، من نحاة البصرة،

ت ٢٢١هـ، ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٧٥

^٣ جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: محمود سليمان ياقوت، مصر: دار المعرفة

الجامعية، ٢٠٠٦م، ص ١٣.

ومما يوثق العلاقة بين الحجاج وأصول النحو: تلك العلاقة القائمة بين علم الجدل في النحو وعلم أصول النحو؛ من حيث كونهما جديدين على علوم العربية كما يشير ابن الأنباري، ومن حيث وجود تلازم وقرب في وقت وضعهما كما أشار السيوطي^١، عدا عن كون موضوعاتها ذات ارتباط وثيق بالحجاج من حيث الاحتفاء بالفاعل المُحَاجِّج والفاعل المهدف، وإستراتيجيات الحجاج الجدلي المختلفة التي تؤدي للإذعان، والعناية بوسائل الاستدلال وطرق نقض الحجاج، وغيرها.

وقد عرض ابن جني في كتابه الخصائص لعدد من الأصول النحوية، أبرزها: السماع، والقياس، والإجماع. مستعرضًا إستراتيجيات الحجاج وطرق نقضه من خلال هذه الفصول.

أولاً: السماع:

السماع هو الأصل الأول من أصول النحو العربي، وهو من الأصول المتفق عليها بين علماء العربية، فلم يهمله أحدهم، وكلهم يعتقدون به، ويعرّف بأنه: "ما ثبت في كلام من يُوثق بفصاحته؛ فشمل كلام الله، وهو القرآن، وكلام نبيه ﷺ، وكلام العرب، قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده، إلى أن فسدت الألسن بكثرة المولدين، نظماً ونثرًا، عن مسلم أو كافر"^٢، وهو الدليل النقلي الوحيد من بين أدلة النحو، فهو يعتمد على النقل و الأخذ عن الأعراب الفصحاء لا على العقل، ويسمى (النقل) بمصطلح ابن الأنباري؛ ولعله أسماه بذلك ليفرق بين المعقول والمنقول من أدلة النحو العربي^٣.

يتلمس ابن جني الدقة في هذا الباب، ويتعامل مع هذا الأصل بحذر شديد، يدلنا على ذلك بعض المناهج التي اتكأ عليها في الخصائص، ومنها:

^١ ينظر: جلال الدين السيوطي، الاقتراح، ص ٩

^٢ المرجع نفسه، ص ٧٤

^٣ ينظر: محمود أحمد نخلة، أصول النحو العربي، بيروت: دار العلوم العربية، ١٩٨٧م، ص ٣١

— منهجه في السماع الذي يروم فيه الدقة فيمن تؤخذ عنهم اللغة، فهو مع اعتداده بلغة أهل البادية يقول: "لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها"^١، فهو لا يُدعن في سلامة اللغة لكل بدوي لمجرد بداوته، بل يتروى في الأمر بشيء من التمحيص، فيقول: "وقد كان طراً علينا أحد من يدعي الفصاحة البدوية، ويتباعد عن الضعفة الحضرية، فتلقينا أكثر كلامه بالقبول له، وميزناه تمييزاً حسن في النفوس موقعه... .. فقوى في نفسي بذلك بعده عن الفصاحة، وضعفه عن القياس الذي ركبه"^٢.

وهذا المنهج حسب حيثيات الحجاج يساعد على تسليم الفاعل الهدف؛ لأن الفاعل المحاجج يقوم بشرح منهجه وتبرير وضعه مما يساعد في قبول الفاعل الهدف لحجابه، فالشكل الموحد والمنهج الواضح يساعدان في فهم الموضوع وبالتالي تقبله، ثم إن الفاعل المحاجج من خلال هذا المنهج يُعطي نفسه سلطة الاختيار من لغة البدو؛ وهذا يعطي الفاعل الهدف انطباعاً يهدف إلى تقديس هذا المتكلم باعتباره سلطة يجب أن يحترم رأيها.

— منهجه في المسموع الذي يبتغي من خلاله إحكام المسموع وتقنينه، فهو لا يكتفي بالأخذ عن العربي الفصيح الذي يثق بفصاحته، بل يستقصي كلامه ويفحصه، وخلاصة منهجه في فحص الكلام المسموع منثورة في بابين، هما: (باب في الفصيح الذي يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً)، و(باب في العربي الفصيح ينتقل بلسانه)، وهيمنة لفظة الفصيح في كل الأبواب التي تُناقش مسألة التنقيب عن المسموع تُنبئ عن دلالة مهمة هي: اختصاص هذا المنهج بالكلام الفصيح الذي نجا من اللحن.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٥

^٢ المصدر نفسه، ص ٥ - ٧

وذلك كله لم يمنع ابن جني من تلقي كلام بعض أهل البادية الذين آنس منهم فصاحة لكن دون التسليم لهم بكل ما قالوه، يقول عن فصاحة أهل البادية في زمنه: "وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا؛ لأننا لا نكاد نرى بدويًا فصيحًا. وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه، لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدم فيه، وينال ويغض منه"^١.

مفاد هذا المنهج هو التأمل في كلام العرب، وعدم التسرع في رفض كلمة أو تركيب، ووسمهما بالدخيل والشاذ، وأن أكثر ما رُد ورفض "إنما هو لغات تداخلت فتركت"^٢، وقد وصف ابن جني مَنْ تعجل في وسمها بالشذوذات وهرع إلى جمع الدخيل منها والشاذ بخفة الفهم وضعف النظر^٣، وعدَّ رَدَّ كُلِّ مسموع بحجة أنه خارج عصر الاحتجاج أو لوجود بعض الفساد في لغة صاحبه، قد يؤدي إلى قصر السماع وبالتالي خنق اللغة، يقول عن ذلك: "هذا يوحشك من كل لغة صحيحة؛ لأنه يتوجه منه أن تتوقف عن الأخذ بها؛ مخافة أن يكون فيها زيغ حادث لا تعلمه الآن، ويجوز أن تعلمه بعد زمان..."^٤.

وعمدة منهج ابن جني في الأخذ عن العربي الفصيح الذي يجتمع في كلامه لغتان أو ينتقل في لسانه من لغة إلى أخرى هي أنه يأخذ باللغة الفصيحة في كلام هذا العربي ويحتج بها، ويطرح اللغة الأخرى إن وُجد فيها فساد، وأن ذلك الفساد في لغته الأخرى لا يؤثر على فصاحة لغته الأم^٥. وهذا يعزز أيضًا مبدأ اتساع اللغة الذي يرمي ابن جني إلى تأسيسه في أصل من أصول اللغة عُرف بأنه من أقل الأصول اتساعًا، فهو لا يرفض لغة لاجتماعها مع لغة أخرى فاسدة في كلام العربي الفصيح، وهو أيضًا يعتد بالمسموع

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٥

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٧٥

^٣ ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٧٤

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٣

^٥ ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢-١٣

في لغة من يثق بفصاحته، وهذا الاتساع يعضد مبدأً فكرياً اتكأ عليه ابن جني، وهو مبدأ التناقض الذي سبقت الإشارة إليه^١.

ومما يقوي مبدأ الاتساع في اللغة عند ابن جني قبوله لمختلف لهجات العرب وعدّها "حجة" في اللغة والتعديد لها، وأنه "ليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبها... لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما، فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها..."^٢، وهذا يُنبئ عن طريقة توظيف ابن جني للسمع، فهو بالإضافة إلى كونه أصلاً من الأصول التي يعتد بها في اللغة، يُعد أيضاً حجة جاهزة يلجأ إليها في كثير من القضايا، وهو حجة نقلية - إن صح التعبير - ولا تتطلب جهداً كبيراً لإقناع المتلقي؛ بصفتها مسلمة من المسلمات التي يلتقي حولها أهل اللغة، يقول ابن جني مثلاً عند تعليقه على البيت التالي:

فَظَلْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أُخِيلُهُو وَمَطَوَايَ مُشْتَقَانِ لَهُ أَرْقَانِ^٣

"فهاتان لغتان: أعني إثبات الواو في (أخيلهو)، وتسكين الهاء في قوله: (له)؛ لأن أبا الحسن زعم أنها لغة لأزد السّراة، وإذا كان كذلك فهما لغتان. وليس إسكان الهاء في (له) عن حذف لحق بالصنعة الكلمة؛ لكن ذاك لغة"^٤. فكأنه بقوله: ذاك لغة

^١ سبقت الإشارة إلى ذلك في مبحث الضوابط المنهجية العامة عند ابن جني، ص ٦٧

^٢ ابن جني، **الخصائص**، ج ٢، ص ١٠

^٣ قيل هذا البيت في وصف البرق، والهاء في أخيله وله عائدة على البرق، والبيت العتيق هو: مكة، وأخيله من خال أي ظن، ومطواي: صاحباي، وأرقان: من الأرق وهو السهر، والبيت من الطويل، وقد اختلف في نسبه، قيل أنه ليعلى الأحول الأزدي وهو ابن مسلم بن أبي قيس، وقيل أنه لعمر بن أبي عمارة الأزدي، وقيل أنه لجؤاس بن حيان، وله رواية أخرى وهي (فبت لدى البيت العتيق أريغه) ينظر: ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ٣٧٠ / وينظر: أحمد المالقي، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩٤هـ، ص ١٦ / وينظر: عبدالقادر البغدادي، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ج ٥، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي، ١٩٨٤م، ص ٢٦٩-٢٧٨

^٤ ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ٣٧٠

قد احتج وأثبت شرعية مذهب الوقف في له، ومذهب الوصل في أخيله، وقطع طريق الاحتجاج على المجالد الافتراضي، لأن وُرودهما عن العرب (حجة).

أما أبرز المعايير التي اعتمد عليها ابن جني في الاصطفاء بين المسموعات، فهي:

١- كثرة الاستعمال: جعل ابن جني كثرة الاستعمال للمكون اللغوي

عنصرًا مهمًا للمفاضلة بين المسموعات؛ فهو يختار ويقدم المسموع الأكثر تداولًا دون أن يكون ذلك مدعاة لرفض المسموع الآخر الأقل أو تخطئته، يقول: "فإذا كان الأمر في اللغة المعول عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها، وأن يتخير ما هو أقوى (وأشيع) منها؛ إلا أن إنسانا لو استعمالها لم يكن مخطئا لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئا لأجود اللغتين. فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه... وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من (لغات العرب) مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيرا منه".^١

وفي هذا المعيار يُفعل ابن جني موضعا حجاجيا مشتركا يتعلق بالكم *les lieux de la quantité*؛ الذي يُشير إلى أن الأكثر هو الأعلى قيمة^٢، فالكلمات والتراكيب اللغوية الأكثر تداولًا هي ذات أفضلية تجعل ابن جني يُقدمها على غيرها.

ومن مبالغته في التمسك بهذا المعيار أنه قد يقدم الكثير الاستعمال على الأقوى قياسًا، مثلما فعل مع (ما الحجازية) و(ما التميمية)، فيقول عن استعمالهما: "وإن شد الشيء في الاستعمال وقوى في القياس كان استعمال ما كثر استعماله أولى، وإن لم ينته قياسه إلى ما انتهى إليه استعماله. من ذلك اللغة التميمية في (ما) هي أقوى قياسًا وإن كانت الحجازية أسير استعمالًا... إلا أنك إذا استعملت أنت شيئًا من ذلك فالوجه أن

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٢

^٢ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٤٧

تحمّله على ما كثر استعماله، وهو اللغة الحجازية، ألا ترى أن القرآن بها نزل^١، فاختار استعمال الحجازية مع أن التميمية أقوى منها في القياس؛ لكثرة استعمالها.

ولهذا المعيار أهمية كبيرة في الحجاج؛ إذ أن المؤلف يكون عادة أقرب إلى القبول من غير المؤلف، ويساعد بالتالي على تسليم الفاعل الهدف؛ لأن النفس عادة تستوحش من الغريب، وتأبى الجديد.

٢- الخفة: تعد الخفة وسهولة النطق من الأمور المهمة التي اعتمد عليها ابن جني في تبرير استعمال العرب لبعض المسموعات دون غيرها، يقول في تعليل استعمال العرب لبعض المسموعات التي لها نظير في القياس أقوى منها: "فهذا يدل على أنهم قد يتكلمون بما غيره عندهم أقوى منه، (وذلك) لاستخفافهم الأضعف؛ إذ لولا ذلك لكان الأقوى [يعني الأقوى في القياس] أحق وأحرى؛ كما أنهم لا يستعملون المجاز إلا لضرب من المبالغة؛ إذ لولا ذلك لكانت الحقيقة أولى من المسامحة"^٢، فجعل ميلهم لاستعمال الأضعف مع ضعفه في القياس مُشابه لاستعمالهم المجاز الذي عُد بابًا للجمال في اللغة مع مُخالفته للحقيقة، ووجه الشبه بينهما هو في أن كليهما مُتخير مع وجود الأقوى منه، وهذا أيضًا يدعم مبدأ التناقض، ويعزز من فرضية قبول الفاعل المحاجج لكل ما هو مؤلف أو قريب؛ لأن الخفة تساعد في تقريب اللفظ للنطق، ويؤكد قرب ابن جني من مخاطبيه ومعرفته بحاجاتهم، الأمر الذي يؤثر في الحجاج.

٣- ذوق العربي: يركن ابن جني في كثير من تحليلاته واختياراته اللغوية إلى ذوق العربي الفصيح، ويُسلم له في عدة قضايا له، ويرر حتى غريبه من الألفاظ ويحملها على حسن الظن ويبحث عن مسوغات تفسرها.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٢٤-١٢٥

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٧٣

يقول ابن جني عن العربي الفصيح الذي يجتمع في كلامه لفظتان إحداهما أكثر من الأخرى، مبرراً قلة إحدى اللفظتين في كلامه: "إنما قلت في استعماله لضعفها في نفسه، وشذوذها عن قياسه، وإن كانتا جميعاً لغتين له ولقبيلته"^١، من هذا النص يتبين أنه أحاط العربي الفصيح بهالة من التقديس، بحيث جعل له قياساً خاصاً به، وخلق له ذوقاً خاصاً يستند إليه عند الاختيار من المسموعات.

وتبلغ ثقة ابن جني في ذوق العربي الفصيح، في أنه يقبل منه لفصاحته ما لم يُسمع إلا منه من غريب الألفاظ، ويعوز ذلك إما إلى عهده بلغة قديمة، أو إلى ارتجال ذلك العربي، يقول: "فإن الأعرابي إذا قويت فصاحته، وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به..."^٢، فهو لا يكتفي بقبول ذلك الغريب من الأعرابي الفصيح، بل يرى أن الارتجال والتصرف في اللغة حقٌّ مشروعٌ للعربي يستعمله ما دام فصيحاً متقناً للغة. هذا إذا كان فصيحاً، أما إذا كان الناطق بالغريب غير معروف، ولا يملك حظاً من الفصاحة، فإن ما جاء به يكون "مردوداً غير متقبَّل"^٣.

وإذا كان ما أتى به العربي الفصيح متعارضاً مع القياس، فإن ابن جني هنا يعود للمعيار الأول وهو معيار الكثرة، فيرد القليل، وينظر في أمر الشيء إذا كثُر، لكنه مع ذلك غير مقتنع بفكرة أن يكثر الشيء وهو مخالف للقياس، إذ يعود فيقول: "وهذا موضع متعب مؤذٍ يشوب النفس... إلا أن هذا كأنه متعذر ولا يكاد يقع مثله. وذلك أن الأعرابي الفصيح إذا عدل به عن لغته الفصيحة إلى أخرى سقيمة عافها ولم يبهأ بها"^٤.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٧٢

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢٥

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٥

^٤ أي لم يأنس بها.

^٥ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢٦

يمكن القول إن منهج ابن جني في الأخذ عن العرب والسماع يؤكد إصراره على مبدأ اتساع اللغة وعدم تضييقها، دون أن يتجاوز هذا المنهج خطين عريضين، هما: القياس، وفصاحة العربي وذوقه.

وابن جني في باب السماع يُفعل موضعين مشتركين، هما:

- مواضع الترتيب *les lieux de l'ordre*؛ الذي يتعلق بأفضلية السابق على اللاحق^١؛ فهو عدّ العرب السابقين أفضل من غيرهم الذين تغيرت لغتهم بعد اختلاطهم بالعجم.

- و مواضع الكيف *les lieux de la qualité* التي تُقدم الأمور الاستثنائية على غيرها^٢، فابن جني رجّح النخبة المختارة من العرب الذين نعتهم بالفصاحة على غيرهم.

ثانياً: القياس:

القياس هو الأصل العقلي الأول في النحو العربي، وهو يقوم على فكرة الموازنة بين أمرين، والبحث عن أوجه الشبه بينهما، ليمنحا الحكم ذاته، ويختصره ابن جني في قاعدة: "أن ما قيس على كلام العرب فهو... من كلام العرب"^٣.

لقد اعتنى ابن جني بالقياس عناية بالغة، حتى إنه يقول إن: "مسألة واحدة من القياس، أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس"^٤، وينقل عن أبي علي الفارسي قوله: "أخطئ في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطئ في واحدة من القياس"^٥، بل إنه يعتمد إلى ربط معنى النحو عامة بالقياس، فما النحو عنده إلا "انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره... ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة"^٦،

^١ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٤٨

^٢ ينظر: المرجع نفسه.

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١١٤

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٨٨

^٥ المصدر نفسه، ص ٨٨

الفصاحة"^١، فهو القصد إلى القياس على كلام العرب الفصحاء، ليحمل كلام الناس بعدهم عليه.

ومما يدل على عنايته بالقياس هو أنه قد سمى ما وافق القياس (مطرذاً) مُتَبِعاً ومستمرّاً، وجعل ما خالف هذا القياس (شاذاً) متفرقاً^٢، وكأن ما خالف القياس شيء منبوذ ومتفرق عن الأصل، يتضح ذلك من الحمولة الدلالية لكلمتي (شاذ) و(مطرذ).

وهذه العناية من ابن جني وأستاذه أبي علي بالقياس لا تضع القياس في موضع مقارنة مع السماع؛ لأن القياس جاء في كثير من المواضع متكئاً على السماع، فقد قاس العلماء على كلام العرب الذي سمعته عنهم.

وقد عقد ابن جني باباً في تعارض السماع والقياس، وينم منهجه في الموازنة بينهما بأنه لا يضعهما أبداً موضع المقارنة، فهو عند تعارضهما يختار النطق بالمسموع كما جاء عن العرب وطرح المقيس، لكن دون القياس على ذلك المسموع^٣.

وقد أكد ابن جني على وجود فكرة القياس عند العرب منذ القدم، ووضّح في أكثر من موضع مدى حفاوتهم ووعيهم بها، فإذا كان القياس "حمل فرع على أصل بعلة"^٤، فإن "العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل، ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن، وأنه منها على أقوى بال"^٥، وقد برهن ابن جني في أكثر من موضع على وعي العرب بفكرة القياس وعِلِّله، فيقول مثلاً في باب (أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها)^٦: "وليس يجوز أن يكون

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٤

^٢ ينظر: المصدر نفسه، ص ٩٦-٩٧

^٣ ينظر: المصدر نفسه، ص ١١٧

^٤ أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن مُحمَّد الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق: سعيد الأفغاني، دمشق: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٧م، ص ٩٣

^٥ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١١١

^٦ المصدر نفسه، ص ٢٣٧-٢٥١

يكون ذلك كله... إلا وهم له يريدون، وبسياقه على أوضاعهم فيه معنيون، ألا ترى إلى اطراد رفع الفاعل، ونصب المفعول، والجر بحروف الجر... فهل يحسن بذي لب أن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع، وتوارد اتجه!"^١.

وتعود فكرة القياس التي تعطي الحكم لخالتيين أو أكثر بناء على تماثلهما في ناحية معينة إلى نوع خاص من الحجج شبه المنطقية هي: حجج العدل والتبادلية *la règle de justice et la réciprocité* التي تقوم على المماثلة بين كائنين أو حالتين ببيان أنهما مترابطان داخل علاقة ما، وبالتالي يجب معاملتهما بالطريقة نفسها^٢.

لقد أولى ابن جني عناية خاصة بأحد أنواع القياس^٣، وهو: قياس الشبه، وهو "أن يحمل الفرع على [الأصل] بضرب من الشبه غير العلة التي عُلق عليها الحكم في الأصل"^٤، فلا يكاد يتحدث عن المقاييس أو فكرة القياس عند العرب إلا وهو يقصد القياس القائم على الشبه، ومن أمثلة هذا القياس ما حكاه ابن جني من أن العرب حملت حروف المضارعة بعضها على حكم بعض، وإن عُدِمَت العلة في بعضها، فقد حذفوا همزة (أَكْرَم) من: يكرم، وتكرم، ونكرم؛ لمشابتهما (أَكْرَم) التي حُذِفَت همزتها للاستثقال وهذا حكم بعلّة ينتمي لقياس العلة، لكن جُر هذا الحكم على الفعل المضارع من (أَكْرَم) كله أيا كان حرف المضارعة، تشبيهاً له بالفعل (أَكْرَم)، ومع انعدام العلة في الفعل المضارع من (أَكْرَم) يمكن القول إن هذا القياس ينتمي قياس الشبه^٥.

ولا يعني ذلك عدم اعتداده بقياس العلة، لكنه يشير إليه دائماً ويمثل به بوصفه من البديهيّات التي بُنِي عليها القياس النحوي، مثل: رفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفاعل

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٣٨

^٢ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٦٤

^٣ قسم ابن الأنباري القياس إلى: قياس علة، وقياس شبه، وقياس طرد. ينظر: اللمع، ص ١٠٥ - ١١٢

^٤ ابن الأنباري، اللمع، ص ١٠٧ / ملاحظة: كلمة الأصل في النص دون همزة في المرجع، وتم تعديلها هنا.

^٥ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١١١ - ١١٢

بالإسناد، ونصب الفضلات، وغيرها، وهو يرجئ الحديث فيه إلى الأبواب الخاصة بالعلة، لكنه عند حديثه عن المقاييس العربية عامة غالبًا ما يقصد قياس الشبه، فيجعل كلمة القياس تكاد تقابل الحمل أو التجانس أو التشابه.

يعد القياس أحد أوجه تأثر ابن جني بالمنطق الأرسطي التي سبقت الإشارة إليها، من جهة أنه أصل عقلي، ومن جهة شبيهه بالقياس الأرسطي من جهة أخرى^١. فالقياس بصفته أحد وسائل تنظيم التفكير يعود في نسبه إلى المنطق اليوناني مع أرسطو، وقد ربط مُجدِّد عيد بين وجود القياس في النحو العربي عند ابن أبي إسحاق^٢ وبين نسبه غير العربي، وبالتالي بين القياس النحوي العربي وبين المنطق اليوناني والنحو السرياني^٣. فالقياس هو أمتن خيوط النسب بين المنطق الأرسطي والنحو العربي، ولا يستبعد هذا الرأي؛ لما سبقت الإشارة إليه من تأثر العرب عامة في تلك العصور بعلوم المنطق اليوناني.

وقد أولى ابن جني عناية خاصة بأحد أركان القياس وهو "العلة"، وأفرد لها فصولاً متعددة في الخصائص، وله رؤية خاصة بالتعليل؛ فهو يرى التعليل بوصفه "وسيلة لإظهار حكمة اللغة وخصائصها الجمالية التي تتجلي فيما اصطلاح عليه ... (بالانحرافات) و(لطف المقاصد) و(التلفت) و(التثني)"^٤، وقد أسس ابن جني لكثير من مباحث العلل، وفصّل فيها، وله فيها بعض الآراء التي تميز بها، من مثل:

- رفضه القول بوجود العلل الثواني والثالث، فالعلة إنما هي علة واحدة، وما سُمي بالعلة الثانية إنما هي - حسب ابن جني - "شرح وتفسير وتتميم للعلة"^٥،

^١ تمت الإشارة إلى شبهه بالقياس الأرسطي في الفصل الماضي، ص ٥٤

^٢ هو عبدالله بن أبي إسحاق، مولى آل الحضرمي، عُرف بأنه أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل، توفي سنة ١١٧هـ، ينظر: مُجدِّد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: مُجدِّد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢

(ط: ١٩٥٤م)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣م، ص ٣١-٣٣

^٣ ينظر: مُجدِّد عيد، أصول النحو العربي، ص ٦٧، ٧٢

^٤ مُجدِّد مشبال، البلاغة والأصول، ص ٥٢

^٥ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٧٣

ويعلل لذلك بقوله: "فالعلة الحقيقية عند أهل النظر لا تكون معلولة"^١، فهم يتعاملون مع العلة الحقيقية المحسوسة التي تُفيد الواقف عليها، أما وراء هذه العلة مما خفي من أسباب فيُفسر بالشرح والتأويل، وهذا التمييز بين العلة وشرحها يؤكد استيعاب ابن جني للفرق بين الحجة والتبرير لها، ويؤكد أيضاً على طغيان الجانب العقلي في النحو العربي والدراسات اللغوية، من حيث البحث عن المحسوس الذي يدركه العقل، ويعزز مبدأ النفعية والدقة في دراساته.

- تميزت نظرة ابن جني إلى التعليل، فهو يعد الكشف عن العلة نوعاً من بيان حكمة العرب في لغتها، وبياناً لمدى اتساع اللغة، وليس تسويغاً لأخطاء أصحاب اللغة؛ من حيث أن التعليل يُتيح احتواء النظام اللغوي لعدد من الاستعمالات النادرة، فالتعليل هنا أداة لبناء العلم وتأسيس المعرفة^٢.

- ارتضى ابن جني منهجاً دقيقاً في وصف العلل، فهو لا يرتضي الاختصار المخجل في وصف العلة، ولا يرتضي أيضاً التطويل الذي يدخل في باب الحشو واللغو^٣، وقد قرر أن الخلاف النحوي في كثير من الأحيان نتاج من نتائج عدم تقييد العلة، وأن وصف العلة أو تخصيصها تتميم لها، واحتراز عن الخلاف، وليس ترفاً أو من قبيل التعليل للعلة^٤.

ومن بالغ التماس ابن جني للدقة في دراسة العلل أنه يفرق بين العلة والسبب مع أنهما قد يكونان مترادفين في بعض الاستعمالات، فهو يسمي العلة الحقيقية بالعلة الموجبة، مثل: نصب الفضلة، ويُسمي السبب بالعلة المجوزة، مثل: الأسباب الداعية للإمالة^٥، وقد حاول الكفوي أن يفرق بين العلة والسبب، فقال: "قد يراد بالعلة المؤثر،

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٧٤

^٢ ينظر: مُجد مشبال، البلاغة والأصول، ص ٥٣- ٥٤

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨١، ١٩٤

^٤ ينظر: حسن خميس الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، عمان: دار الشروق،

٢٠٠٠م، ص ٦٧

^٥ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٦٤

وبالسبب ما يفضي إلى الشيء في الجملة، أو ما يكون باعثاً عليه... وقال بعضهم: السبب ما يتوصل به إلى الحكم من غير أن يثبت به. والعلة ما يثبت بها الحكم...^١، ولا يخرج هذا التصنيف عما انتهجه ابن جني من حيث ربطه بين وجوب الحكم ومسمى العلة، وبين جواز الحكم ومسمى السبب الذي يطلق عليه علة تجوزاً، ويبدو أن ابن جني قد تأثر في تصنيفه هذا بتصنيف الأصوليين للعلل؛ فالعلة عند الأصوليين هي: "ما يجب به الحكم"^٢.

وحديث ابن جني عن العلل النحوية كثيراً ما يأتي مقروناً بالمقارنة بينها وبين علل المتكلمين وعلل الفقهاء، وأبرز ما توصل إليه في الفرق بينها:

إن العلل النحوية في مرتبة وسطى بين علل المتكلمين وعلل الفقهاء، فهي أقرب لعلل المتكلمين؛ ذلك أنهم "يحيلون على الحس ويحتجون فيه"^٣، فالعلة النحوية "تجلي حقيقة الكلام العربي"^٤، فتبين -مثلاً- حقيقة رفع الفاعل ونصب المفعول، من حيث إن "الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرفع الفاعل لقلته، ونصب المفعول لكثرتة"^٥، وليست كذلك علل الفقهاء التي قد يكون فيها ما يخفى سببه كترتيب مناسك الحج، وعدد ركعات الصلاة، وفرائض الطهور وغيرها^٦، فهذا أول فرق من حيث اعتماد العلل النحوية على العقل الذي يحيل إلى المحسوس، وهذا ما يتفق وأحد أبرز مبادئ المتكلمين وهو الاعتماد على العقل كوسيلة للاستدلال.

^١ أبو البقاء الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري،

ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م، ص ٦٢١

^٢ المرجع نفسه، ص ٦٢٠

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٨

^٤ سليم عوارب، نظرية التعليل في النحو العربي عند ابن جني، ص ١٠٣

^٥ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٩

^٦ ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٨

وبما أن الحس موضع تتلاقى فيه طباع البشر ويحتكم إليه الناس^١، فهو باعث على قبول الحجج المقدمة من قبل الفاعل المحاجج؛ لأن البدء من مقدمات مقبولة يؤدي في الغالب إلى الإذعان بما بعدها من خلال ذلك التكيف الذي ينشأ بين الفاعل المحاجج والفاعل الهدف^٢.

- لم يكتفِ ابن جني ببيان شبه العلل النحوية بعلل المتكلمين، بل قام بتصنيف علل النحويين على أساس اقتربها من علل المتكلمين أو ابتعادها عنها، فقسم العلل النحوية إلى^٣:

أ- قسم لا بُد منه، ويضم العلل التي لا يقع فيها التخصيص^٤، أي لا يمكن الاعتذار عنها، وهذه لاحقة بعلل المتكلمين من حيث وضوحها وغناها عن التخصيص، وصعوبة نقضها، من نحو: الابتداء بالساكن.

ب- قسم آخر يضم تحته العلل التي يجوز تخصيصها، وهذه العلل تبتعد عن علل المتكلمين؛ لضعفها وجواز تخصيصها. مثل: صحة الواو إذا اجتمعت من الياء، وسبقت الأولى منهما بالسكون؛ نحو: حَيَّوَةٌ، وَعَوَى.

فابن جني يرى علل النحويين في مرتبة أقل من علل المتكلمين، من حيث إنه "لو تكلف متكلف نقضها لكان ذلك ممكناً... وليست كذلك علل المتكلمين؛ لأنها لا قدرة على غيرها..."^٥، وفي مرتبة أعلى من علل الفقهاء من حيث وضوح عللها وجلاء وجلاء أحكامها.

^١ ينظر: مُجَدِّ مشبال، البلاغة والأصول، ص ٧٨

^٢ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٤٢

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٤٤-١٤٦

^٤ تخصيص العلة هو أحد مصطلحات ابن جني، ويعني به: تخلف الحكم عن الوصف المدعى عليه في بعض الصور

الصور لمانع، ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٥٥

^٥ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٤٥

لقد توسعت دراسة ابن جني للقياس وعلله بشكل كبير، فتميزت دراسته بنوع من الشمول، فهو قد "عُني... بإقامة هيكل نظري للنحو العربي يتجاوز توضيح حالات الرفع والنصب والجر والجزم إلى اكتشاف ما وراء هذه الحالات من أوضاع ومبادئ، فالخصائص بحث فيما وراء النحو يستهدف الوصول إلى الأصل العميق لتناسق أحكام النحو العربي"^١.

ومما يمكن أن يلحق بالقياس: الاستحسان^٢، وهو من الأدلة غير المعتبرة في النحو العربي؛ فهو ليس مجمعاً عليه مثل السماع والقياس والإجماع، فالأصول عند ابن الأنباري -مثلاً- هي: "نقل [ويعني به السماع] وقياس واستصحاب حال"^٣، ولم يذكر منها الاستحسان؛ وذلك عائد إلى الخلاف الذي أقيم حوله، يقول ابن الأنباري عن ذلك: "أعلم أن العلماء اختلفوا في الأخذ بالاستحسان: فذهب بعضهم إلى أنه مأخوذ به لما فيه من التحكم وترك القياس، وذهب بعضهم إلى أنه مأخوذ به واختلفوا فيه: فمنهم من قال: "هو ترك قياس الأصول لدليل"، ومنهم من قال: "هو تخصيص العلة"^٤. وأظن أن عدم استقرار العلماء حول الأخذ به يعود إلى عدم استقرار مفهومه، فمفهوم الاستحسان عند علماء الأصول يذهب في اتجاهين:

١- اتجاه يرى أن الاستحسان هو ترك القياس، وقد أشار إلى وجود هذا المفهوم ابن الأنباري في النص السابق، وأشار إليه السيوطي في الاقتراح تحت مسمى "ما يبقى

^١ حسن خميس المخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص ٦٥

^٢ أشار له السيوطي في الكتاب الخامس من أبواب الاقتراح تحت عنوان (في أدلة شتى)، ص ٣٨٩ وهذا يدل على أن الاستحسان من الأصول غير المنضبطة كما قال بعضهم، ينظر: إبراهيم أحمد الشيخ عيد، ابن جني

والأصول النحوية، مجلة جامعة الأقصى، م ١٩٩، ع ٢٤، يونيو ٢٠١٥م، ص ٣٨

^٣ ابن الأنباري، مع الأدلة، ص ٨١

^٤ المرجع نفسه، ص ١٣٣-١٣٤

الحكم فيه مع زوال علته"^١، وعرفه الجرجاني في التعريفات بأنه: "ترك القياس و[الأخذ] بما هو [أرفق] للناس"^٢.

وفي رأبي يجب أن يعاد النظر في مفهوم الاستحسان بوصفه تركًا للقياس؛ لأنه اجتمعت له أركان القياس الأربعة من: مقيس، ومقيس عليه، وحكم، وعلّة، إلا أن العلة فيه ضعيفة، ثم إن ابن الأنباري لما أشار له بكونه تركًا للقياس كان قد أشار إلى آراء العلماء حوله ولا أظنه أراد هذا الرأي؛ بدليل أنه لما فرغ من ذكر آراء العلماء قال: "وأما ما حكى عن بعضهم أن الاستحسان هو ما يستحسنه الإنسان من غير دليل؛ فليس عليه تعويل"^٣، وأما عن عدم ذكره الاستحسان من بين الأصول، فيعود حسب ما أظن إلى أنه يقدر أن الاستحسان داخل في باب القياس، وأنه قياسٌ علته ضعيفة.

٢- الاتجاه الآخر الذي يرى أن الاستحسان قياس لكن ضعفت فيه العلة، أو أنه تخصيص للعلة، ومن أبرز من اتجه هذا الاتجاه: ابن جني.

فالاستحسان من الأدلة الضعيفة وغير المستحكمة عند ابن جني^٤؛ نظرًا لاعتماد علته على أساس ذوقي وليس على أساس عقلي، فالاستحسان تابع للقياس؛ من حيث إنه قياس أمر على أمر آخر لعلّة، لكن العلة هنا اعتباطية، بمعنى أنها لا تعتمد على العقل والمنطق بقدر ما تعتمد على ذوق العلماء واختياراتهم.

فابن جني عدّ الاستحسان تابعًا للقياس، وبوب له بوصفه مقدمة لحديثه عن العلل، وهو أمر لم يفعله مع كل الأصول^٥، أما تصنيفه له بالضعف وعدم الاستحكام فهو ناتج عن ابتعاده عن العلل العقلية، فابن جني شأنه شأن المعتزلة يمجّد ما يعتمد على العقل والحس، ويُضعف كل ما يبتعد عنه.

^١ السيوطي، الاقتراح، ص ٣٩١

^٢ الجرجاني، التعريفات، ص ١٨ / ملاحظة: تم إضافة الهمزات للنص.

^٣ ابن الأنباري، لمع الأدلة، ص ١٣٤

^٤ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٣٣

^٥ مثل أصل استصحاب الحال.

وضعف علة الاستحسان عند ابن جني يعود إلى عجزها عن الاطراد والتتابع،
فيقول عن إلحاق نون التوكيد باسم الفاعل في الشاهد:

أَقَائِلُنَّ أَحْضِرُوا الشُّهُودَا^١

"فألحق نون التوكيد اسم الفاعل، تشبيهاً له بالفعل المضارع. فهذا إذاً استحسان،
لا عن قوة علة، ولا عن استمرار عادة؛ ألا تراك لا تقول: أقائم يا زيدون، ولا أمنطلقن
يا رجال، إنما تقوله بحيث سمعته، وتعتذر له، وتنسبه إلى أنه استحسان منهم، على
ضعف منه واحتمال بالشبهة له"^٢. فابن جني هنا يقرر لهذا الحكم الضعف ويخصص
العلة بالاعتذار لها، وقد اجتمع في هذا المثل أركان القياس الأربعة: فالمقيس هو اسم
الفاعل، والمقيس عليه وهو الفعل المضارع، والحكم وهو إلحاق نون التوكيد، والعلة وهو
شبه الفعل المضارع باسم الفاعل. فهو قياس مكتمل الأركان إلا أن علة ضعيفة إذ لا
تطرد في كل فعل مضارع.

فالاستحسان في هذا المفهوم نوع من القياس الخفي يستند إليه من قويت
فصاحته؛ لإغناء اللغة وتوسيع نسقها عن طريق تضمينها صيغاً جديدة^٣، وضعف علة
يعود إلى غياب المستند العقلي الذي تستند إليه العلة، واستبداله بمستند ذوقي يعود إلى
استحسان العلماء.

^١ البيت من البحر الرجز، وهو منسوب لرؤية بن العجاج في ديوانه (مجموع أشعار العرب: وهو مشتمل على
ديوان رؤية بن العجاج وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه)، تحقيق: وليم بن الورد البروسي، الكويت: دار ابن
قتيبة، ب ت، ص ١٧٣/ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٣٦/ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك
إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٣م، ج ١، ص ٢٤/ عبد القادر
البغدادي، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج ١١، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط ٤، القاهرة: مكتبة
الخانجي، ١٩٨٣م، ص ٤٢٠.

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٣٦

^٣ ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأصول، ص ٦٦

ثالثاً: الإجماع:

الإجماع من الأصول المعتمدة عند ابن جني، ويقصد به: "إجماع نخاة البلدين: البصرة، والكوفة"^١ على حكم نحوي. وهو الأصل الوحيد الذي أطلق عليه ابن جني مسمى "حجة"؛ وكأنه يريد بذلك تبرير حجية هذا الباب لما ضعف فيه المستندان العقلي والنقلي الذين كانا حاضرين في أصلي السماع والقياس، فيقوم على مستند ذوقي هو إجماع العلماء على القول بحكم ما.

ويعود الإجماع أيضاً إلى مواضع الكم؛ حيث يعتمد على عدد العلماء الذين وافقوا حكماً معيناً، فإن كثر عددهم فالحكم مزكى، وإن قلّ كان الحكم أقل قيمة. واستخدامه بصفته حجة يمكن أن يُدرج تحت حجة السلطة *L'argument d'autorité*؛ حيث استثمر ابن جني سلطة نخاة الكوفة والبصرة لفرض الحكم على المخاطب.

وقد قيد ابن جني الإجماع بشرطين أساسيين، فقال: "اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص. والمقيس على المنصوص، فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه"^٢، فيشترط في الإجماع عدم مخالفة الأصلين السابقين، وهما: السماع، والقياس.

وقد لجأ ابن جني إلى الإجماع بوصفه حجة في عدة مواضع من الخصائص، فهو قد احتج مثلاً لقلب الياء في قولهم: "دِيمَة وِدِيمٌ"، وأنها مقلوبة من الواو للكسرة قبلها، وليست أصلاً فيها مثل الواو؛ بإجماع كافة أهل اللغة على قولهم "الدوام"، ولم يخالفهم أحد في قلب الواو ياءً^٤، ويقول عن هذا القلب: "فعلت بذلك أن العارض في هذا

^١ السيوطي، الاقتراح، ص ١٨٧

^٢ وهي التي تستثمر فيها هيئة شخص أو مجموعة أشخاص لدفع المخاطب إلى تبني دعوى ما. ينظر: الحسين بنو

هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٧٩

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٩

^٤ ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٥٥

الموضوع إنما هو من جهة الصنعة، لا من جهة اللغة^١، فهذا القلب مصنوع وليس موضوعاً في أصل اللغة؛ فيتعذر بذلك الادعاء بأن الياء فيها لغة مثل الواو.

ومن ذلك أيضاً احتجاجة لشدة اتصال الفعل بالفاعل بإجماع العلماء على أن الكاف في نحو "ضربتك" من الضمائر المتصلة، وهذا الإجماع يقود إلى أنهم ضموا التاء التي هي ضمير الفاعل إلى الفعل حتى كأنها جزء منه؛ لأنهم لما قرروا أن ضمير الخطاب (الكاف) متصل دل ذلك على شدة اتصال الفعل بالفاعل؛ لأن الضمائر المتصلة تباشر عادة الفعل، فلما اتصل الفعل بالفاعل صاروا كجزء الواحد فاتصلت الكاف معهما^٢.

وقد استخدم ابن جني الإجماع بوصفه دلالة على صحة قياس ما من عدمه، يقول في ذلك: "فإن صح عندك أن العرب لم تنطق بقياسك أنت كنت على ما أجمعوا عليه البتة"^٣؛ ذلك أن العرب لا تجتمع على خطأ، فهو مع تأييده للاختلاف وابتداع الفكر من باب: "فكل من فرق له عن علة صحيحة، وطريق نهجة كان خليل نفسه، وأبا عمرو فكره"^٤.

وقد أنكر ابن جني على مخالِف الإجماع، وعدّ مخالفة الإجماع نوعاً من التوهم الذي يجب أن يدحض، مثل ما فعل مع أبي العباس المبرد^٥ الذي خالف الإجماع في مسألة جواز تقديم خبر ليس عليها، وهي مسألة أجازها البصريون والكوفيون ولم يخالفهم في ذلك إلا المبرد الذي رأى عدم جواز تقديمها، يقول ابن جني عن ذلك: "فأحد ما يحتج به عليه أن يقال له: إجازة هذا مذهب سيويه وأبي الحسن وكافة أصحابنا، والكوفيون أيضاً معنا. فإذا كانت إجازة ذلك مذهباً للكافة من البلدين وجب عليك -

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٥٦

^٢ ينظر: المصدر نفسه، ص ١٠١

^٣ المصدر نفسه، ص ١٢٥-١٢٦

^٤ المصدر نفسه، ص ١٩٠

^٥ هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير، المعروف بالمبرد، أخذ النحو عن الجرمي والمازني وغيرها، توفي سنة

٢٨٥هـ، ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٨٢-٨٣

يا أبا العباس - أن تنفر عن خلافه، وتستوحش منه، ولا تأنس بأول خاطر يبدو لك فيه"^١، فوجه أصابع الاتهام لأبي العباس بتسريعه في إطلاق الأحكام دون التأمل في المسألة.

وهذا الإنكار على المخالف عند ابن جني لا يتناقض وتشجيعه النبوغ والاختلاف، لكنه يتلاءم مع هاجس التدقيق عند ابن جني، ذلك أنه يرى أن الإقدام على مخالفة الجماعة صائب ونوع من النبوغ متى ما أحكم صاحبه الدليل وأنعم النظر فيه^٢.

رابعاً: استصحاب الحال:

الاستصحاب هو "إبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل"^٣، والمشهور عن ابن جني أنه يقول بثلاثة أصول نحوية، هي: السماع والقياس والإجماع^٤، وأنه لم يذكر استصحاب الحال في خصائصه، وهذا غير دقيق؛ حيث أشار إلى أن الشيء إذا كان: "لا أصل يسوغه، ولا قياس يحتمله، ولا سماع ورد به. وما كانت هذه سبيله وجب اطراحه والتوقف عن لغة من أورده"^٥.

وحتى يمكن فهم هذه المقولة يجب استحضار السياق الذي وردت فيه، فقد قالها ابن جني في الرد على من ادعى جواز تحقيق همزتين متتاليتين في كلمة واحدة، مثل:

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٨-١٨٩

^٢ ينظر: المصدر نفسه، ص ١٨٨-١٨٩

^٣ ابن الأنباري، الإغراب في جمل الإعراب، ص ٤٦

^٤ ينظر: السيوطي، الاقتراح، ص ١٤، ولم أجد في الخصائص العبارة التي نقلها السيوطي عن ابن جني في تحديده لأصول التي يعتمد عليها ابن جني، والتي قال فيها: "قال ابن جني في الخصائص: "أدلة النحو ثلاثة: السماع، والإجماع، والقياس".

^٥ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٧

كلمة: أشئوها^١، وأن تحقيق الهمزتين فيها لم يكن عن قياس يبرر ذلك، فقال أن من يحقق الهمزتين دون مبرر مثل مَنْ يجر الفاعل، ومَنْ يرفع المضاف إليه^٢.

وعلى هذا فكلمة (أصل) تحتل تفسيرين، أولهما: أنه يقصد بالأصل الشيء المسموع عن العرب، أي أنه لم يسمع من العرب من يحقق الهمزتين دون مستند من القياس، وأن من يفعل ذلك فقد بُعِدَ عن الأصل وهو كلام العرب، ويمكن أن يعني أن النحاة قد أجمعوا على أن تحقيق الهمزتين المتتاليتين في هذا الموضع ضعف في اللغة، ومخالف للقياس، فيكون الناطق بهذا قد نحى عن القياس في مثل ذلك وهو إبدال إحدى الهمزتين، وعلى هذا يكون استصحاب الأصل هنا نابع من القياس أو السماع أو حتى الإجماع، وليس أصلاً بحد ذاته.

وثانيهما: على اعتبار القائلين باستصحاب الحال أنه يقصد بهذا الأصل أن اللغة أصولاً يُرجع إليها، لكن المعنى اللغوي للأصل يجلينا على ما ثبت من الشيء، فقد جاء في لسان العرب: "استأصلت هذه الشجرة أي ثبت أصلها"^٣، وعلى هذا يمكن هنا أيضاً رد مفهوم الاستصحاب للسمع الذي ينحصر بالثابت من كلام الفصحاء، فكلا التفسيرين يقودان إلى هدف واحد هو تداخل استصحاب الحال بغيره من الأصول.

وما يثبت ذلك ما ورد عن ابن جني في مسألة اختلاف لهجات العرب، حيث أشار إلى أن الخلاف: "إنما هو في شيء من الفروع يسير. فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور، فلا خلاف فيه، ولا مذهب للطاعن به"^٤، فسَمِيَ ما أجمع عليه الجمهور النحوي والعامة (أصلاً)، فالأصول إذاً ماهي إلا اتفاقات العرب. وعلى هذا فإن مفهوم

^١ أشئوها: من "شَأَيْتُ الْقَوْمَ شَأَيْتًا: أَي سَبَقْتُهُمْ"، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش أي)، ج ١٤، ط ٣ (ط ١: ١٩٩٠م)، بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م، ص ٤١٧، وصوابها حسب النجار: أشأها.

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٦ - ٧

^٣ ابن منظور، لسان العرب، مادة (أصل ل)، ج ١١، ط ٣ (ط ١: ١٩٩٠م)، بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م،

ص ٦١

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٤٤

استصحاب الأصل يحتاج للمراجعة، وفي ظني أن ابن جني لم يشر إليه؛ لتوسع مفهومه وإمكان رده للأصول التي سبق أن أشار لها.

كما أن أصحاب كتب الأصول الأوائل الذين يعتدون باستصحاب الأصل ويعدون من الأصول المعتبرة لم يُشيروا إلى مفهومه بدقة، فابن الأنباري مثلاً عندما يلجأ لاستصحاب الحال ليعرض رأي البصريين في مسألة عمل حرف الجر محذوفاً بغير عوض فيقول: "وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: أجمعنا على أن الأصل في حروف الجر أن لا تعمل مع الحذف، وإنما تعمل مع الحذف في بعض المواضع إذا كان لها عوض، ولم يوجد هاهنا، فبقينا فيما عداه على الأصل، والتمسك بالأصل تمسك باستصحاب الحال..."^١، وما هذا الأصل الذي تمسكوا به إلا إجماعٌ لنحاة البصرة على عدم جواز عمل حرف الجر محذوفاً، فمن الغريب أن يورد ابن الأنباري هذا المثال مديلاً له باستصحاب الحال وفيه مفردات تدل على الإجماع مثل قوله: (أجمعنا)، فهو وإن كان إجماعاً لعلماء البصرة دون الكوفة، لكنه داخل في دائرة إجماع العلماء على حكم معين.

ومع ابن جني لم يذكر مصطلح استصحاب الحال إلا أنه أشار إليه عن طريق اللزوم؛ حيث ذكر أن الحكم للطارئ، وهو ما يمثل معنى استصحاب الحال الذي يكون عندما لا يوجد ما يمنعه^٢، حيث أشار في (باب في أن الحكم للطارئ) إلى أن أي جديد يطرأ على الأحكام النحوية هو الذي يؤخذ حكمه^٣، وبالتالي فإن ما استمر من هذه الأحكام دون أي طارئ فإن الحكم لها دون أي تغيير، وقد أشار إلى ذلك بصورة الضدين، فالحكم الواحد ثابت ما لم يجتمع فيه ضدان، والضد الطارئ أو الجديد هو الذي يستأثر بالحكم.

^١ كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن سعيد الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين

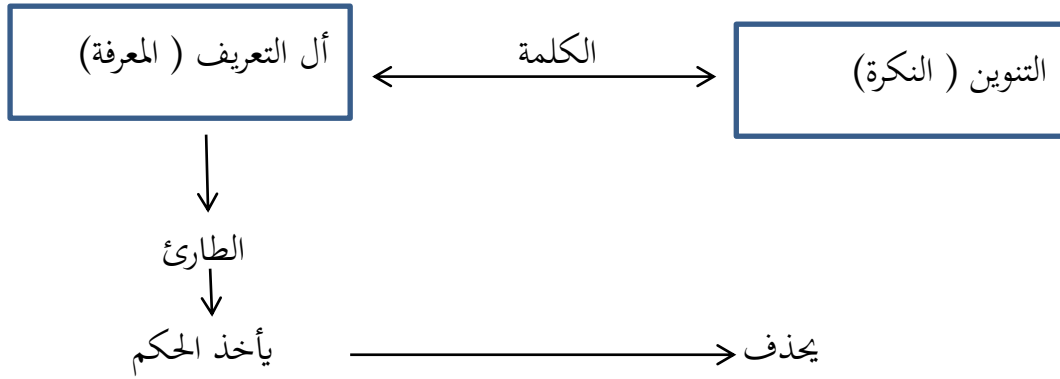
والكوفيين، ج ١، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، ط ٤، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٦١م، ص ٣٩٦

^٢ ينظر: أحمد سليمان ياقوت، دراسات نحوية في خصائص ابن جني، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،

١٩٩٦م، ص ١٥٧

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٦٢

وقد مثل ابن جني لذلك بالمنون الذي حكمه التنكير، فلما دخلت عليه (أل) التي هي للتعريف ضد التنكير، صار معرفة وحُذف لأجل ذلك التنوين المؤذن بالنكرة^١، ويمكن التمثيل لها بالشكل التالي:



وفي ظني أن إشارة ابن جني لهذا من باب الإشارة إلى البديهيات، ولهذا لم يصنفه بصفته أصلاً من الأصول النحوية ولا حتى مسلماً من مسالك العلة، فمن باب التبدييه أن الحكم يظل ثابتاً للكلمة ما لم يأت ما يناقضه.

هذه أبرز أصول النحو التي عرض لها ابن جني في كتابه الخصائص، وقد كانت دراسته لها مع شمولها وعمقها إلا أنها تميل إلى الترامي والانتساع^٢؛ لأنه جمع إليها مواضيع شتى ولا تكاد تفوته مسألة دون أن يستطرد فيها، ويأخذ فيها حكماً ثم يقوم بدور الفاعل المحاجج عن هذا الحكم، من هنا كان كتاب ابن جني الخصائص مادة خصبة لدراسة المحجاج؛ فقد كانت الأصول النحوية فيه مفيدة في حجاج ابن جني؛ من حيث أنه قد يلجأ لها باعتبارها حُججاً، أو يجعلها بمثابة المواضيع الخاصة بعلم النحو، والتي يُلجأ لها في كل خطاب حجاجي نحوي، من مثل: أن الحكم المجمع عليه أفضل الحكم المختلف فيه، وأن المقيس أفضل من غير المقيس.

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٦٢

^٢ أشار السيوطي إلى فكرة غنى الخصائص وترامي موضوعاته وعدم ترتيبها، ينظر: الاقتراح، ص ٦-٧

الفصل الثاني

المبحث الثاني

(طرق الاستدلال ونقض الحجاج في الخصائص)

تقع دراسة الحجاج في دائرة البحوث التي ترمي إلى اكتشاف منطق اللغة، أي تلك البحوث التي تهدف إلى تتبع القواعد الداخلية للخطاب، والتحكم في تسلسل الأقوال والجمل، والكشف عن تتابعها بشكل متنام وتدرجي، فالحجاج حسب هذا التصور، يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب^١.

لقد حاول القدماء اكتشاف هذه القواعد الداخلية من خلال تقصيصهم لطرق الاستدلال، وطرق نقض الاستدلال، أو ما اصطلح عليه العلماء بمسالك العلة، التي تمثل إستراتيجيات عربية قديمة للحجاج؛ لأنها تناقش الطريقة التي يصل من خلالها المتكلم إلى إقناع السامع بحجته، من هنا كان من الضروري استقصاء أبرز هذه الطرق في هذا البحث، وستتم مناقشتها من جهتين: الأولى: طريقة ورودها في كتاب ابن جني أو تأسيسه لها نظرياً، والثانية: طريقة استشهاد ابن جني بها.

أولاً: مسالك الاستدلال:

تنبى فكرة طرق الاستدلال على إستراتيجيات قديمة تعتمد على إقناع المتلقي بفكرة ما أو التأثير عليه بطريقة محددة من خلال اتباع طريقة معينة في ترتيب عناصر العملية الحجاجية.

وقد اطرقت هذه الطرق في المؤلفات اللغوية والنحوية على وجه الخصوص؛ لأن الاختلاف فيها بين العلماء أقدم ظهوراً وأكثر وضوحاً من علوم العربية الأخرى، الأمر

^١ ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والخطاب، ص ١٣

الذي اضطرهم إلى ابتكار بعض الطرق التي يؤصل من خلالها العالم لقياس معين موجهًا ببعض القواعد المعينة على الإقناع، ومن أبرز طرق الاستدلال^١ التي وردت في كتاب الخصائص ما يلي:

١- الاستدلال بالأولى:

ومعناه عند ابن الأنباري: "أن يبين في الفرع المعنى الذي تعلق به الحكم في الأصل وزيادة"^٢، بمعنى "أن يحمل الفرع على الأصل بمعنى يوجب الجمع بينهما، ثم يبين في الفرع زيادة توجب تأكيد حكم الفرع على الأصل"^٣، وقد أشار له ابن جني في باب الاعتلال لهم بأفعالهم الذي بناه على فكرة وجود حكم صحيح العلة في مسألة، ثم تسرب هذا الحكم إلى مسألة أخرى مع زيادة فيها تجعل ذلك الحكم أولى بها.

ومثل ابن جني للاستدلال بالأولى بمسألة حذف الفعل، فقال: "إذا كان الفعل قد حذف في الموضع الذي لو ظهر فيه لما أفسد معنى كان ترك إظهاره في الموضع الذي لو ظهر فيه لأحال المعنى وأفسده أولى وأحجى"^٤، فالحكم هو حذف الفعل، وهو جار في جملة: (الذي في الدار زيد) وتقديرها: الذي استقر في الدار زيد، وحذف الفعل هنا لم يغير المعنى، ولم يؤثر في شكل الجملة فهي جملة خبرية قبل الحذف وبعده؛ لأن جملة الصلة لا تكون إلا خبرية، لكن حذف الفعل في جملة النداء: يا زيد، والتي تقديرها: أنا ذي زيداً، أولى من حذفه من الجملة الأولى؛ لأنها جملة إنشائية قد تتحول إلى خبرية

^١ طرق الاستدلال كثيرة، و"تخرج عن حد الحصر" على حد تعبير ابن الأنباري، ينظر: اللمع، ص ١٢٧، وسيتيم الاقتصار على أبرزها حضوراً في الخصائص.

^٢ المرجع نفسه، ص ١٣١

^٣ أبو الوليد الباجي، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبدالمجيد تركي، بيروت: دار الغرب الإسلامي،

١٩٨٠م، ص ٢٠٧-٢٠٨

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٦

عند إظهار الفعل^١، فالزيادة التي لأجلها صار الحكم أولى هو اللبس في أسلوب الجملة الذي قد يتغير من الإنشاء إلى الإخبار.

ومن الاستدلال بالأولى ما ذكره ابن جني في مسألة جواز بقاء حركة الكلمة في حال تركيبها مع غيرها على ما كانت عليه قبلاً، مثل حركة النون المفتوحة في (أينما)، فهذه الحركة ثابتة له وهو اسم استفهام مجرد من التركيب، حيث إن اسم الاستفهام (أين) مبني على الفتح، وتجوز أن تثبت له أيضاً في حال تركيبه مع (ما)، وحتى يثبت ابن جني ذلك يلجأ إلى الاستدلال بالأولى فيقول: "ونحن نرى العامل غير مؤثر في المبني، نحو (من أين أقبلت) و(إلى أين تذهب) فإذا كان حرف الجر على قوته لا يؤثر في حركة البناء فحدّث التركيب - على تقصيره عن حدث الجار - أخرى بالألا يؤثر في حركة البناء"^٢، فجعل عدم تأثير حرف الجر على حركة البناء سبباً لعدم تأثير التركيب عليها؛ نظراً لضعفها في مقابل قوة حرف الجر.

إن الوصول إلى نتيجة في هذه الطريقة الاستدلالية يتحتم أن يكون قول الانطلاق أو المقدمة المنطقية للموضوع هو نفسه قول العبور أو الحجة، فيأتي المحاجج بحكم متفق عليه ويقدمه بوصفه مقدمة منطقية لما يريد إثباته، ثم يتخذ الحكم ذاته حجة لإثبات ما يريد إثباته مع زيادة بسيطة في قول الوصول، وهذه الزيادة تجعل ذلك الحكم في النتيجة أولى منه في المقدمة.

إن تكرار حضور هذه الطريقة في استدلالات ابن جني تؤكد جدلية حجاجه؛ حيث إن هذه الطريقة تفرض الحكم فرضاً؛ نظراً لوجود لفظة الأولوية بها، فكأنها تستأثر بالحكم، لأن صورة هذا الاستدلال هي: "أن تذكر متفقاً عليه؛ ثم تقول وهذا المختلف أولى بحكمه منه"^٣.

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٦

^٢ المصدر نفسه، ص ١٣٢

^٣ الجويني، الكافية في الجدل، ص ٣٧٦

٢- السَّبْرُ والتقسيم:

ويسميه ابن جني: "الاقتصار في التقسيم على ما يقرب ويحسن، لا على ما يبعد ويقبح"^١، وهذا المسلك من مسالك العلة يعتمد على جمع الوجوه المحتملة للمسألة واختبارها، ثم اختيار الأقرب منها للقياس، وهو عند السيوطي: "أن يذكر جميع الوجوه المحتملة ثم يَسْبُرُهَا؛ أي يختبرها، فيُبقي ما يَصْلُحُ وَيُنْفِي ما عداه بطريقه"^٢.

وقد جعل ابن الأنباري هذا المسلك على ضربين:

أ- "أحدهما: أن يذكر الأقسام التي يجوز أن يتعلق بها الحكم فيبطلها جميعاً فيبطل بذلك قوله"^٣.

ب- "والثاني: أن يذكر الأقسام التي يجوز أن يتعلق الحكم بها فيبطلها إلا الذي يتعلق به الحكم فيصح قوله"^٤.

والذي اتضح من خلال معالجة ابن جني لهذا المسلك أنه يعالجه وفق طريقتين:

أ- إما أن يذكر الوجوه المحتملة التي يجوز أن يتعلق بها الحكم، ثم يبين فسادها إلا وجهًا واحدًا يكون هو الوجه الذي يوافق القياس، وهذا هو ذاته الضرب الثاني عند ابن الأنباري.

ومثاله أيضًا ما حكاه ابن جني من الاختلاف على وزن (مروان)، فيجمع الوجوه المحتملة لوزنها وهي:

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٦٧

^٢ السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص ٣١٥ | وينظر: الجويني، الكافية في الجدل، ص ٣٩٤

^٣ ابن الأنباري، لمع الأدلة، ص ١٢٧

^٤ المرجع نفسه، ص ١٢٨

١- فَعْلان .

٢- مفعال .

٣- فَعْوَال .

ثم يبين فساد الوجهين الثاني والثالث؛ لأنهما لم يأتيا قط مثالين، وبالتالي يكون الوزن القياسي لهذه الكلمة هو الوجه الأول: (فَعْلان)^١، فكأن تنفيذ الوجوه الأخرى بمثابة حجة للوجه المختار.

ب- وإما أن يختار الوجوه المحتملة التي يجوز أن يتعلق بها الحكم، دون أن يختار أحدها، ثم ينفي ما عداها من الوجوه، وهذا الضرب ينفرد به ابن جني.

ومثاله ما حكاه ابن جني عن وزن كلمة (أيمن)، فهو يقسم أوزانها إلى وجوه محتملة وأخرى غير محتملة:

١- فالوجوه المحتملة والجائزة هي: أَفْعُل، أو فَعْلُن، أو أَيْقُل أو فَيْعُل. يقول ابن جني عن هذه الوجوه: "فيجوز هذا كله؛ لأن بعضه له نظير وبعضه قريب مما له نظير"^٢.

٢- والوجوه غير محتملة التي لا يجوز إقحامها في أوزان هذه الكلمة هي: أَيُقْع، أو فَعْمُل، أو أَيْفَم؛ "لأن هذه ونحوها أمثلة لا تقرب من أمثلتهم فيجتاز بها في جملة تقسيم المثل لها"^٣.

وهذا المسلك مع ما يعطيه من انطباع أولي بالانفتاح وتعدد الخيارات وترسية الاحتمالية التي يقوم عليها الحجاج، إلا أن فيه نوعاً من فرض السلطة؛ إذ يني اختيار الوجه أو الوجوه على أساس سلطة عالم اللغة الذي يضيق الخناق على كل الوجوه

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج٣، ص ٦٧ - ٦٨

^٢ المصدر نفسه، ص ٦٨

^٣ المصدر نفسه، ص ٦٩

المحتملة؛ ليوجه الحجاج إلى منطقة واحدة هي الوجه المختار خاصة الضرب الذي اتفق فيه ابن جني وابن الأنباري.

٣- الاستدلال ببيان العلة:

ويرد على وجهين: "أن تبين علة الحكم ويُستدل بوجودها في موضع الخلاف ليوحد بها الحكم، والثاني: أن تبين العلة ثم يستدل بعدمها في موضع الخلاف ليعدم الحكم".^١

ومن الأول ما حكاه ابن جني في مسألة إعلال كلمة (استعان)، مع أنّ أصله رباعي وهو: أعانَ يعين، وليس ثلاثيًا معتلاً، فاحتج ابن جني لهذه المسألة على طريقة الاستدلال ببيان العلة كالتالي^٢:

- بين الحكم وهي: أن هذه الكلمة وإن لم تكن ثلاثية معتلة فهي في حكم الثلاثي المعتل.
- بين علة الحكم: وهي شيوع إعلال هذه الكلمة، فقد نطق العرب بالمُعونة والمُعوضة، ونطقوا من ثلاثيته بالعَوْن وهو مصدر، فإذا ثبت أمر المصدر لم يُشكَّ أبدًا بالفعل الذي هو فرعه.
- استدل بوجود هذه العلة في موضع آخر ليدل على صحتها في هذا الموضع؛ حيث نقل رأي أبي علي الذي يقول: "إذا صححت الصفة بالفعل في الكف"^٣، فإذا كان كذلك فإن صحة المصدر أشد بياناً لصحة الفعل؛ لأن المصدر أشد ملابسة للفعل من الصفة، فكل الأفعال مشتقة من المصادر، وليس كل الصفات مشتقة، فاستدل بصحة الفعل مع الصفة على صحته مع المصدر.

^١ ابن الأنباري، اللمع، ص ١٣٢

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٢١

^٣ المصدر نفسه، ص ١٢١

ومن الثاني ما استدل به ابن جني في قضية شذوذ كلمة (حَوْنَة) مع أنها شائعة في الاستعمال، فالقياس فيها (خانة)؛ لأنّ قياس معتل العين مما كانت عينه وأوًا على وزن فَعَلَة لم يكن إلا معتلاً، ويدلنا على ذلك أنّ ما جاء على فاعل مما عينه ياء لم يرد إلا معتلاً، فلا تقول: بَيْعَة ولا سَيِّرَة^١، فاستدل بانعدام التصحيح فيما جاء على وزن فاعل مما عينه ياء على عدم جواز تصحيح جمع ما كانت عينه وأوًا من نفس الوزن إذا جمعتها على فَعَلَة.

إن طريقة الاستدلال في هذا المسلك تعتمد على المقابلة بين حكمين، وينتج عن هذه المقابلة إيجاد حكم جديد أو نفيه، وليس النص على العلة فيها مطلبًا بحد ذاته، إنما كان طريقًا لإيجاد حكم آخر، ويعود هذا المسلك إلى نوع خاص من الحجج شبه المنطقية وهي: حجج العدل والتبادلية؛ لأن ينظر إلى الموضوعين باعتبارهما مرتبطان بنفس العلاقة، فيجب بالتالي معاملتهما بنفس الطريقة.

٤ - الاستحسان بعدم الدليل على نفيه:

وهو "مما يكون فيما إذا ثبت لم يخف دليله، فيستدل بعدم الدليل على نفيه، وذلك مثل أن يستدل على نفي (أن أقسام الكلم أربعة) أو نفي (أن أنواع الإعراب خمسة) فيقول: (لو كان أقسام الكلم أربعة، أو أنواع الإعراب خمسة لكان على ذلك دليل، ولو كان على ذلك دليل لُعرف... فلما لم يعرف ذلك دل على أنه لا دليل، فوجب ألا يكون أقسام الكلمة أربعة؛ ولا أنواع الإعراب خمسة)"^٢.

لقد فصل ابن جني في الاستدلال بالنظير، ولم يقبل الاستدلال به أو بعدم النظير إذا وُجد دليل على الحكم، وقد قرر أن اللجوء إلى الاستدلال بالنظير يكون عند فقدان الدليل، وهو على وجهين^٣:

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٢٣

^٢ ابن الأنباري، اللمع، ص ١٤٢

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٩٧

أ- فإما أن يستدل بعدم النظر على نفي الحكم: ومنه ما ذكره ابن جني في وزن كلمة (عزويت)، التي لم يقد دليل على أن واوها وتاءها أصلان، فنفي بالتالي أن يكون وزنها (فَعْوِيلا)؛ لعدم وجود النظر.
ب- وإما أن يستدل بالنظر على إيجاد الحكم: فقد اختار لكلمة (عزويت) السابقة، وزن (فعليت)؛ لوجود نظير وهو (عفريت).

لقد تعددت مسالك الاستدلال عند علماء الأصول، ومنهم من عدّ الإجماع مسلماً وليس أصلاً، وأرى أن تعددها مبالغ فيه، وبعضها لا ضرورة لعهده مسلماً مستقلاً؛ حيث تتداخل كثير منها، كما أن إمكانية قراءة المسألة الواحدة بأكثر من طريقة أيضاً عامل يحث على إعادة النظر في تعدد هذه المسالك.

وتدلنا هذه المسالك على وعي العلماء بإستراتيجيات الحجاج، وعلى اتجاه العلماء إلى التفكير الجدلي؛ لأن معظم هذه الإستراتيجيات إما أن يكون موجهاً للفاعل الهدف، وفارضا عليه نتيجة مسبقه، وإما أن يعتمد على سُلطة عالم اللغة.

ثانيًا: مسالك نقض الحجاج:

ينشأ الدحض من خلال حركة حجاجية تتمثل بالبرهنة على مغلوطة طرح ما،
وتمثل قوادح العلة طريقة لبناء الحجة المضادة التي يقدمها المتكلم لنقض حجة خصمه،
وهي تمثل جانبًا مهما من عملية الحجاج، فالحجج المتعاندة هي التي تساهم في تنامي
الخطاب الحجاجي بشكل متصاعد، وكل الحجج المضادة التي يقدمها الخصم في
الحجاج ستكون في صالح النتيجة الأولى التي سعى إليها الخطاب إذا ما تصدى لها
المتكلم بطريقة تدعم الهدف الحجاجي .

تتفاوت مسالك نقض الحجاج في قوتها الحجاجية، فمنها ما يلغي استدلال
المتحج مطلقًا، مثل: الاعتراض بالنقض أو بفساد الوضع، ومنها ما يُبطل الاستدلال في
موضع دون آخر، مثل: الاعتراض بالقول الموجب، ومنها ما يقدر في استدلال المتحج
دون أن يمس الحكم، مثل: الاعتراض بالمطالبة بتصحيح العلة، والاعتراض بعدم الدليل
وغيرها^٢.

ويُعملها ابن جني بطريقتين، هما:

- أ- الطريقة البسيطة: ويستخدم ابن جني مسالك نقض الحجاج
على لسان المحاجج الافتراضي ردًا على حجة ابن جني في مسألة ما،
وغالبًا ما تأتي متكاملة العناصر، فيأتي فيها الاستدلال المعارض مع الأمثلة
التي تدعمه، وهذا يدل على إمعان ابن جني في تحدي الخصم، حيث يسد
عليه حينما يرد هذا النقض أي باب سيفتح للنقض لاحقًا .
- ب- الطريقة المعقدة: ويلجأ ابن جني فيها لتوظيف مسالك نقض
الحجاج على لسانه هو ردًا على المحاجج الافتراضي، وهي أكثر تعقيدًا

١ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ١٢

٢ ينظر: مُجدّ عديل، التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي، ص ١٥٣-١٥٣

من حيث إنها تتطلب مهارة نقض الحجة المعارضة، وفي الوقت ذاته تعزيز الحجة الأصل التي تدعم النتيجة المطلوبة.

تظهر في هاتين الطريقتين قدرة ابن جني على الحجاج وإلمامه بإستراتيجيات الحجاج التي يمكن أن ينتقض بها حججه مهما كان موقعها في السلم الحجاجي، وهو يشغلها على حد سواء، أي على ألسنة كل أطراف الخطاب الحجاجي، إلا أن بعض الطرق غلبت على جهة معينة من هذا الخطاب، فمسلك: المطالبة بتصحيح العلة تأتي غالبًا على لسان المحاجج الافتراضي، بينما يغلب أن يأتي مسلك: فساد الاعتبار على لسان ابن جني مناقضًا به حجة خصمه.

أما عن أبرز مسالك نقض الحجاج التي وردت في كتاب الخصائص فهي:

١ - نقض العلة:

وهو عند ابن الأنباري: "وجود العلة ولا حكم، على مذهب من لا يرى تخصيص العلة"^١، وابن جني يرى أن تخصيص العلة يقع في بعض العلة، وهي التي يمكن أن يتوجه لها النقض، أما العلة الأخرى فلا يقع فيها النقض؛ لأنه يمكن أن يدفع نقضها^٢.

ونقض العلة يمنع المسألة الوارد فيها تمامًا، فبين عدم صلاحية تلك العلة لذلك الحكم، ومثاله ما ذكره ابن جني حول مسألة: أن الاسم الذي له سببان لمنع الصرف يُمنع من الإعراب إذا انضم لهما سبب ثالث، ومثاله: حذام وقطام من حيث أنهما اسمان ممنوعان من الصرف لعلتين هما: العلمية والعدل، وهما أيضًا مبنيتان، وقد كانتا قبل العدل معربتين وممنوعتين من الصرف لعلتين هما العلمية والتأنيث، فلما دخلهما سبب ثالث

^١ ابن الأنباري، الإعراب في جمل الإعراب، ص ٦٠

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٤٤-١٤٥

لمنع الصرف، وهو العدل بُنيتا، فينقض ابن جني هذه المسألة نقضًا تامًا من وجهين أولها يخص المسألة، والآخر يخص مثالها^١:

١- أولها: أن سبب بناء الاسم يقوم على شبه الاسم بالحرف، ولا علاقة له بأسباب منع الصرف للاسم، فلا يصح بالتالي تعليق بناء الاسم بعلة تعدد العلل المانعة له من الصرف.

٢- ثانيها: أن علة بناء حذام وقطام هي الشبه المعنوي بالحرف من حيث تضمنها معنى لام الأمر، وبُنيت على الكسر لمجيئها على وزن فَعَالٍ، وليس لذلك علاقة بأسباب منعها من الصرف، فتنتقض بذلك العلة.

ومما يمكن نقضه على طريقة المسلك هو كل تلك العلل التي لا تطرد، فالعلة النحوية العقلية التي لا يدخلها التخصيص يُشترط لها الطرد، وإلا فإنه يمكن نقضها، فالعلة تفسد إذا ما حُصصت بنموذج معين ولم تتعداه إلى غيره، فمن النقض ما ذكره ابن جني حول علة بناء: كم، ومَنْ، وما، وإذْ، من أنها بُنيت لأجل مشابقتها للحرف في الوضع على حرفين، فهذه العلة تنتقض بأنها لا تطرد، فليس كل ما وُضع على حرفين مبنياً، من مثل: يدٍ، وأخ، وفم، ونحوها^٢.

٢- عدم التأثير:

وهو دخول وصف زائد على العلة لا يؤثر في الحكم^٣، وقد صنف ابن جني الوصف الداخل على العلة في ضربين:

أ- أولهما: وصف لا بُد من ذكره، وإضافته إلى العلة نوع من الاحتياط وتجنب الجدل، يتمكن الفاعل المحاجج من خلاله من صد أي اعتراضات ممكنة قد تصدر من الخصم، يقول عن هذا الضرب: "فإذا

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٧٩-١٨٠

^٢ ينظر: المصدر نفسه، ص ١٦٩

^٣ ينظر: ابن الأنباري، اللمع، ص ١٢٥

كان لا بد من إيرادها فيما بعد إذا لم تحتط بذكره فيما قبل كان الرأي تقديم ذكره، والاستراحة من التعقب عليك به^١، لكن ذكر هذا الوصف ليس لازماً أو واجباً وإلا كان متمماً للعلة، لكنه لضرب من التأكيد^٢.

ومنه ما ذكره ابن جني في مسألة: (كثرة الثلاثي)، فمن قال أن العلة هي: (قلة حروفه)، لم يكف لدحض حجة الخصم؛ ذلك أن الثنائي أقل منه حروفاً، لكن العلة هنا هي: قلة حروفه، وعين كلمته التي تمثل حاجزاً بين فائه ولامه، فتتحقق بذلك سهولة النطق التي كانت سبباً في كثرة الثلاثي بالإضافة إلى قلة حروفه^٣.

ب- وثانيهما: هو الضرب الذي يختص به هذا المسلك من حيث قبوله للنقض؛ لأنه وصف زائد عن العلة، ولا يؤثر فيها، يقول ابن جني عنه: "ولو استظهرت بذكر ما لا يؤثر في الحكم لكان ذلك منك خطأً ولغوًا من القول"^٤.

ومثل ابن جني لنقض العلة لعدم التأثير بمسألة: (رفع الفاعل)، في مثل قولك: جاءني طلحة، فالعلة في هذا هي: (الإسناد)، ولو قيل إن العلة فيه: (الإسناد، مع العلمية أو التأنيث) لكانت زيادة العلمية أو التأنيث فيه ضرباً من الوصف القائم على عدم التأثير الذي يمكن نقضه ورده، أو خطأً حسب تعبير ابن جني^٥.

وهذه الطريقة من مسالك نقض الحجج تقل في الخصائص؛ ذلك أن ابن جني دائماً ما يرتقي بخصمه عن هذه الزيادة المخلة، ويحاول أن يجعل حجة خصمه الافتراضي قوية؛ حتى تعضد النتيجة الأصل التي يريد أن يصل إليها من وراء حججه في مسألة ما عندما يرد على هذه الحجج التي يسوقها خصمه.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٩٥

^٢ ينظر: المصدر نفسه.

^٣ ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٥-٥٦

^٤ المصدر نفسه، ص ١٩٥

^٥ ينظر: المصدر نفسه، ص ١٩٥

٣- القول بالموجب:

وهو : "أن يُستدلُّ للمُستدلِّ ما اتخذهُ مُوجبًا للحكم من العلة مع استبقاء الخلاف، ومتى توجه كان المستدل منقطعًا؛ فإن توجهه في بعض الصور مع عموم العلة لم يعد منقطعًا"^١، فالمحاجج المعارض هنا ينطلق من تسليمه بحجة خصمه، ثم يزيد في تلك الحجة ما ينقض ذلك الحكم.

منها ما ذكره ابن جني في مسألة جنسية الكلام، وأنه ضرب من اسم الجنس، فكانت الحجة المعاندة هنا تقوم على ما سبق وأن ذكره ابن جني في حديثه عن أن الكلام يقع على الجمل لا الآحاد على عكس القول، وأن الجنس من قبيل الآحاد، فاتخذ ابن جني هنا موقفه للرد من قبيل القول بالموجب، فانطلق من مسلمة في قول المعارض وهي: أن الكلام جنس، لكنه زاد عليها ما يجلي هذا اللبس، وهو أن الكلام جنس للجمل التامة وليس للآحاد^٢.

٤- فساد الاعتبار للعلة في الحكم:

وهو : "أن يُستدلُّ بالقياس (على مسألة) في مقابلة النص عن العرب"^٣، ففي هذا المسلك يُلجأ إلى بعض أصول النحو لنقض حكم ما، خاصة: السماع، والإجماع، فتلك العلة التي اتخذها الخصم للحكم غير معتبرة؛ لوجود نص من العرب ينقضها.

ومنه ما حكاه ابن جني في نقض قول من قال أن الياء أصل في الدوام، مثلها في ذلك مثل الواو، قال ابن جني ردًا على ذلك: "ألا ترى إلى اجتماع الكافة على قولهم: الدوام، وليس أحد يقول: الديام"^٤، فاستدل بإجماع العرب عليها، وورود ذلك بالسماع عنهم، حيث نطقوا بالدوام، ولم يرد الديام عنهم.

^١ ابن الأنباري، الإغراب، ص ٥٦-٥٧

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٥-٢٧

^٣ ابن الأنباري، الإغراب، ص ٥٤

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٥٥-٣٥٦

ومن فساد الاعتبار ما يأتي من إيجاد طريق آخر للرواية، وتأويلها بشكل مختلف، فقد اعترض بعضهم على استقلالية حرف النداء وتميزه من باقي الحروف، واستدلوا بنصوص تنقض تفرد حرف النداء باحتياجه للمنادى، منها قوله تعالى: "ألا ياسجدوا"، وقول الشاعر:

يا دارَ هند يا اسلَمِي ثم اسلَمِي^٢

فحرف النداء هنا لم يكن أحد جزأي الجملة فلم يحتج إلى المنادى، حيث تبعه فعل، ولموثوقية هذه النصوص لم يستطع ابن جني الطعن فيها، لكنه أوجد لها تأويلاً آخر، حيث حملها على أن مجيء حرف النداء فيها للتنبيه وليس النداء، فلما اختلف معنى الحرف اختلف عمله وكيونته^٣.

وقد ينقض ابن جني الرواية برواية أخرى لنفس الشاهد، كما فعل في نقض من أجاز تقدم الاسم المميز على ناصبه، واستدل بقول الشاعر:

أَتَهَجَّرُ لَيْلَى لِلْفِرَاقِ حَبِيبَهَا... وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ يَطِيبُ؟!^٤

^١ النمل: من الآية ٢٥

^٢ البيت من البحر الرجز، وهو منسوب للعجاج: عبدالله بن روبة في ديوانه (ديوان العجاج)، تحقيق: عزة حسن، بيروت، حلب: دار الشرق، ١٩٩٥م، ص ٢٧٨ / ومنسوب أيضاً لروبة بن العجاج في ديوانه (مجموع أشعار العرب) ص ١٨٣ / وينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٩٦ / ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج ١، ص ٩٩، وقد وردت في الديوانين برواية: (يا دار سلمى)، وقد وردت في الخصائص بروايتين: يا دار سلمى، ج ٢، ص ١٩٦، ورواية: يا دار هند، ج ٢، ص ٢٧٩

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢٧٧-٢٧٩

^٤ البيت من الطويل، وهو منسوب للمخبل السعدي، ينظر: أحمد بن محمد المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م / ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ج ٢، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٦١م، ص ٨٢٨ / السيوطي، همع الهوامع، ج ٤، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، الكويت: دار البحوث العلمية، ١٩٧٩م، ص ٧١

فينقضها ابن جني من وجهين^١:

أولهما: عن طريق رواية أخرى لهذا البيت، وحسب تعبير ابن جني: "فرواية برواية"^٢، وهي:

وَمَا كَانَ نَفْسِي بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ!؟

وثانيهما: عن طريق القياس، حيث إن المميز هو الفاعل في المعنى، وكما أنه لا يجوز تقديم الفاعل على فعله، فلا يجوز كذلك تقديم المميز على فعله.

والنقض لفساد الاعتبار واسع جداً، فقد يأتي بالشاهد من كلام العرب ناقضاً للقضية، وقد يطعن في الشاهد بأن يطلب إثباته أو أن يقدر في الرواية بأن يوضح لها طريقاً آخر، أو قد يطعن في المتن من خلال الحمل على المعنى، أو المعارضة بنص آخر^٣، وهذه الطريقة تطرد في الخصائص؛ ربما يعود ذلك إلى طبيعة هذا الكتاب، فهو كتاب أصول كما أشار ابن جني، و تتم هذه الطريقة من نقض العلة عن تمكن واسع من اللغة ومعرفة بها، وقدرة على توجيه الحجاج في وجهة معينة.

٥- فساد الوضع:

وهو "أن يُعَلَّقَ على العلة ضدَّ المقتضي"^٤، وهو أحد نواقض العلة التي تقوم على إيضاح الخلل في السبب الذي وضع حجة لقضية ما من خلال علة أخرى تُفسد العلة الأولى. وهذه الطريقة تقوم على الشكل التالي:

ن (نتيجة) ---< ح (حجة) ---< ح (حجة مضادة) ---< لا ن (لا نتيجة)

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣٨٤

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٨٤

^٣ ينظر: ابن الأنباري، الإغراب، ص ٤٣-٥٦، وقد اختصر السيوطي طرق النقض بفساد الاعتبار في الاقتراح،

ص ٣٤٦-٣٥٠

^٤ ابن الأنباري، الإغراب، ص ٥٥

ومنها ما أثاره ابن جني في قضية معنى السلب الذي يلحق الأفعال عندما تلحقها الزيادة، مثل: أعجم، ومرّض، وأشكى، وأن تلك الزيادة هي بمثابة العوض من حروف السلب، وهي: لم، ولن، وما، ولا، وأن الأسماء التي تحمل معنى الفعل تُشارك هذه الأفعال في هذا المعنى، نحو: التودية وهي عود يوضع على خِلف الناقة ليمنع اللبن، والسُّكَّك للجو، ومُبَطَّن للخميص البطن وغيرها. فأعترض عليه بأن الأسماء إذا تضمنت معنى الحرف يجب بناؤها، كما في أسماء الاستفهام، وأسماء الشرط، وكل تلك الأسماء مُعرّبة، فيتعارض كونها معربة وتتضمن في الوقت ذاته معنى حرف السلب. فنقض ابن جني هذا الاعتراض بطريقة بيان فساد الوضع لهذه العلة، بأن المعنى لما كان في الأصل للفعل، ولم يؤثر فيه، كان عدم تأثيره أولى لما حُمِل عليه وهو الاسم^١. فهذه العلة التي وُضعت لإبطال ما أراد ابن جني إثباته منذ البداية لا تقتضي بناء الاسم الذي قال به المعارضون.

ومن النقض لفساد الوضع ما قاله ابن جني حول نقض قضية: أن الاسم هو المسمى، بأنه لو كان كذلك لما جازت إضافة الاسم إلى المسمى؛ لأن الشيء لا يُضاف إلى نفسه^٢. فنقض هذه القضية من خلال علة أخرى أفسدت جواز إضافة الاسم إلى المسمى.

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٧٥-٨٣

^٢ ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٤

٦- تخلف العكس:

العكس هو أحد شروط العلة عند الكثيرين، وهو وجود الحكم لوجود العلة، وزواله بزوالها^١، أما تخلف العكس فيعني وجود الحكم مع انعدام العلة^٢، فيلجأ المعارض هنا لإبطال العلة لا الحكم.

ومن النقص بتخلف العكس ما حكاه ابن جني عن البغداديين من قولهم: إن الاسم يرتفع بما يعود عليه، من مثل: زيد مررت به، وأخوك أكرمته، فيقول ردًا عليهم: "وإسقاط هذا الدليل أن يقال لهم: فنحن نقول: زيد هل ضربته، وأخوك متى كلمته؟ ومعلوم أن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله"^٣، فنقض ابن جني العلة وهي: ارتفاع الاسم بالعائد عليه، مع بقاء الحكم وهو الرفع.

ولا يعني ذلك أن ابن جني لا يرى العكس شرطاً في العلة، فهو يقبل الحكم ذاته لكن لعلة أخرى^٤، لكنه يستعرض قدرته الحجاجية التي تقوم على نقض الحجة دون المساس بالنتيجة.

٧- المطالبة بتصحيح العلة:

وفي هذا المسلك يَطْلُبُ المعارض من الفاعل المحاجج الدليل على صحة علته، فيقوم بإثبات صحتها من خلال طريقتين^٥:

الأولى: هي ما اصطلح عليه بالتأثير: ويكون الحكم فيها مرافقاً للعلة، فيُوجد بوجودها، ويعدم بعدمها.

^١ ينظر: ابن الأنباري، اللمع، ص ١١٥

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ١١٦

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٩٩

^٤ أشار إلى ذلك في: (باب في بقاء الحكم مع زوال العلة). ينظر: الخصائص، ج ٣، ص ١٥٧-١٥٨

^٥ ينظر: ابن الأنباري، الإغراب، ص ٥٩

والثانية: هي شهادة الأصول، وهي الأصول العامة التي اتفق عليها علماء العربية، من مثل: منع الابتداء بالساكن، وبناء الأسماء التي تتضمن معنى الحرف.

يغلب أن يستخدم ابن جني النقض بالمطالبة بتصحيح العلة على لسان المعارض الافتراضي، وقد فرضت الطبيعة الحوارية التي يقوم عليها كتاب الخصائص دخول هذه الطريقة بطرق شتى في كلام ابن جني، من مثل: "فهنا سلمنا ذلك لك تسليم نظر، فمن لك بالإجابة عن قولنا: ...؟ ألك ههنا نفق فتسلكه، أو مرتفق فتتوركه؟ وهل غير أن تخلد إلى حيرة الإجمال، وتخدم نار الفكر حالاً على حال! ولهذا ألف نظير، بل ألوف كثيرة ندع الإطالة بأيسر اليسير منها"، ثم يقوم هو بالرد على هذه المطالبة؛ ليعطي حججه نوعاً من التعزيز والقوة، فالحجة التي تثبت مع وجود المعارضة هي أقوى من غيرها، وتقع في أعلى السلم الحجاجي.

ويلحظ في النص السابق الحشد الدلالي للتراكيب التي تدل على ملازمة الصواب وكماله، وصعوبة المنال، من مثل: إخماد نار الفكر، وإخلاق الحيرة، كل ذلك على لسان المعارض، وهو ما يعزز فكرة أن هذه الطريقة تُعطي الحجج التي تأتي بعدها نوعاً من الشرعية والقوة.

كذلك يعمد ابن جني إلى استراتيجية مفاجأة الخصم بتقديم الدليل قبل طلبه من قبل المعارض، مثل قوله: "ويدل على صحة ما ذهبنا إليه..."^٢، وقوله: "مما يدل على...أنهم..."^٣، وغيرها من العبارات التي تصدرها كلمات تتجه حمولتها الدلالية لفرض الرأي، وقد يلجأ ابن جني لتكرار هذه الاستراتيجية في قضية واحدة؛ لإعطاء الخصم نوعاً من الإيحاء بأهمية ما يقوله وصحة حججه، على سبيل المثال ما فعله ابن جني في سبيل إثبات أن أصول بعض الكلمات افتراضية، مثل: قام، وباع، وأصلهما:

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٥٢

^٢ المصدر نفسه، ص ٧

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٢١

قول، وبيع، وأن العرب لم تكن تنطق بها على أصولها^١، يثبت ابن جني هذه القضية بعدة حجج أولها قوله: "ويدل على أن ذلك عند العرب معتقد - كما أنه عندنا مراد معتقد - إخراجها بعض ذلك مع الضرورة، على الحد الذي نتصوره نحن فيه"^٢، وثانيها قوله: "ومن أدل الدليل على أن هذه الأشياء التي ندعي أنها أصول مرفوضة لا يعتقد أنها قد كانت مرة مستعملة ثم صارت من بعد مهملة ما تعرضه الصنعة فيها من تقدير ما لا يطوع النطق به لتعذره"^٣، وثالثها: "واعلم مع هذا أن بعض ما ندعي أصليته من هذا الفن قد ينطق به على ما ندعيه من حاله - وهو أقوى الأدلة على صحة ما نعتقه من تصور الأحوال الأول..."^٤، فقد قام ببناء نسيج شكلي للحجة عن طريق تصديرها بما يدل على صحتها، وعن طريق هذا البناء استحوذت النتيجة المرادة على النص.

وابن جني بهذه الاستراتيجية يقطع الطريق على الخصم، وينسف حقه حتى يطلب الدليل على صحة العلة؛ وبالتالي يتجه الحوار كله ليفرض تلك النتيجة التي أرادها، ويؤكدها، ويتخلص في ذلك النص حجم المعارض الافتراضي وتضعف حججه.

هذه أبرز مسالك الاستدلال أو نقض الحجج التي عرض لها ابن جني وطبقها، وليس الغرض حصرها في الخصائص، وإنما تلمس بعض الطرق القديمة لتقديم الحجج أو نقضها، والتي كانت انعكاسًا للحياة الثقافية في ذلك العصر؛ حيث سيطر منهج علماء أصول الدين ومصطلحاتهم على طريقة التناول في أصول النحو، وإستراتيجيات تقديم الحجج، ونقضها.

كما أن كثيرًا من المسالك الحجاجية التي قدمها العلماء متداخلة ومتشابكة، ويمكن قراءة القضية الواحدة عن طريق أكثر من مسلك أو استراتيجية، وبعضها يمكن

^١ ينظر في تفصيل هذه المسألة: المصدر نفسه، ص ٢٥٦-٢٦٥

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٥٧

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٥٩

^٤ المصدر نفسه، ص ٢٥٩

جعلهُ وصفاً للعلّة أو حتّى شرطاً لها، وتحدّر الإشارة إلى وعي ابن جني بهذه الطرق؛ حيث أصّل لكثير منها في كتابه الخصائص، وطبقها في حجاجه في مختلف القضايا.

بناءً على ما سبق يمكن الحكم على مسالك الاستدلال ونقض الحجاج بصفتها إستراتيجيات حجاجية، وأنها في معظمها جدلية؛ حيث تتجه إلى فرض الرأي ومحاصرة الفاعل الهدف بالنتيجة حتّى لا يكون أمامه إلا التسليم بها، وهذه المسالك تنتشر في الفكر العربي اللغوي عامة، وهي تعبر عن ثقافة حجاجية تنتمي إلى الجدل.

الفصل الثاني

المبحث الثالث

(المغالطات الحجاجية في الخصائص)

ارتبطت البلاغة تاريخيًا منذ أفلاطون بفن الخداع ونصب الفخاخ؛ للإيقاع بالسامعين، والحجاج بأي ثمن بذريعة بلوغ الأهداف المنشودة، فالبلاغة في هذا التصور مناقضة للحقيقة والأخلاق. أما الحجاج فقد ارتبط بالتداول العمومي وبتسيخ الحوار العقلي^١. وللعلاقة الوطيدة بين البلاغة والحجاج بصفته البلاغة الجديدة؛ ارتبطت المغالطات الحجاجية بنظرية الحجاج، لأنها تفصل بين الحجج المستقيمة والحجج الخاطئة.

وتختلف المغالطة الحجاجية عن السفسطة في أن السفسطة Sophisme عُدَّت مرادفة للحجاج الزائف^٢، بينما تتحدد المغالطة Paralogisme بالحجاج الخاطئ عن حسن نية، أي أن نية التضليل موجودة في السفسطة، وغائبة في المغالطة الحجاجية^٣؛ ولهذا السبب تم اختيار اسم المغالطة الحجاجية لهذا المبحث؛ لأن نية التضليل تغيب في ظني في هذا النوع من العلوم القائمة على القياس والسماع بوصفهما أصليين ثابتين لكثير من علوم اللغة، وينحصر الخطأ في نوع القياس، وفي بعض الإستراتيجيات التي لم تُفَعَّل بطريقة سليمة.

^١ ينظر: مُجَّد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص ٣٥

^٢ ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، ص ٥٢

^٣ ينظر: مُجَّد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، ص ٤٠٦

وتُعرف المغالطات بأنها: "تلك الأنماط من الحجج الباطلة التي تتخذ مظهر الحجة الصحيحة"^١، وهي تحمل وجهين: مظهرًا وكيئونة، أما المظهر فهو يوهم بالصحة والسلامة، وأما الكيئونة فتقوم على الخطأ والاختلال^٢، فالمغالطات الحجاجية هي مخالفات تتعلق بسلامة الممارسات المنطقية داخل الخطاب، وهي عيوب في بنية الخطاب التأسيسية نتيجة الاستعمال المغلوط لطرق الاستدلال^٣.

بمعنى آخر تتعلق المغالطات "بمحجاج لا يراعي فيه المتكلم مبدأً أساسيًا من مبادئ السلامة المنطقية وهو مبدأ عدم التناقض. فهو يعتمد في نفس الخطاب إلى أن يثبت الشيء وينفيه"^٤، وهذا يختلف عن رؤية ابن جني لهذا المبدأ؛ حيث يرى ابن جني أن الضدية أو التناقض مظهر للصحة العقلية، وطريقة لاستعراض المهارة التحليلية، فهو يرى أن سبب الحكم قد يكون سببا لصدده على وجه^٥، ويرى أن الشيء يرد مع نظيره مورده مع نقيضه^٦، وهذا دافع للبحث عن المغالطات الحجاجية في كتاب الخصائص، واستجلاء طريقة ابن جني فيها، ومدى خصوصيتها، فهل هي سمة عامة للعلوم اللغوية؟ أو هي خاصة بكتابات ابن جني؟ أو أنها نتاج من نتاجات طبيعة العلوم اللغوية؟

وفيما يلي عرض لأبرز ما يمكن أن يُدرج تحت مسمى المغالطات في الخصائص:

^١ عادل مصطفى، المغالطات المنطقية: فصول في المنطق غير الصوري، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م،

ص ١٧

^٢ ينظر: مُجَدَّ النويري، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد المحجاج، ص ٢٠، ص ٤٠٩

^٣ ينظر: مُجَدَّ عديل، التحليل التداولي لخطاب المحجاج النحوي، ص ١٧٨

^٤ مُجَدَّ النويري، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد المحجاج، ص ٤١٦

^٥ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٥١

^٦ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢٠١

١ - مغالطة المصادرة على المطلوب Pétition de principe :

تعني المصادرة على المطلوب أو ما يسمى بالدليل الدائر *arguing in a circle*: "التسليم بالمسألة المطلوب البرهنة عليها من أجل البرهنة عليها! وذلك بأن تفترض صحة القضية التي تريد البرهنة عليها وتضعها بشكل صريح أو ضمني في إحدى مقدمات الاستدلال. وأنت بذلك تجعل النتيجة مقدمة وتجعل المشكل حلاً وتجعل الدعوى دليلاً"^٢. بمعنى أن الخطيب يبني حججه على مقدمات يتوهم أن المستمع يتقاسم معه التسليم بها. ويعد بيرلمان هذه المغالطة أفضح خطأ في الحجاج^٣.

والمصادرة على المطلوب في تعريفات الجرجاني: "هي التي تجعل النتيجة جزء القياس، أو يلزم النتيجة من جزء القياس، كقولنا: الإنسان بشر، وكل بشر ضحاك، ينتج أن الإنسان ضحاك"^٤.

ومن المصادرة على المطلوب ما أشار له ابن جني في قضية استعمال العرب لفظ القول مكان الكلام، واستعمال الكلام مكان القول، فقد أورد ابن جني بعض الشواهد على ذلك، ثم خلص إلى أن ذلك محمول على الاتساع في القول، والحجة هي: السعة في مذاهب القول، والضيق مذاهب الكلام! وهو بذلك قد فسّر النتيجة بالحجة. وهو بذلك يمثل الصيغة الشكلية للمصادرة على المطلوب وهي: "أ صادقة لأن ب صادقة، و ب صادقة لأن أ صادقة"^٥.

وقد يستخدم ابن جني هذه المغالطة بوصفها أسلوباً تعبيرياً، مثل قوله: "واعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل، ما إذا تأملته عرفت منه

١ سميت دائرية تشبيهاً لها بالدوران في حلقة مفرغة.

٢ عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ٢٧

٣ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص ٤١

٤ الجرجاني، التعريفات، ص ٢٣١

٥ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٢-٢٣

٦ عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ٣٥

قوة عنايتها بهذا الشأن، وأنه منها على أقوى بال...^١، ففسر إيثار العرب للتجانس بقوة عنايتهم به! ومعلوم أن الإيثار لا يكون إلا بالعناية.

وأظن أن كثيرا من المغالطات التي تدور في فلك المصادرة على المطلوب لا يمكن عدّها مغالطة في الوسط اللغوي؛ ذلك أن طبيعة هذا العلم تقوم على الاحتكام إلى كلام العرب وإلى الأحكام المطردة التي استنبطت منه، وبالتالي سيبدأ الفاعل المحاجج حجاجه من هذه الأصول أو سيحتكم إليها. فالحجج الدائرية "ليست مغالطة بالضرورة. وإنما يتوقف الأمر على السياق الحوارى للحجة وعلى الالتزامات الاعتقادية لدى المتحاورين. ويمكننا بتعبير تقني أن نقول إن المصادرة على المطلوب أو الحجّة الدائرية هي "مغالطة تداولية" pragmatic fallacy: أي قصور يتعين تقييمه بالنظر إلى الطريقة التي استخدمت بها الحجّة في سياق حوارى معين"^٢.

ويعزز ذلك أن هذه الطريقة من طرق الاستدلال تطرد في الدرس اللغوي، نحو قول بعض النحاة: أن الابتداء يُوجب الرفع للمبتدأ، فالمبتدأ مرفوع لأنه مبتدأ! فلا يمكن عدّ رفع الفاعل، أو نصب المفعول، أو الابتداء بالساكن، أو غيرها مما اتفق عليه علماء اللغة من المغالطات في علم اللغة، فلا يمكن القول إن الفاعل رُفع لأنه فاعل مغالطة، أو إن المفعول نُصب لأنه مفعول مغالطة؛ بسبب طبيعة هذا العلم الذي نشأ بالاستقراء والاستنباط.

^١ ابن جنّي، الخصائص، ج ١، ص ١١١

^٢ عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ٤٠

٢ - مغالطة المنشأ genetic fallacy; damning the :origins

وتسمى مغالطة لعن المصدر أيضاً، وتقوم هذه المغالطة على اتخاذ منشأ الحجة معياراً للحكم بصدقها أو كذبها، فهذه المغالطة هي ضرب من البخل المعرفي؛ حيث يُنظر في منشأ الاعتقاد، ويُتخذ معياراً لتقدير صحته، ويُنحى التبرير المنطقي الذي يتطلب وقتاً وجهداً سخياً^١.

وفي العلوم اللغوية عامة هناك قداسة خاصة لمصدر الحكم، فكثير من المناورات اللغوية يُحتج فيها بقولهم: هكذا نطقت العرب، أو هكذا قال الخليل، أو ورد ذلك عن سيبويه، أو هذا ما اتخذه البصريون، فأقوال العرب، ومن بعدها أقوال علماء العربية أو حتى بعض الجماعات اللغوية بمثابة المصدر الذي يكفي الإتيان به ليكون حجة في سياق حجاجي لغوي.

ولا يخرج ابن جني عن ذلك التقليد؛ فهو يستشهد بأقوال العرب ورواياتهم وبأقوال علمائهم، بل إنه يُقدم ما جاء عن المصدر الأساس وهو كلام العرب على القياس النحوي رغم احتفائه به، فيقول: "واعلم أنك إذا أدك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه، إلى ما هم عليه"^٢.

وأظن أن هذه المغالطة أيضاً لا يمكن عدها مغالطة في الدرس اللغوي، خاصة فيما يتعلق بالمصدر الرئيس وهو: كلام العرب؛ لأن كلام العرب هو المصدر الذي اتخذ أساساً لصحة الأحكام اللغوية أو خطئها، وعليه تتكى كافة الأصول النحوية، ولا تكون مغالطة إلا إذا نُسبت لرأي عالم بعينه، أو مدرسة نحوية بعينها، فهي قد تكون مغالطة في

^١ ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ٥٤ - ٥٥

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٢٥

تلك السياقات، بمعنى آخر يمكن عدّها مغالطة في الآراء دون المستندات النصية من كلام العرب.

٣- مغالطة التعميم المتسرع *hasty generalization*:

عملية التعميم الاستقرائي هي التي نستمد من خلالها خصائص فئة كلية من خصائص عينة من عينات هذه الفئة، بحيث تكون هذه العينة ممثلة لتلك الفئة^١.

وأظن أن الاشتقاق الأكبر الذي ابتكره ابن جني واقع في مغالطة التعميم المتسرع؛ حيث أرجع ابن جني كل تقاليد الكلمة الواحدة إلى معنى واحد، مثلما فعل في مادة (ق و ل)، التي يقول عنها: "إن معنى (ق و ل) أين وجدت، وكيف وقعت، من تقدم بعض حروفها على بعض، وتأخره عنه، إنما هو للخفوف والحركة. وجهات تراكيبها الست مستعملة كلها، لم يهمل شيء منها. وهي: (ق و ل)، (ق ل و)، (و ق ل)، (و ل ق)، (ل ق و)، (ل و ق)"^٢. فأخذ خاصية عامة لهذه التقاليد هي المعنى العام المشترك، وأسقطها عليها كيفما تقلبت.

ومثل ذلك فعل في تقاليد (ك ل م) التي أرجعها إلى الشدة والقوة^٣. منها على سبيل المثال تقليد (م ك ل) الذي قال فيه: "منه بئر مكول، إذا قل ماؤها... والتقاءهما أن البئر موضوعة الأمر على جمتها بالماء، فإذا قل ماؤها كره موردها، وجفا جانبها. وتلك شدة ظاهرة"^٤، وتلك مغالطة؛ إذ يمكن أن يُعلل هذا المعنى بطريقة عكسية، فيقال: إن البئر إذا قل ماؤها أصبحت خاوية من الماء، والخواء من الضعف، وبهذا تدل (م ك ل) على الضعف لا القوة^٥.

^١ ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ٦٦

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٥

^٣ ينظر: المصدر نفسه، ص ١٣

^٤ المصدر نفسه، ص ١٦

^٥ ينظر: السامرائي، ابن جني النحوي، ص ٢٠٨

وقد أحس ابن جني بوقوعه في منزلق التعميم المتسرع في فكرة الاشتقاق الأكبر فقال: "واعلم أنا لا ندعى أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة"^١.

٤ - مغالطة الرنجة الحمراء **red herring** :

هي حيلة تستخدم لتحويل الانتباه عن المسألة الرئيسة في الجدل، وذلك بإدخال تفصيلات غير مهمة، أو بإلقاء موضوع لافت أو مثير للانفعالات وإن كان غير متصل بالموضوع المعني ولا يشبهه إلا شبهًا سطحيًا^٢.

وقد سبقت الإشارة^٣ إلى ولع ابن جني بالإطناب، فنجده يحشد تحت الموضوع الواحد عدة مواضيع فرعية، فمثلًا في سبيل إثبات قرب علل النحويين من علل الكلاميين نجده يستطرد في عدة مواضيع منها: إهمال بعض الأصول اللغوية، وكثرة الثلاثي، ثم الحديث عن حركة عين الثلاثي، والعدل، وميل العرب إلى الاستخفاف والإيجاز، وغيرها من المواضيع التي أطنب فيها إطنابًا يكاد يُنسى معه الموضوع الأساس الذي يحتج فيه^٤. وأظن أن ابن جني يعد هذا العرض في شتى المسائل تحت العنوان الواحد نوعًا من الاستعراض المعرفي الذي يعزز فيه حجته الأصل التي دافع عنها.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٣٨

^٢ ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ٨٢

^٣ في الفصل الأول المبحث الثالث، ص ٨٢

^٤ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٨-٩٦

٥- مغالطة الاحتكام إلى السلطة *ad verecundiam*; appeal :to authority

تتصل هذه المغالطة بمغالطة المنشأ، حيث يعني مذهب السلطة "أن المصدر النهائي للمعرفة هو سلطة من نوع ما، قيمة على أمر بعينه، قد تكون هذه السلطة نظامًا كالكنيسة، أو نصًا كالكتاب المقدس... أو سلطة أهل العلم والاختصاص كلٌّ في مجاله"^١. و"يقع المرء في مغالطة (الاحتكام إلى سلطة) *ad verecundiam* عندما يعتقد بصدق قضية أو فكرة لا سند لها إلا سلطة قائلها. قد تكون الفكرة صائبة بطبيعة الحال، وإنما تكمن المغالطة في اعتبار السلطة بديلاً عن البينة"^٢.

والدرس اللغوي تحكمه بسبب طبيعته عدة سلطات، منها على سبيل المثال: سلطة أصليّ السماع والإجماع، حيث يمثل الإجماع سلطة آراء أهل العلم، بينما يمثل السماع سلطة النص المسموع من العرب، وكثيراً ما يلجأ المحتج إلى نصوص سُمعت من العرب بوصفها دليلاً قاطعاً على ما ذهب إليه، أو أن يحتج بإجماع العلماء على رأي بعينه، ولا يمكن تقدير ذلك بصفته مغالطة؛ لأنها من الأصول التي يقوم عليها علم العربية.

لكن الاحتكام إلى السلطة في الدرس اللغوي يكون مغالطة عندما يدخله التحيز أو الخلاف أو إذا كان مصدر السلطة غير محدد^٣، كأن يُقال زعم النحويون، أو أجمع العلماء، أو قال أهل اللغة.

^١ عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ١٠٣ - ١٠٤

^٢ المرجع نفسه، ص ١٠٤

^٣ ينظر: المرجع نفسه، ص ١٠٨ - ١٠٩، ١١١

٦- مغالطة الاحتكام إلى عامة الناس (أو إلى الجمهور) ad
populum; appeal to people; appeal to
: gallery; appeal to the mod

تقوم هذه المغالطة على الاحتكام إلى الناس بدلاً من الاحتكام إلى العقل، وعلى محاولة انتزاع التصديق على فكرة معينة عن طريق إثارة مشاعر الحشود وعواطفهم بدلاً من تقديم حجة منطقية صائبة^١.

ولهذه المغالطة ثلاثة أشكال^٢:

أ-عربة الفرقة الموسيقية : ومفادها أنه ما دام غالبية الناس تعتقد شيئاً أو تختار مسلكاً، فلا بد أن يكون هذا الاعتقاد وهذا المسلك صحيحاً.

ب- التنفُّج (التأسي بالنخبة) : وفيها يتم الاقتداء بالصفوة المختارة بدلاً من عامة الناس، وصورتها التجريدية : جميع الممتازين يعتقدون ب، إذن ب صحيحة.

ج- التلويح بالعلم: التذرع بالوطنية: وهنا يلجأ المتحدث إلى المشاعر القومية أو الوطنية. ويندرج فيها التلويح بأي رمز وأي راية: سياسية أو مذهبية أو دينية.

والشكل الأكثر شيوعاً في الدرس اللغوي هو التأسي بالنخبة، ومنه إنكار **أبي** العباس جواز تقديم خبر ليس عليها، يقول ابن جني ردّاً عليه: "فأحد ما يحتج به عليه أن يقال له: إجازة هذا مذهب سيويوه وأبي الحسن وكافة أصحابنا، والكوفيون أيضاً معنا. فإذا كانت إجازة ذلك مذهباً للكافة من البلدين وجب عليك - يا أبا العباس - أن تنفر عن خلافه، وتستوحش منه، ولا تأنس بأول خاطر يبدو لك فيه"^٣، فلم يبن ابن

^١ ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ١٢٠

^٢ المرجع نفسه، ص ١٢٥-١٢٩

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٨-١٨٩

جني استدلاله على سبب منطقي، أو علة واضحة، واكتفى بالاحتكام إلى إجماع علماء النحو على هذا الرأي.

٧- الاحتكام إلى النتائج *AD consequentiam ; appeal* : to consequences

هي أن تستخدم النتائج السلبية أو الإيجابية المترتبة على اعتقاد ما بوصفها دليلاً على كذب هذا الاعتقاد أو صدقه. وصورتها التجريدية: الاعتقاد بأن ق يؤدي إلى نتائج مرغوبة، وهذه النتائج غير ذات صلة ب ق، إذن ق صادقة^١.

وفي ظني أن الاحتكام إلى النتائج هي طريقة الاستدلال في العلوم العربية عامة؛ حيث وُجدت مواضع سلبية وأخرى إيجابية، متى ما حضرت في الشكل الاستدلالي أطلق الحكم بناء عليها.

فالنحو العربي مثلاً يضم عدداً من المواضع المباشرة، مثل: أمن اللبس، أو طلب الاستخفاف واستكراه الثقيل، أو توخي الشائع الذي يوافق المعيارية والابتعاد عما هو قليل ونادر، يقول ابن جني: "كيف تصرف الحال فينبغي أن يعمل على الأكثر لا على الأقل، وإن كان الأقل أقوى قياساً"^٢، فكانت هذه المواضع بمثابة النتائج التي يُلجأ إليها لتبرير حكم ما.

يقول ابن جني مثلاً في قضية شيوع الضمير المتصل وكثرة استعماله: "علة ذلك أن الأسماء المضمرة إنما رغب فيها، وفتح إليها؛ طلباً للخفة بما بعد زوال الشك بمكانها، وذلك أنك لو قلت: زيد ضرب زيداً، فجئت بعائده مظهرًا مثله، لكان في ذلك إلباس واستثقال"^٣، فهو قد احتكم إلى موضعين لارتضاء هذه النتيجة، هما: الخفة (النتيجة

^١ ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ١٤٢

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢٦٠

^٣ المصدر نفسه، ص ١٩٣

الإيجابية) التي يترتب عليها كثرة استعمال الضمير المتصل، والإلباس والاستثقال (النتيجة السلبية).

ويقول في قضية حذف الموصوف في النثر وإقامة الصفة مقامه: "الصفة في الكلام على ضربين: إما للتخليص والتخصيص، وإما للمدح والثناء. وكليهما من مقامات الإسهاب والإطناب، لا من مظان الإيجاز والاختصار. وإذا كان كذلك لم يلق الحذف به ولا تخفيف اللفظ منه. هذا مع ما ينضاف إلى ذلك من الإلباس وضد البيان"^١، فهو قد انطلق من نتيجة سلبية هي: الإلباس، ومنها أطلق حكمه بعدم مناسبة حذف الصفة في النثر.

فلاحتكام إلى النتائج مغالطة قائمة في النحو العربي؛ نظرًا لقيامه على عدد من المواضع المباشرة، والتي كانت بمثابة المسلمات التي بُنيت عليها أبواب كثيرة.

٨- الألفاظ الملقمة (المشحونة) **loaded words; prejudiced language; question-begging epithets**

تقع هذه المغالطة حين يستخدم الفاعل المحاجج ألفاظاً مشحونة بدلاً من الحجة؛ طمعاً في تأثر المتلقي باللغة الملونة التي تغلف بها الحجة. بمعنى أن الطاقة الانفعالية للكلمة تُسخر لخدمة النتيجة المبتغاة^٢.

ولغة ابن جني في الخصائص غنية بهذا النوع من الألفاظ، ويمكن تبينها في ثلاثة اتجاهات كان لها حضور قوي في أسلوبه، وهي:

أولاً: التوجيهات Directives، فابن جني يستخدم الأفعال الكلامية التوجيهية التي تعطي المتلقي إجماعاً بصدق النتيجة؛ حيث يتوجه إلى قبول النتيجة من خلال استخدام فعل الأمر، وكثيراً ما يفتتح أبواب بنتيجة مقررة يستهلها بفعل

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣٦٦

^٢ ينظر: عادل مصطفي، المغالطات المنطقية، ص ١٥٢-١٥٣

الأمر (اعلم)، مثل قوله: "اعلم أن علل النحويين - وأعني بذلك حذاقهم المتقنين، لا ألقاهم المستضعفين - أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفقيين"^١، وقوله: "اعلم أن محصول مذهب أصحابنا ومتصرف أقوالهم مبني على جواز تخصيص العلل"^٢، وقوله: "اعلم أن أكثر العلل عندنا مبناها على الإيجاب بها، كنصب الفضلة..."^٣.

ثانيًا: العوامل الحجاجية، فهو يلجأ إلى عدد من التراكيب اللغوية التي تقيد النتائج الحجاجية للقول، وتوحي بصدق الحجة أو النتيجة، مثل أساليب القصر، التي أصبحت لازمة تعبيرية لابن جني؛ حيث تكررت كثيرًا في صياغة النتائج، مثل قوله: "فإن قيل: فكيف عبروا عن الاعتقادات والآراء بالقول، ولم يعبروا عنها بالكلام، ولو سوا بينهما، أو قلبوا الاستعمال، كان ماذا؟ فالجواب أنهم إنما فعلوا ذلك من حيث كان القول بالاعتقاد أشبه منه بالكلام"^٤، فقرر نتيجته، وهي أن القول يعني الاعتقاد، وأغلق الباب تجاه أي نتيجة أخرى محتملة، ثم شرع بعد ذلك برصف الحجج التي تؤيد القول الذي أراده، من مثل: "وذلك أن الاعتقاد لا يفهم إلا بغيره، وهو العبارة عنه، كما أن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره..."^٥.

ثالثًا: استغلال الحمولة الدلالية لبعض المفردات التي تعمل على توجيه الخطاب إلى نحو معين، وتخدم النتيجة المتوخاة، فهو عندما يقول مثلًا: "فأجود القولين..."^٦، أو: "اعلم أن هذا - على ما في ظاهره - صحيح ومستقيم"^٧، يكون قد قرر صواب النتيجة قبل أن يحتاج لها، كذلك عندما يقول: "فأما قول من قال: ... ففاسد عندنا من أوجه

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٨

^٢ المصدر نفسه، ص ١٤٤

^٣ المصدر نفسه، ص ١٦٤

^٤ المصدر نفسه، ص ٢٠

^٥ المصدر نفسه، ص ٢٠

^٦ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢١١

^٧ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٨

...^١، فهو يقرر بطلان النتيجة قبل الشروع في حجج هذا البطلان، ولا أظن أن ذلك يدخل في باب المغالطة؛ لأنه غالبًا ما يذكر بعدها الحجج التي تعضد النتيجة، وإنما هو تقنية لتوجيه ذهن وتكثيف الحضور.

ومن البين أن اللغة المشحونة تحتوي دائما على مصادرة على مطلوب؛ لأنها تفترض حكماً مسبقاً لم تتم البرهنة عليه بعد. وقد سمي هذا النوع (النوع المصادرة على المطلوب)^٢، لكن ليس كل لغة مشحونة هي مغالطة بالضرورة؛ لأن الإنسان بطبيعته يلجأ إلى تسخير الطاقات الانفعالية والخيالية للكلمات في خدمة الحقيقة، وتأتي المغالطة حينما يستبدل المُجادل الحجة بتلك الألفاظ المشحونة، أو حينما يتأثر المتلقي بتلك اللغة المشحونة^٣.

٩ - القسمة الثنائية الزائفة:

يقع المرء في هذه المغالطة عندما يبني حجته على افتراض وجود خيارين أو نتيجتي ممكنين لا أكثر، بينما يكون هناك خيارات أخرى أو نتائج أخرى^٤.

لقد شكلت الثنائيات الضدية جزءا كبيرا من أسس التفكير العربي^٥، وارتكزت عليها كثير من الدراسات اللغوية العربية، وفي الحجاج الخطابي دائما إذا لم تكن معي فأنت ضدي، والنحو العربي اتكأ منذ بدايته على هذه الثنائيات، ولم يكن ابن جني يحدد عن هذه الثقافة التأليفية العامة في عصره؛ حيث بنى كثيرا من قضاياه في الخصائص على هذه الثنائيات، فالكلام إما مطرد أو شاذ^٦، ومقاييس اللغة إما لفظية أو معنوية^٧، والعلة

^١ ابن جني، الخصائص، ج١، ص ١٧٩

^٢ ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ١٥٤

^٣ ينظر: المرجع نفسه، ص ١٥٢-١٥٣

^٤ ينظر: المرجع نفسه، ١٦٠

^٥ ينظر: سمر الديوب، الثنائيات الضدية: دراسات في الشعر العربي القديم، دمشق: الهيئة العامة السورية

للكتاب، ٢٠٠٩م، ص ٦-٧

^٦ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج١، ص ٩٦-١٠٠

والعلة إما موجبة أو مجوّزة^٢، والحرف إما ساكن أو متحرك^٣، والمعاني إما حقيقة أو مجازية^٤. لكن مع ذلك يمكن تلمس وعي ابن جني بمغالطة هذه الثنائيات؛ إذ إنه حاول أن يتخذ موقفاً وسطاً في بعض القضايا، فهو لم يجزم مثلاً في مسألة نشأة اللغة^٥، وقد أعطى في مسألة أخرى علل النحويين مرتبة وسطى بين علل الفقهيين وعلل الكلاميين^٦.

١٠- المنحدر الزلق (أنف الجمل) *slippery slope; camel's*

:nose

تعني هذه المغالطة أن فعلاً ما، ضئيلاً كان أو تافهاً، سوف يجر وراءه سلسلة محتومة من العواقب تؤدي في نهاية المطاف إلى نتيجة كارثية^٧.

وقد قرر ابن جني أن الشيء قد يحمل على الشيء من غير الوجه الذي أعطى الأول ذلك الحكم، ويضرب مثلاً لذلك من باب النسب، فالعرب تقلب الهمزة واوًا في الإضافة إلى ما آخره ألف التانيث المقصورة، فهي تقول في حمراء: حمراوي؛ وذلك حتى لا تقع همزة التانيث حشواً^٨، ثم إن هذا الفعل الضئيل قد جر وراءه سلسلة من الحملات، وهي^٩:

- جعلوا الهمزة واوًا في النسب إلى ما آخره همزة إحاق، فقالوا في علباء: علباوي، مع أنها ليست للتانيث؛ حملاً لها على همزة حمراء، من حيث زيادتهما.

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٠٩-١١٥

^٢ ينظر: المصدر نفسه، ص ١٦٤-١٦٦

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣٢٨-٣٤٢

^٤ ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٤-٤٤٧

^٥ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٠-٤٨

^٦ ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٨-٩٦

^٧ ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ١٥٥

^٨ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢١٣

^٩ ينظر: المصدر نفسه، ص ٢١٣-٢١٤

● ثم قلبوا الهمزة واوًا في النسب إلى ما آخره همزة مبدلة، فقالوا في كساء:
كساوي؛ حملاً لها على همزة علباء، مع أن الواو هنا مبدلة من حرف ليس
للتأنيث.

● ثم قلبوا الهمزة واوًا في النسب إلى ما آخره همزة أصلية، فقالوا في قراء:
قُرَّاي^١؛ حملاً لها على همزة كساء، من حيث كانت كلتا الهمزتين أصليتين غير
زائدتين.

فحكم واحد صغير قد جر وراءه عددًا من الأحكام التي غابت فيها العلة الأولى،
ويحاول ابن جني تبرير ذلك بقوله: "وسبب هذه الحمول والإضافات والإلحاقات كثرة
هذه اللغة وسعتها، وغلبة حاجة أهلها إلى التصرف فيها... ولقوة إحساسهم في كل
شيء شيئًا، وتخيلهم ما لا يكاد يشعر به من لم يألّف مذاهبهم"^٢، فسعة اللغة بررت من
وجهة نظرة هذه الحمولات، ولا أظن أن هذا سبب كافٍ لتبرير هذه الإلحاقات، ذلك
أن قوة تخيلهم كما يقول يمكن أن تساعدهم في اختيار علل مناسبة لا تُحمل على
التشبيه.

١١ - مغالطة انحياز التأييد:

يقع المرء في هذه المغالطة عندما يبحث عن الأدلة أو النماذج التي تؤيد نظريته،
ويلتمسها بهمة، وفي الوقت ذاته يميل إلى تجاهل الأدلة الأخرى التي قد تفند النظرية التي
يدعيها^٣.

يعد الاشتقاق الأكبر من أبرز القضايا اللغوية التي عُورض فيها ابن جني من قبل
اللغويين قديمًا وحديثًا، يقول السيوطي عن الاشتقاق الأكبر: "وهذا مما ابتدعه الإمام أبو

^١ الأجدود أن تسلم الهمزة إذا كانت الألف الممدودة أصلاً، ينظر: أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف،

تحقيق: محمد أحمد قاسم، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٦م، ص ١٤٢

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢١٥

^٣ ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ٢٢٥-٢٢٦

الفتح بن جني... وليس معتمدا في اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب^١، ويقول صبحي الصالح: "إن النظرة الأولى إلى صنيع ابن جني في هذه التقاليد لا تخطئ التكلف البعيد الذي وقع فيه...ولكن الرابط الذي اهتدى إليه ليس عامًا وحسب، بل هو شديد العموم..."^٢، ويقول إبراهيم أنيس: "فإذا كان ابن جني قد استطاع في مشقة وعنت أن يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التي يُقال إنها في معجم صحاح اللغة تصل إلى أربعين ألفًا، وفي معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفًا، فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الأكبر"^٣.

ويمكن النظر إلى نظرية ابن جني في الاشتقاق الأكبر بوصفها مغالطة وقع فيها ابن جني عن طريق انحياز التأييد؛ حيث اختار من الأمثلة التي تعضد نظريته، وتجاهل تلك الأخرى التي لا تتفق وهذه النظرية.

ويقع ابن جني في نظريته هذه بالمغالطة البروكستية^٤؛ حيث مارس القولية الجبرية، فوضع قالبًا محددًا هو المعنى الذي تجتمع فيه التقاليد الستة، وجعل كل تقليباته تنسجم عنوة مع هذا القالب الدلالي.

إلا أنه قد خلّص نفسه من الوقوع في مغالطة إغفال المقيدات^٥ حينما قال: "واعلم أنا لا ندعى أن هذا مستمر في جميع اللغة... بل إذا كان ذلك الذي هو في

^١ جلال الدين السيوطي، المزهر، ج ١، ص ٢٤٤

^٢ صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠م، ص ١٩٤

^٣ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م، ط ٦، ص ٦٨

^٤ يشير مصطلح البروكستية إلى أي نزعة إلى "فرض القوالب" على الأشياء أو الأشخاص أو النصوص... الخ، أو ليّ الحقائق وتشويه المعطيات وتلفيق البيانات لكي تنسجم قسرًا مع مخطط ذهني مسبق. ينظر: عادل مصطفى،

المغالطات المنطقية، ص ٣١٦

^٥ وهي تعني أن تطبق تعميمًا على حالات فردية، ينظر: المرجع نفسه، ص ٢٣٤

القسمة سدس هذا أو خمسة متعذرا صعبا كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهبا وأعز ملتصبا^١.

والتعميم واقع في كثير من قضايا اللغة، وقد حاول علماء العربية معالجة ما يخرج عما قرروه من أسس بطرائق مختلفة، مثل: تسمية غير المطرد مع قوانينهم بالشاذ، وتفسير غير المنقاد عن طريق التأويل.

١٢ - الاحتكام إلى القديم (الاحتكام إلى التقاليد) :

يعد الاحتكام إلى القِدَم أو إلى التقاليد نوعًا من الاحتكام إلى سلطة، والسلطة هنا هي العرف أو التقاليد الجمعية. ويتخذ الاحتكام إلى القدم عمر الفكرة معيارًا، بينما يتخذ الاحتكام إلى التقاليد تقليديتها^٢ معيارًا^٣.

وينبني الاحتجاج في اللغة كما حدده علماء العربية على معيار القِدَم، فقد حددوا عصورًا معينة للاحتجاج، وقُدِّمت لغة أهل البادية على لغة أهل المدن في الاحتجاج نظرًا لطابعها التقليدي، ولم يكن ابن جني يجيد عن هذا التيار الاحتجاجي، فهو يرى أنه: "لو فشا في أهل الوير ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها"^٤.

هذه أبرز المغالطات التي يمكن التماسها في الخصائص، وقد تبين أن كثيرا من المغالطات التي وقع فيها ابن جني هي مغالطات عامة في الدرس اللغوي العربي؛ وهذا

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٣٨

^٢ التقليدية هنا هي التجريب، فالتقليدي هو ما اختبره الأقدمون وأثبتوا نجاحه، وتبنته بعد ذلك الأجيال من بعدهم. ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ٣٤٥

^٣ ينظر: المرجع نفسه، ص ٣٤٤

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٥

يعود إلى الخلفية المرجعية المشتركة لأصحاب العلم الواحد؛ فالمغالطة تنفشي حسب المجتمع الذي يحتضنها^١.

كما أن كثيراً من المغالطات المنطقية لا يمكن وصفها داخل إطار الدرس اللغوي بالمغالطات؛ نظراً لطبيعة هذا الدرس، والظروف التي احتضنت نشأته. وعلى هذا يمكن القول إن المغالطات عند ابن جني قد انتهجت ثلاث نواحي، فبعضها لا يُختلف في كونه مغالطة، وراسخ في وعي علماء العربية أنها كذلك، مثل: مغالطة انحياز التأييد، وبعضها الآخر لا يعدو كونه سمة تأليفية عامة في ذلك العصر، لم يجد ابن جني عنها، مثل: المصادرة على المطلوب، وبعضها يمثل عموداً أساسياً للاحتجاج في الدرس اللغوي العربي، مثل: الاحتجاج بالسلطة والاحتكام إلى القديم.

^١ ينظر: عادل مصطفي، المغالطات المنطقية، ص ٤٠٧-٤٠٨

الفصل الثالث

(فحص الحجاج في كتاب الخصائص)

- المبحث الأول: العلاقة الحجاجية في كتاب الخصائص.
- المبحث الثاني: الجهاز الحجاجي في الخصائص.
- المبحث الثالث: بعض الآليات الحجاجية في كتاب الخصائص.

الفصل الثالث

المبحث الأول

(العلاقة الحجاجية في كتاب الخصائص)

لما كان الفصل الماضي في غالبه ينظر في إستراتيجيات الحجاج القديمة، حاولت في هذا الفصل النظر في حجاج ابن جني في كتابه الخصائص من منظور حديث؛ من منطلق الإيمان بمتانة الرابط بين الدراسات القديمة والحديثة والتكامل بينها .

يعنى هذا المبحث بفحص عناصر العلاقة الحجاجية؛ بصفتها أول عتبة يمكن الدخول منها إلى دراسة الحجاج في مدونة ما، وهذه العناصر متمثلة في: قول الانطلاق، وقول العبور، وقول الوصول.

إن كل علاقة حجاجية تتكون على الأقل من ثلاثة عناصر: قول الانطلاق، وقول الوصول، وقول أو أقوال العبور^١. وفيما يلي تفصيلها:

أولاً: قول الانطلاق:

يتشكل هذا القول في صيغة ملفوظ يمثل معطى انطلاق يحث على قبول قول آخر يقوم مقام المبرر لذلك المعطى، ويُسمى بالمقدمة المنطقية^٢.

ولقول الانطلاق أو المقدمة الحجاجية أهمية بالغة في العملية الحجاجية؛ فيبرلمان يعتقد أن القاعدة العامة والمبدأ الأساس في التأثير بالفاعل الهدف، هو تكيفه مع الفاعل

^١ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٢١-٢٣

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٢١-٢٢

المحاجج، وأن ذلك لا يتم إلا من خلال الانطلاق من مقدمات *Prémises* مقبولة
ومسلم بها من قبل الفاعل الهدف^١.

وتختلف المقدمات المحجاجية عن المقدمات البرهانية، فالبرهنة الصورية تُقدم
الدليل على صدق النتيجة من خلال المقدمة التي هي حقيقة لا خلاف فيها، بينما يقوم
المحجاج على نقل الاعتناق *Adhesion* الحاصل حول المقدمات إلى النتائج^٢، فالفرق
إذن هو فرق في درجة قبول للمقدمة التي تكون معرفة لها درجة معينة من القبول في
المحجاج، بينما هي حقيقة ثابتة في البرهان.

ولا تظهر المقدمات دائماً في المحجاج، يقول عبدالله صولة إن الإضمار: "لا يقع
على بعض المقدمات فحسب، وإنما قد يشمل أيضاً النتيجة بل وقد يشمل أكثر من
عنصر في عملية القياس، وأكثر ما يرد هذا في الخطاب اليومي والأدبي خصوصاً"^٣.

وابن جني يضم المقدمات في كثير من المواضع، مثل قوله في باب في مضارعة
الحروف للحركات، والحركات للحروف: "وسبب ذلك أن الحركة حرف صغير؛ ألا ترى
أن من متقدمي القوم من كان يسمى الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة،
والفتحة الألف الصغيرة"^٤، فالعنوان يمثل النتيجة وهي أن الحروف تضارع الحركات،
ومقدمة الباب هي الحجة، وهي أن الحركة التي تظهر على الحرف ماهي إلا حرف صغير
بدليل أنها متى أشبعت صارت حرفاً. أما المقدمة المضمر فتتعلق بوجود أصوات قصيرة
وطويلة في اللغة، من صنف: الأصوات في اللغة: صوائت وصوامت.

يقسم بيرلمان المواد التي يستقي منها الخطيب مقدماته إلى: مواد تتصل بالواقع،
وهي: الوقائع *les faits*، والحقائق *les vérités*، والمظنونات *les présomptions*، ومواد

^١ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية المحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٤٢

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٤٢

^٣ عبدالله صولة، في نظرية المحجاج دراسات وتطبيقات، ص ١٤٥

^٤ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣١٥

ترجع إلى الأفضل وهي: القيم les valeurs، والتراتبيات les hierarchies، و مواضع الأفضل les lieux du preferable^١، وتختلف درجة قبول المقدمات الحجاجية حسب مادة الاتفاق التي استمد منها الخطيب مقدمته، والفرق بينها ليس فرقا يتعلق بالقبول أو عدمه، بل يعود إلى مدى تناسب مادة الاتفاق التي استمد منها الخطيب مقدمته مع الموضوع الذي يقدمه، ومدى اتفاق المتلقين حولها.

ونظرا للطبيعة التأليفية التي يقوم عليها كتاب الخصائص؛ من حيث تقسيم الكتاب إلى أبواب، واختصاص كل باب بمناقشة قضية علمية قد تتخذ شكل الحوار في معظم المرات، وقد يندرج تحتها العديد من القضايا، و من ثم يضطر ابن جني إلى الحجاج عن قضيتين، هما: القضية الأساسية التي يناقشها الباب، والقضايا الفرعية التي قد تندرج تحتها، تحت تقسيم المقدمات التي اتخذها ابن جني في كتابه إلى قسمين:

القسم الأول: ويختص بالمقدمات التي جعلها ابن جني مدخلا للباب الذي يريد الخوض فيه، وهذه بدورها تنقسم قسمين:

منها ما يتعلق بعنوان الباب، ومنها ما يتعلق بمدخل الباب.

أما عناوين الأبواب: فقد لا ترتقي عناوين الخصائص في كثير من الأحيان لتكون مقدمات استدلالية، لكنها تحمل بعدًا حجاجيًا بوصفها العتبة التي سيدخل منها ابن جني إلى موضوعه، ويمكن أن تصنف كالتالي:

• عناوين تحمل اسم القضية التي يريد ابن جني محاورتها في هذا الباب، وهذا هو المطرد في كثير من المؤلفات؛ إذ إن العناوين تُسمى عادة باسم القضية

^١ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٤٢

المراد مناقشتها تحتها، لذا فهذه العناوين تنتمي إلى صنف المظنونات^١ من المواد التي تعود للواقع.

ولا يتعلق هذا الصنف بالمقدمات الحجاجية إلا من خلال تكثيف حضور la presence بعض العناصر عن طريق البدء منها، ويمكن التمثيل لهذا الصنف بالأبواب التالية: باب في الاستحسان، باب في السلب، باب في الاعتراض، وغيرها.

● عناوين تمثل النتيجة الحجاجية للباب، وفيها يقع ابن جني في مغالطة المصادرة على المطلوب - عند من يؤمن بمغالطة ذلك في الدرس اللغوي-؛ إذ إنه يبدأ بالنتيجة ثم يدلل عليها، مثل:

- باب في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب.
- باب في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها.
- باب اختلاف اللغات وكلها حجة.

فابن جني يبدأ في هذه الأبواب بالنتيجة التي يريدتها، ويمكن رد ذلك أيضا إلى تقنية الحضور، فابن جني يصنع لرأيه الحضور من خلاله تضمينه في العنوان، مع أنه يطلق بعد ذلك كل الاعتراضات الممكنة على هذا العنوان ثم يدحضها.

وقد تكون هذه سمة تأليفية عربية، فالافتراض المترسم طريقة يلجأ لها المؤلفون العرب من خلال تصدير مؤلفاتهم بمقدمات جوابًا عن سؤال سائل، أو نزولًا عند رغبة راغب، ومن أشهر من عُرف بهذا النمط الجاحظ^٢.

^١ المظنونات: وهي التي ترتبط بما يحدث عادة وما هو من المعقول المراهنة عليه، وتقوم على فكرة أن المعتاد هو ما وقع، وبما أن هذا المعتاد قد يكون موضوع تأويلات مختلفة، فمن الممكن أن يطرح نقاش حول ملاءمة المظنون

للقضية، ينظر: المرجع نفسه، ص ٤٤

^٢ ينظر: مصطفى الغرافي، البلاغة والإيديولوجيا، ص ٢٠٥

• عناوين أخرى تجتمع فيها الحجة والنتيجة، وتُطوى فيها المقدمة، ويكون الباب بعد ذلك تفسيراً وتدليلاً على صحة النتيجة، مثل:

- باب في العدول عن الثقل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف.

- باب في الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة.

• عناوين تُطرح بشكل تساؤلات، وأظن أن ابن جني أراد من ذلك أن يعطي القارئ إيهاً ما بأنه هو من صنع تلك النتيجة التي أرادها ابن جني؛ ويتحقق بالتالي صدق اعتناقه لهذه النتيجة، وذلك من خلال استخدام أسلوب التخيير، من قبيل:

- باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية؟
- باب في هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أو

لا؟

و واضح أن المتكلم هنا لا يملك أي خيط في حياكة هذه النتيجة؛ بدليل أن ابن جني غالباً ما يقرر النتيجة في أول الباب بعد طرح هذا التساؤل مباشرة، فيقول مثلاً في أول الباب الأول: "اعلم أن علل النحويين - وأعني بذلك حذاقهم المتقنين، لا ألفافهم المستضعفين - أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفقيين"^١، ويقول في أول الباب الثاني: "سألت أبا علي - رحمه الله - عن هذا فقال: كما جاز أن نقيس منشورنا على منشورهم، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم"^٢، فهذا الاستفهام يعطي المتلقي انطباعاً بأنه سيشترك في بناء العملية الحجاجية، وبأن ابن جني لن يقرر النتيجة إلا بعد اختبارها من الوجهين المخيرين.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٨

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٢٣

وأما مداخل الأبواب: فالمقصود فيها الشرح الذي يلي العنوان، وفيه يشرعن ابن جني للباب، أو المقدمة التي يفتح بها استدلاله داخل الباب الواحد، وتتخذ مداخل الأبواب أيضاً أشكالاً عديدة:

- فهناك أبواب يبدأها ابن جني بقيمة^١ معينة تجذب انتباه المتلقي، مثل قيم الشرف أو السلامة، أو صفة محددة تقع تحت طائلة القيم الجمالية مثل الطرافة أو العظمة؛ حيث إن القيم من مواد الاتفاق التي يستمد منها الخطيب مقدماته، فيعزز بذلك قبول المتلقي للنتيجة، ويمكن التمثيل لهذه الاستهلاجات بالتالي:
 - يقول في بداية باب في دور الاعتلال: "هذا موضع طريف"^٢.
 - ويقول في التوطئة لباب في الاعتلال لهم بأفعالهم: "ظاهر هذا الحديث طريف، ومحصوله صحيح..."^٣.
 - ويقول في مقدمة باب في الاحتجاج بقول المخالف: "اعلم أن هذا - على ما في ظاهره - صحيح ومستقيم"^٤.
 - ويقول في أول باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني: "اعلم أن هذا الباب من أشرف فصول العربية، وأكرمها، وأعلاها، وأنزهها. وإذا تأملته عرفت منه وبه ما يؤنقك، ويذهب في الاستحسان له كل مذهب بك"^٥. ويلحظ تكرار أفعال التفضيل هنا، مما يؤكد أن ابن جني أراد أن يسجل موفقه المدعم للقضية من أول الباب.

^١ القيم: هي من مواد الاتفاق التي ترجع إلى الأفضل، وهي تلك التي تسجل موقفاً إما مع ما ترفع من شأنه أو ضده، أو أنها تغضّ منه دون مقارنته بشيء آخر. ينظر: الحسين بنوهاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان،

ص ٤٥

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٢

^٣ المصدر نفسه، ص ١٨٦

^٤ المصدر نفسه، ص ١٨٨

^٥ المصدر نفسه، ص ٢١٥

كل هذه القيم قد توطئ للمتلقى قبول النتيجة، وتساعد في تحديد موقف المتلقي، ومن ثم توجيه العملية الحجاجية منذ الوهلة الأولى التي يستقبل منها القارئ النص.

● بُنيت كثير من مداخل الأبواب في الخصائص على مواد تعتمد المقارنة أو مواد الأفضل كما سماها بيرلمان، خاصة ما يعود منها إلى التراتبيات الملموسة^١، وهي مواد يعتمد عليها الحجاج كثيرًا، ولا يكاد يخلو منها^٢، ومن المداخل التي تعتمد السُّلمية في الخصائص ما يلي:

- يقول ابن جني مثلاً في أول باب (باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية؟): "اعلم أن علل النحويين - وأعني بذلك حذاقهم المتقنين، لا ألفتهم المستضعفين - أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفقيين"^٣، لقد بنى ابن جني هنا سُلماً تراتبياً يتكون من:
- علل المتكلمين.
- علل النحويين.
- علل الفقهيين.

حيث تقع العلل الكلامية في أعلى السلم، وتقع العلل الفقهية في آخر السلم، وتتوسطهما علل النحويين، ومع هذا الترتيب نجد أن المتلقي منذ بداية الباب سيُعلي من قيمة العلل الكلامية لأنها تقع في أعلى السلم، ثم يعزز ابن جني هذا الانطباع في بقية الباب عندما يلقي عليها بعض الصفات التي ترسي مكانتها المتقدمة في السلم الحجاجي.

^١ أظن أن التفريق بين مواد الأفضل ومواد التراتبيات لم يكن دقيقاً عند بيرلمان، فالترايبات قد تعتمد أحياناً على الكم، ومرات أخرى على الكيف، أو على أي من المواضع التي صُنفت تحت مواد الأفضل، لذا سيتم مناقشتها في إطار واحد في هذا البحث.

^٢ ينظر: الحسين بنوهاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص ٤٦

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٨

● ويقول في مقدمة باب (باب ذكر الفرق بين العلة الموجبة، وبين العلة

المجوزة):

"اعلم أن أكثر العلل عندنا مبناها على الإيجاب بها، كنصب الفضلة، أو ما شابه في اللفظ الفضلة، ورفع المبتدأ، والخبر، والفاعل، وجر المضاف إليه، وغير ذلك..."،^١ والمقارنة هنا بين نوعين من العلل، هما:

- العلة الموجبة.

- والعلة المجوزة.

وهو منذ بداية الباب أكد على أفضلية علل الوجوب من خلال اعتماده على مواضع الكم؛ كونها أكثر من علل الجواز. ثم شرع يؤكد هذه النتيجة في بقية الباب من خلال وصفه لعلل الوجوب بأنها "مقاد كلام العرب"^٢، وقصره لعللة الجواز على أنها: "سبب يجوز ولا يوجب"^٣.

ومن حيث إنه "يمكن لمبدأ مجرد أن يقيم تراتبية عدد كبير من الوقائع الملموسة"^٤، وقد سبقت الإشارة^٥ إلى أن ابن جني قد طوّر بعض المواضع التراتبية العامة، التي استطاع من خلالها أن يُحاكم كثيراً من الوقائع اللغوية، مثل: مبدأ أفضلية القياس، ومبدأ تقدم كلام العرب القدامى خاصة أهل الوبر على غيرهم، فيكفي لإثبات قضية ما أن يُحكى فيها دليل عنهم، أو أن يُقال: "قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منشوراً ومنظوماً"^٦.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٦٤

^٢ المصدر نفسه، ص ١٦٤

^٣ المصدر نفسه، ص ١٦٤

^٤ الحسين بنوهاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٤٦

^٥ في الفصل الثاني المبحث الأول، ص ١١٨ وما قبلها.

^٦ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٤١١

القسم الثاني : ويختص بالمقدمات التي تخص استدلالات ابن جني، والتي قد تقع في القضايا الصغيرة داخل الأبواب، وقد تقع في عناوين الأبواب.

فابن جني غالبًا ما يُقيم تلك القضايا الصغيرة داخل الأبواب في هيكل حوارى مع معارضه الافتراضى، هذا الشكل يفرض إلى حد كبير إضمار المقدمة أو تمثيلها بشكل غير اعتيادي عن طريق السؤال الذي يقدمه ذلك المعارض الافتراضى، أو حتى داخل الحجة المعارضة التي يقدمها، فتكون وفق الشكل التالى:

- السؤال أو الحجة المعارضة (من المحاور الافتراضى): ويمثل غالبًا تفنييدًا لمزعم ابن جني الذي وُجد في أول الباب، سواء في عنوان الباب أو المقدمة بعده، ثم يكون هذا السؤال المفنيد مقدمةً للحكم التالى المراد إثباته.
- الإجابة(من ابن جني): وتتضمن الحجة التي يؤكد من خلالها النتيجة الأولى.

وقد يجر السؤال الواحد سلسلة من القضايا التي يمكن إثباتها بالإضافة إلى القضية الأولى محل عناية الباب، ويمكن التمثيل لذلك بباب (هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أو لا؟)^١ الذي جاء وفق الشكل التالى:

- المقدمة مضمرة في العنوان، وهي: أن الشعراء العرب القدامى ارتكبوا الضرورات في الشعر.
 - ثم النتيجة المقررة في مدخل الباب، متضمنة الحجة، وهي: "سألت أبا علي رحمه الله عن هذا فقال: كما جاز أن نقيس منشورنا على منشورهم، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم..."^٢.
- فالنتيجة:** أن ارتكاب الضرورة في الشعر جائز.

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٢٣-٣٣٥

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٢٣

والحجة: أن قياس نثرنا على نثرهم يميز قياس شعرنا على شعرهم، ويشمل ذلك ارتكاب الضرائر.

- ثم **الحجة المعارضة** من قبل المحاور الافتراضي، وهي: أن العرب القدامى كانوا يترجلون الشعر ارتجالاً ويتسرعون فيه، وبالتالي فإن ارتكاب الضرورة وارد، بينما يتأني المحدثون في شعرهم فلا بد لهم من تنقيحه، وتهذيبه، وتنحية الضرورة عنه.

وتحمل هذا الحجة المعارضة قضية أخرى تتعلق بالأولى، وتحمل نفس النتيجة، وهي قضية التأني والارتجال في الشعر، والتي جاءت حجاجياً وفق الشكل التالي:

- **المقدمة:** الارتجال في الشعر يبيح الضرورة.
- **الحجة:** العرب القدامى يترجلون الشعر، والمحدثون يتأنون فيه.
- **النتيجة:** يجوز للشعراء القدامى ارتكاب الضرورة في الشعر. ولا يجوز ذلك للمحدثين.

— ثم يأتي جواب ابن جني معارضاً للمقدمة الصغرى، وهي أن القدماء لا يترجلون الشعر دائماً، بل قد يتأنون فيه طويلاً، ويضرب حوليات زهير لذلك مثلاً. كما أن المحدثين قد يترجلون الشعر ويسرعون فيه. ثم أتى بحجة أخرى تعضد النتيجة وهي: أن سكوت علماء اللغة على ضرورات المحدثين المعاصرين لهم دليل على رضاهم بها. وهذه الحجة الأخيرة تتضمن قضية أخرى لها مقدمة مختلفة، وهي كالتالي:

- **المقدمة:** سكوت علماء اللغة عن قضية من القضايا دليل إجازتهم لها.
- **الحجة:** سَكَتَ علماء اللغة عن ضرورات المحدثين.
- **النتيجة:** ضرورات المحدثين جائزة.

وهكذا يستمر ابن جني في أبوابه في الخروج من قضية إلى أخرى داخل الباب الواحد بطريقة حوارية، الأمر الذي قد يتلازم معه في كثير من الأحيان طي المقدمات.

نخلص من هذا إلى أن المقدمات عند ابن جني قد تتخذ عدة أشكال فقد تكون حجة أو نتيجة أو استفهامًا يمرر النتيجة، ويندر أن يُظهر ابن جني مقدمات الاستدلال بالمعنى الذي أراده بيرلمان، وغالبًا ما يضمها، وهذا الأمر يعود إلى أن ابن جني أراد أن يمنح استدلالاته بعض القوة من خلال هذا الإضمار؛ حيث إن الإضمار في الحجج يتعلق غالبًا بالتأثير الخطابي.

ثانيًا: قول الوصول:

وهو يُمثل ما ينبغي أن يُقبل كونه ناتجًا عن قول الانطلاق، وعن الرابط السببي الذي يصله به، ويمكن أن يُسمى: خلاصة العلاقة الحجاجية أو النتيجة^١.

والمتأمل في كتاب الخصائص يجد أن النتائج غالبًا ما تكون ظاهرة؛ تبعًا لنوع الحجج المتبع فيه، وهو الحجج الصريح؛ نظرًا لتبني ابن جني في غالب موضوعاته موقف الفاعل المحاجج والفاعل الهدف، إذ يُمثل الحجج - في الأساس - "دفاعًا عن ملفوظ إزاء ملفوظات أخرى نقيضة. والتناقض قد يكون بين الملفوظات ضمنيًا كما قد يكون صريحًا؛ يتخذ النص في الحالة الأولى (الحجاج الضمني) بنية حجاجية أحادية أساسها أطروحة واحدة؛ مدحوضة أو مدعومة يحشد لها المتكلم طائفة من الحجج تنتظم وفق نسق دال ومخصوص يمكن من تحصيل المطلوب. أما في الحلة الثانية (الحجاج الصريح) فإن بنية النص تتوزعها أطروحتان متصادمتان^٢، فهذا النوع من الحجج يغلب فيه أن تظهر نتائجه حتى تقوم بدورها الفاعل، وتعزز موقف متبنيها.

^١ ينظر: باتريك شارودو، الحجج بين النظرية والأسلوب، ص ٢٢

^٢ مصطفى الغرافي، البلاغة والإيديولوجيا، ص ٢١٧

ويدعم ذلك أن كثيراً من النتائج تُذكر في عنوان الباب أو في مدخله كما سبقت الإشارة، وهذا أيضاً يتلاءم ونوع الحجاج في الخصائص وهو الحجاج الجدلي.

وليست نتائج ابن جني - وإن كان يغلب عليها الإعلان - مُعلنة دائماً؛ فهي قد تُخبئ في داخلها نتائج أخرى تعبر عن الخلفية الثقافية لمُنتج الخطاب، فمثلاً في باب علل العربية^١: النتيجة الظاهرة هي المعلنة في أول الباب وهي اقتراب علل النحويين من علل الكلاميين وبعدها عن علل الفقهيين، أما المضمره فهي بيان أفضلية علل الكلاميين، والتي قد تمثل انتصاراً - بوعي أو دون وعي - أيديولوجياً لعقيدة المعتزلة.

ويؤمن باتريك شارودو بأن العلاقة الحجاجية تتحدد في أساسها على أنها علاقة قائمة على السببية، وأن كل العلاقات المنطقية تتجه إلى التعبير عن هذه العلاقة^٢، وتكاد دراسة شكل العلاقة الحجاجية بين قولي الانطلاق والعبور أن تنحصر في شكلين للبرهنة، هما^٣:

الأول: الاستنتاج، الذي ينهض على قول الانطلاق أو المقدمة ليصل إلى النتيجة.

والثاني: الشرح، وهو مثل الاستنتاج في أنه يعتمد على قول الانطلاق ليصل إلى النتيجة، لكن قول الوصول هنا يمثل الأصل أو الحافز أو العلة.

ولقد كان غالب اعتماد ابن جني في الخصائص على الشرح لا على الاستنتاج؛ لأنه ينطلق كثيراً من نتائج يضمنها في العنوان تارة، وفي مدخل الباب تارة أخرى، ولأنه يقوم بحجب المقدمات في كثير من الأحيان، فيكون جُل عمله هو التدليل على هذه النتيجة التي فرضها في أول الباب، وهو عندما يقدمها يعطي انطبعا بأنها مثلت بالنسبة له حافزاً للدخول في هذه الموضوع.

^١ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٨

^٢ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٢٥

^٣ ينظر: المرجع نفسه، ص ٣٦، ٤٠

فابن جني في باب تدريج اللغة مثلاً يحقق النتيجة في مدخل الباب؛ فيقول: "وذلك أن يشبه شيء شيئاً من موضع، فيُمنضَى حكمه على حكم الأول، ثم يُرْفَى منه إلى غيره"^١، ثم يقول: "فمن ذلك قولهم :"^٢، فيجعل النتيجة منطلقه وحافزه، ثم يناقش مسألة استخدام حرف العطف (أو) بمعنى حرف العطف (الواو)؛ بسبب القرينة المعنوية في مثل: جالس الحسن أو ابن سيرين، ويجعل علة ذلك النتيجة ذاتها التي أعلنها في مدخل بابه^٣، فصارت النتيجة هنا هي المنطلق والأصل والعلة .

وهذا الشكل من أشكال البرهنة يتناسب وشكل الحجاج في الخصائص، فنتيجته ملزمة على رأي من يرى تبكيتية الحجاج الجدلي، ويعضد منه أن ابن جني غالباً ما يلجأ لمحور الواجب والملزوم في نماذج الروابط، ولا يكاد يلجأ لمحور الممكن إلا في مرات قليلة معدودة في القضايا التي لا يطمئن لها تماماً وتجده يحاول الاعتذار عنها، مثل ما فعل في قضية الاشتقاق الأكبر، فهو يعرضه بصفته ينتمي لمحور الممكن، وعلى أنه نوع من المرجح الذي ينطبق على بعض الحالات، أما معظم استدلالاته الأخرى، فهي تُبنى دائماً على أن قول الوصول يمثل لزوماً خلاصة لقول الانطلاق^٤.

ثالثاً: قول العبور:

هو القول الذي يُبرر الصلة السببية بين قول الانطلاق وقول الوصول، ويمثل كونا من الاعتقاد حول الطريقة التي تتحدد بها الأفعال فيما بينها على مستوى التجربة أو معرفة العالم. ويسمى دليلاً أو حجة أو اقتضاء حسب إطار الإشكالية التي يندرج ضمنها^٥.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٤٧

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٤٧

^٣ ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٤٧-٣٥٧

^٤ للتفصيل حول نماذج الروابط ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٣١-٣٣

^٥ ينظر: المرجع نفسه، ص ٢٢-٢٣

قسّم بيرلمان الحجج أو تقنيات الحجج إلى: تقنيات قائمة على الفصل، وأخرى قائمة على الوصل، وتضم تقنيات الوصل ثلاثة أنواع من الحجج، هي: الحجج شبه المنطقية Les arguments quasi-logiques، وهي قريبة من الفكر الصوري وتفترض القبول بدعاوى ذات طبيعة غير صورية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع Les arguments fondés sur la structure، وهي التي تركز على الربط بين عناصر موجودة في الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع Les arguments qui fondent la structure du réel، وهي التي تمكن انطلاقاً من حالة خاصة من إثبات سابقة أو وضع قاعدة عامة أو خلق قدرة^١.

وقد أدرج بيرلمان تحت كل نوع من هذه الحجج عدداً من الحجج التي تتفرع منها^٢، لكن كثيراً من هذه الحجج قد دُرست بوصفها مغالطات حجاجية، مثل: الحجج بالسلطة L'argument d'autorité، و التناقض والتعارض contradiction et incompatibilité، وحجة تحصيل الحاصل tautologie. وتجنباً للخلط بين ما هو تقنية حجاجية، وبين ما هو واقع تحت المغالطة؛ سيتم الاقتصار على دراسة الحجج المؤسسة لبنية الواقع، ينضاف إلى ذلك سبب آخر، هو اعتداد الدرس اللغوي العربي بهذا النوع من الحجج، أو بعبارة أخرى اقتراب طبيعة هذه الحجج من طريقة الاستدلال في الدرس اللغوي.

وقد بُني الدرس اللغوي في الكثير من استدلالاته على ثنائية الشاهد والمثال، وهي من الحجج المؤسسة لبنية الواقع، ولها حضور معتبر في كتاب الخصائص.

^١ ينظر: الحسين بنوهاشم، نظرية الحجج عند شايم بيرلمان، ص ٥٧-٥٨

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٥٩-٩٤

أولاً: المثال 'l'exemple': تقتضي الحاجة بالمثال وجود بعض الخلافات في القاعدة الخاصة، وهو يسعى لإثبات قاعدة من خلال: الاعتماد على حالة خاصة، وهذه الحالة قد تُكوّن قاعدة عامة، أو أن تكون قاعدة خاصة من خلال تلك الحالة^٢.

ثانياً: الشاهد 'l'illustration': يُستخدم الشاهد لبيان قاعدة سابقة مسلم بها ومعروفة، إذ يُقدر في هذه الحالة بوصفه تقنية للحضور، فهو يخلق للقاعدة نوعاً من الحضور في وعي المستمع عندما يدلل عليها بشاهد ما، لهذا السبب ينبغي للشاهد أن يستهدف المخيلة في حين ينبغي أن يكون المثال حقيقة^٣. وقد عدّ بيرلمان الشاهد من تقنيات الحجاج المؤسسة للواقع، مع أنه لا يؤسس لقاعدة، وإنما فقط يبين ويثبت تلك القاعدة المعروفة، ويكتف حضورها في ذهن السامع. ولعله أراد من ذلك أن القاعدة التي تحظى بعدد من الشواهد تكون أقوى من نظيرتها التي لا تملك هذه التقنية.

والمثال يسبق القاعدة؛ لأنه يؤسس لقاعدة جديدة، بينما يكون الشاهد تالياً للقاعدة؛ لأنه يشرح أو يثبت قاعدة موجودة^٤، فيكون المرور إلى القاعدة في الأول من خلال المثال، ولا يكون هناك مرور لها في الشاهد؛ لأنه يُؤتى به لمزيد إثبات لقاعدة موجودة.

ويرتبط مفهوما الشاهد والمثال بسمتين يوصف بهما النشاط اللغوي عامة، هما: الوصفية، والمعيارية، فالمعيار أداة تعليم، وهو وظيفة للمتكلم، يقوم فيه بتطبيق أسس معينة فُرِضت عليه، أما الوصف فهو أداة بحث، يقوم به الباحث، ويحاول التفتيش عن تلك الأسس التي يطبقها المتعلم ويبحث في خصائصها وسماتها^٥.

^١ ترجمه عبد الله صولة إلى المثل، وترجه الحسين بنو هاشم إلى الشاهد، واعتمدت في هذا البحث ترجمة عبدالله صولة؛ كونها أقرب إلى تناول الدرس العربي. ينظر: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص ٥٤

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٥٤ / وينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص ٨٣-٨٤

^٣ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص ٨٤-٨٥

^٤ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص ٥٥

^٥ ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١م، ص ١٢

ويرى تمام حسان أن القياس، والتعليل، والمستوى الصوابي من الأمور التي تتصل بالمعيار، وأن الاستقراء، والتقعيد، والنماذج اللغوية من الأمور المنهجية التي تتصل بالوصفية^١، والناظر في الخصائص يجد أن الجانب الوصفي يغلب على كثير من حجج ابن جني؛ نظرًا للطبيعية المنهجية الحجاجية التي يُسير بها كتابه، فهو غالبًا ما يبدأ بالنتيجة كما سبقت الإشارة، وهو يعلنها في العنوان في بعض الأحيان، فيكون الباب بعد ذلك سلسلة من الاستشهادات العقلية حول صحة تلك النتيجة، يضاف إليها عدد من النماذج اللغوية.

ولهذا أظن أن ابن جني يعد نفسه باحثًا في اللغة، وليس مستعملًا لها فحسب، فهو يعتني بوصف الحقائق اللغوية كما جاءت عند متكلم اللغة عناية تفوق عنايته بالمستوى الصوابي في اللغة؛ ولذلك تطرد عنده عبارات تعبر عن عنايته بالبحث في ما ينطقه مستعمل اللغة من العرب، كما أن يميل في بعض الأحيان في حججه إلى إطلاق العبارات التي تعبر عن الذائقية، وعن الطريقة المثلى في استعمال اللغة، لكن دون فرض أو توجب، مثل: "قالوا"، "قالت العرب"، "نطقوا"، "جمعوا"، "استكروهوا"، "استحسان"، "استعذاب".

ولا أظن أن ابن جني كان معيارياً؛ من حيث استهلاله الباب بالنتيجة في معظم المرات ثم الانطلاق منها للمثال، أو من حيث طبيعة الحجاج الجدلي الكائن في الخصائص؛ لأن النتيجة التي يبدأ بها ليست في محل التسليم دائماً، فقد تكون مما يُختلف فيه، ثم إن الشاهد الذي يُورده لا يستهدف المخيلة، وإنما يعتمد كثيراً على النماذج اللغوية من القرآن، أو الشعر، أو مأثور العرب، ولا يمكننا الحكم بمعياريته فقط بسبب ترتيب استدلاله الذي غالبًا ما يبدأ من الأسفل (النتيجة)، ثم يتجه للأعلى (الحجج).

ويتجه ابن جني للوصفية من خلال مروره من حالة خاصة يؤسس معها لقاعدة، وهذا ما تقوم عليه الوصفية، وما يحققه المثال l'exemple، فهو مثلاً في باب (في أن

^١ ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٣

المجاز إذا أكثر لحق بالحقيقة)، يبدأ بالنتيجة، فيقول: "اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة"^١، ثم يدل على ذلك بما جاء عن العرب من أفعال، فيقول: "وذلك عامة الأفعال؛ نحو قام زيد، وقعد عمرو، وانطلق بشر، وجاء الصيف وانهمز الشتاء. ألا ترى أن الفعل يفاد منه معنى الجنسية، فقولك : قام زيد، معناه: كان منه القيام أي هذا الجنس من الفعل، ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام..."^٢، ثم يخلص من هذا الاستعمال العربي إلى نفس القاعدة التي بدأ بها الباب، فيقول: "فإذا كان كذلك علمت أن قام زيد مجاز لا حقيقة، وإنما هو على وضع الكل موضع البعض للاتساع والمبالغة وتشبيه القليل بالكثير... فأعمالك إياه في جميع أجزائه يدل على أنه موضوع عندهم على صلاحه لتناول جميعها"^٣، فانطلق من استعمال خاص، ثم توصل لقاعدة، ثم عمّم هذه القاعدة على غيره من الاستعمالات اللغوية، فقال: "وإذا كان كذلك فمثله قعد جعفر، وانطلق مُجَّد، وجاء الليل وانصرم النهار..."^٤، وهذه التقنية من الانطلاق من الخاص إلى تأسيس القاعدة هي ما تمثل منهج الوصفية التي تعمد المثال لا الشاهد، يقول ابن جني في باب تدريج اللغة: "وذلك أن يشبه شيء شيئاً من موضع، فيمضى حكمه على حكم الأول، ثم يرقى منه إلى غيره"^٥، فالمرور من حالة خاصة، يؤسس حكماً جديداً للحالات أخرى.

ولا يعني ذلك تخلص ابن جني من المعيارية تماماً، فالمعيارية سمة طاغية على الكتب العربية عامة كما يقول تمام حسان، فهي طريقة للتناول، ومسلك للتعبير، ولا تكاد الكتب العربية تستغني عنه^٦، لكنه إن لجأ إلى المعيارية فهو ينتهجها غالباً بوصفها أداة للشرح والتوضيح، لا بوصفها وسيلة للاستدلال أو حجة على صحة نتيجة ما، مثل

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٤٤٧

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٤٤٧-٤٤٨

^٣ المصدر نفسه، ص ٤٤٨

^٤ المصدر نفسه، ص ٤٤٩

^٥ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٤

^٦ ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٢

قوله في توضيح ماهية علل الجواز : "ومن علل الجواز أن تقع النكرة بعد المعرفة التي يتم الكلام بها، وتلك النكرة هي المعرفة في المعنى، فتكون حينئذ مخيراً في جعلك تلك النكرة - إن شئت - حالاً، و- إن شئت - بدلاً، فتقول على هذا: مررت بزيد رجل صالح، على البدل، وإن شئت قلت: مررت بزيد رجلاً صالحاً، على الحال"^١، فصنع مثلاً يُجسد قاعدة معروفة، ولم يؤسس لقاعدة جديدة.

ومع تمجيد ابن جني للقياس، والصنعة، ووصفه ما يقع خارجهما بالشاذ^٢، إلا أن حجج الشاهد خاصة قد شكلت جزءاً كبيراً من استدلالاته في الخصائص؛ يعود ذلك إلى أنه عندما يتحدث عن القياس فهو يروم المستوى الاستعمالي، مثل قوله: "نحو قولك في قوله: كيف تبني من ضرب مثل جعفر: ضرب"^٣، لكنه عندما يشرع في تأسيس نتيجة، أو في الاحتجاج على صحة رأي أو مذهب، فهو غالباً ما يتوسل بالشاهد، وينتهج الوصفية.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٦٥

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢٣١، ٢٣٣

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١١٤

الفصل الثالث

المبحث الثاني

(الجهاز الحجاجي في الخصائص)

إذا تم القبول بمسلمة منهجية تقول إن: "كل النصوص و الخطابات التي تنجز بواسطة اللغة الطبيعية حجاجية، لكن مظاهر الحجاج و طبيعته و درجته تختلف من نص لنص، ومن خطاب لخطاب"^١، فإن هذا الاختلاف في مظاهر الحجاج سيكون بيّناً في ثلاثة مكونات يتضمنها كل خطاب، هي: الخبر، والحكم، والإقناع، وهذه المستويات هي ما تُكوّن الجهاز الحجاجي حسب باتريك شارودو، والحجاج بهذا المفهوم هو حاصل نصي عن توليفٍ بين مكونات مختلفة تتعلق بمقامٍ ذي هدف إقناعي^٢، ويمكن بالتالي تبعاً لهذا المفهوم نقل هذه المسلمة إلى شكل أكثر مرونة، وهو: أن "كل قول يمكن أن يكون حجاجياً من اللحظة التي يندرج فيها ضمن جهاز حجاجي"^٣.

واستكمالاً للبحث في دراسة العلاقة الحجاجية؛ لا بد أن يُدرس الجهاز الأكبر الذي يحتوي هذه العلاقة، وهو جهاز الإنجاز الحجاجي، والذي يتكون من^٤:

١- الخبر (الأطروحة): ويتكون من قول أو عدة أقوال تفيد شيئاً ما

عن ظواهر العالم من خلال علاقة حجاجية.

٢- الحكم: وهو الذي يرتبط باتخاذ موقف يتبناه الفاعل المحاجج

تجاه صحة الخبر.

^١ أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص ١٢

^٢ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٥٤، ١٦

^٣ باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٥٣

^٤ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٥٥-٦١

٣- الإقناع: وهو بمثابة منزلة لإطار البرهنة الإقناعي، ومن داخل هذا الإطار يُنشئ الفاعل ما يمكن تسميته بـ(المناظرة) بالالتجاء إلى أساليب مختلفة دلالية لإقامة دليل على الموقف المتبنى داخل الحكم.

أولاً: الخبر:

تشكل اللغة جزءاً كبيراً من هذا المكون من مكونات الإنجاز الحجاجي؛ إذ يتكون في أدنى مستوياته من : قولين، وعلاقة حجاجية تربط بينهما، وهو يتعلق بقولين أساسيين من مكونات العلاقة الحجاجية هما: قول الانطلاق، وقول الوصول.

ويمثل الخبر "الأطروحة الأساسية التي تقوم عليها العملية الحجاجية"^١، فهو المُشكل الذي يُطرح في موضوع ما ويحتل آراء متعددة، ولا يكفي لإقامة العملية الحجاجية وجود أقوال وعلاقة حجاجية تربط بينها؛ بل لابد من الربط بين الأقوال بالانتقال من أحدهما إلى الآخر في تسلسل معين وباستعمال أدوات لغوية معينة وهي ما يسميها بيرلمان بالحجة التداولية، وهي الحجة التي تمنح فرصة التقييم لعمل ما، أو حدث ما بالنظر إلى تتابعاتها المرغوبة أو غير المرغوبة.^٢

ومن المسلمات في الحجاج: "أن الباعث على المحاجة والجدل اختلاف الآراء وتقابل الأفكار والمعتقدات. ولذلك كان الحجاج، في الأساس، دفاعاً عن ملفوظ إزاء ملفوظات أخرى نقيضة"^٣. هذا التبادل القولي لا يمثل عملية حجاجية في حد ذاته بين المقدمات والنتائج، بل يجب أن تتضافر معه عناصر أخرى، مثل: الحكم، و الإقناع، لإنشاء عملية حجاجية متكاملة تحقق هدفها المنشود، "فالحجاج ... يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب"^٤.

^١ باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٥٦

^٢ ينظر: عبدالهادي الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص ٢٢٧

^٣ مصطفى الغرافي، البلاغة والإيديولوجيا، ص ٢١٧

^٤ أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص ١٣

وتأسيسًا على ما سبق فليس هناك حدود فاصلة ودقيقة بين عناصر الإنجاز الحجاجي في الخطابات المختلفة؛ فقد يتداخل الخبر مع الحكم والإقناع، فقد ورد في الخصائص: "باب في الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة"^١، هذا العنوان البسيط قد حمل عناصر الإنجاز الحجاجي الثلاثة، ففيه خبر يتمثل في: أن جماعة اعتقدت فساد علل النحويين، ويمثل هذا قول الانطلاق، وهو مُعطى يُصوّر معلومة من العالم الواقعي، ويضم أيضًا قول الوصول وهو: أن اعتقاد هؤلاء الجماعة باطل، ويُفهم ذلك من كلمة (الرد)، ومن الكلمة ذاتها أيضًا يتبين الحكم؛ فابن جني يقف هنا (ضد) هذا الخبر، ويحمل هذا العنوان أيضًا الإقناع الذي يتمثل بالحجة التي هي: ضعف معرفة هؤلاء الجماعة بالعلة.

وغالبًا ما تمر الأقوال التي تمثل الحكم في الخصائص بنمط يسمح بتنامي الخطاب؛ لأن غلبة النمط الحوارية في كثير من الأبواب تستلزم وجود مُتحوارين، الأول هو ابن جني، والثاني مُحاوِر افتراضي يسأل ابن جني ويحاول نقض حُججه، ومقام التبادل في هذا الحوار **أحادي**^٢؛ لأن ابن جني (الفاعل المحاجج) هو الذي يقوم ببناء الخطاب الحجاجي في كليته، فهو الذي يقوم بإعلان الخبر، وهو الذي يتخذ موقفًا، ويقوم أيضًا بتبرير هذا الموقف، ويخلق بنفسه فاعلاً وهميًا مُعترضًا أو مُتسائلًا (الفاعل الهدف)، ثم يقوم بالرد عليه، وهذا المقام يتناسب مع فرضية أن الحجاج في كتاب الخصائص حجاجٌ جدلي.

ويظهر أن ابن جني يعد المُخاطب متميزًا في قدراته العقلية؛ لأنه يحاول استقصاء جميع أوجه الاعتراض على الحجة، وإن كلفه ذلك أحيانًا الخروج عن الموضوع أو إقحام عدد من القضايا في قضية واحدة، ويمكن التمثيل لذلك بقضية ترك أخذ اللغة عن أهل البادية^٣ التي يمكن أن نحللها حجاجيًا كالتالي:

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٤

^٢ المقام الأحادي الحوار: هو المقام الذي يقتضي من الفاعل الذي يبني النص أن يضع بنفسه منزلة للحكم والخبر،

وينشئ الحدث الإقناعي، ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٦٦

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٥-١٠

○ المقدمة (قول الانطلاق): أن اللغة تؤخذ من أهل البادية ولا تؤخذ من أهل الحاضرة.

○ النتيجة (قول الوصول): يجب ترك الأخذ عن أهل البادية.

○ الحججة (قول العبور): الاختلال والفساد الذي أصاب لغة أهل البادية، والذي وصل إلى من يُعد مثلاً للفصاحة.

وفي ذات الباب ناقش قضايا أخرى مثل: الجمع بين الهمزتين في كلمة واحدة، كسر ياء المتكلم للحرف قبلها، وتحريك الحرف الحلقي، و لا تنفصل هذه القضايا تمامًا عن القضية الأساس؛ فهي ترتبط بالموضوع من جهة أنها أمثلة لبعض الاختلالات التي حدثت في كلام أهل البادية.

وقد حاول ابن جني من خلال تكرار النتيجة أن يحافظ على عضوية الموضوع؛ فيقول في عنوان الباب: "في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر"، ثم يقول في موضع لاحق: "وما كانت هذه سبيله وجب اطّراحه والتوقف عن لغة من أورده"^٢، ويقول أيضًا في موضع آخر: "فكان ما يروى من أغلاط الناس منذ ذلك إلى أن شاع واستمر فساد هذا الشأن مشهورًا ظاهرًا، فينبغي أن يستوحش من الأخذ عن كل أحد"^٣، ويقول في آخر الباب: "فإياك أن تُخِلِدَ إلى كل ما تسمعه، بل تأمل حال مُورِدِهِ، وكيف موقعه من الفصاحة"^٤، والغرض الحجاجي من هذا التكرار هو التأكيد على حضور النتيجة في ذهن المتلقي، وتفادي انصراف الباب عن القضية التي يناقشها.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٥

^٢ المصدر نفسه، ص ٧

^٣ المصدر نفسه، ص ٨-٩

^٤ المصدر نفسه، ص ١٠

وتنبغي الإشارة إلى أن باتريك شارودو رأى أن الفاعل المحاجج يستخدم في عملية الإنجاز الحجاجي عقليين^١:

١- عقل استدلالي: ينهض على آلية تتصل بإقامة روابط سببية مختلفة بين قولين أو عدة أقوال.

٢- عقل إقناعي: ينهض على آلية تتصل بإقامة الدليل بواسطة الحجج التي تبرر الأخبار التي تحصل عن العالم والروابط السببية التي تصهر الأقوال فيما بينها. وتسمى هذه الآلية بالإنجاز الحجاجي.

يستخدم الفاعل العقل الأول في بناء الخبر والحكم، بينما يلجأ إلى العقل الإقناعي عندما يُدلل على موقفه من الخبر. وأظن أن الفصل بين العقليين الاستدلالي والإقناعي فصل غير دقيق على المستوى التطبيقي؛ فالحجاج خطابٌ متعددٌ، يقع في مجالات كثيرة، ويدخل في مستوى الإنجاز اليومي للأحاديث البسيطة، وليس هناك شكل معين تسير فيه عناصر العلاقة الحجاجية، سواء أكانت نتائج، أم حججاً، أم مقدمات، فقد تتقدم النتيجة على الحجة من قبيل^٢:

المقدمة (قول الانطلاق): على الرغم من الاختلاف بين نحاة البصرة والكوفة في كثير من الأحكام النحوية، إلا أنهم قد يتفقون أحياناً على حكم نحوي.

النتيجة (قول الوصول): اتفاق أهل البلدين على حكم نحوي حُجة .

الحجة (قول العبور): الأمة لا تجتمع على خطأ.

^١ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ١٧

^٢ هذا المثال من باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة؟، ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١،

وقد تتقدم الحجة على النتيجة، ويمكن صياغة المثال السابق على النحو التالي:

المقدمة (قول الانطلاق): على الرغم من الاختلاف بين نحاة البصرة والكوفة في كثير من الأحكام النحوية، إلا أنهم قد يتفقون أحياناً على حكم نحوي.

الحجة (قول العبور): الأمة لا تجتمع على خطأ.

النتيجة (قول الوصول): اتفاق أهل البلدين على حكم نحوي حجة .

فالحجة قد تغيب في سياقات، و قد تغيب النتيجة في سياقات أخرى؛ لأسباب متعددة، هذا كله يُرَّجَح أن العقليين الاستدلالي والإقناعي يتقاطعان أثناء العملية الحجاجية، وأن الفصل الواقعي بينهما غير ممكن.

والخبر في الخصائص غالباً ما يتقدم على الحكم والإقناع، سواء أكان نتيجة أم مقدمة، فابن جني قد يُغَيَّب الحجة في بعض الأحيان، لكنه لا يفعل ذلك مع الخبر؛ إذ غالباً ما يبدأ بالنتيجة، وهذا التقديم المتواتر للخبر، وللنتيجة تحديداً يعضد شكل الحجاج في كتاب الخصائص، وهو الحجاج الجدلي.

ثانيًا: الحكم:

يملك الفاعل المحاجج دورًا مركزيًا في الحجاج؛ فهو الذي يُصدر الأقوال، ثم ينشئ بينها العلاقات، ويتحكم في طريقة بناء الخطاب وتسلسل الأقوال، وهذا ما يُطلق عليه ب(الخبر)، ثم يختار بين اتخاذ موقف أو عدمه، وهذا هو (الحكم)، ثم يقوم بإنشاء البرهنة تبعًا للحكم الذي اختاره.

يتعلق الحكم بالموقف الذي يختاره الفاعل المحاجج من المقدمة، فقد يختار أن يقوم بإنشاء موقف إما أن يتفق فيه مع الحكم، أو يختلف معه، وقد يقوم بإنشاء مُوازنة بين الرأيين المتضادين، أو يختار عدم اتخاذ موقف من ذلك الحكم^١.

ولا يعني عدم اتخاذه موقفًا أنه ليس مع الخبر أو ضده، لكن يعني أن موقفه هنا غير مُعلن؛ فهو سيقوم غالبًا بوضع الخبر موضع سؤال^٢، وهذا السؤال سيجره هو والمتلقي إما لقبول الخبر أو رفضه، والغرض من هذا السؤال غالبًا ما يكون إظهار الحيادية^٣ التي تصنع القبول لحججه التالي لذلك السؤال.

والمتأمل في الخصائص يجد أن موقف ابن جني يميل إلى الإعلان، فحتى لو وضع القضية في شكل سؤال؛ فإن موقفه غالبًا سيكون مُعلنًا مباشرة بعد السؤال، يوضح الجدول التالي الأسئلة^٤ التي تطرح إشكاليات في عناوين^٥ كتاب الخصائص، والكلام الذي تلاها مباشرة:

^١ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٥٦

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٥٧

^٣ قد تكون هذه الحيادية حقيقة، وقد تكون زائفة.

^٤ تم استثناء سؤال: باب القول على اللغة وماهي؛ لأنه يتعلق بالماهية ولا يحكي قضية إشكالية.

^٥ يعود اختيار العناوين إلى أنها تمثل قضية أساسية، وليس قضية فرعية داخل باب ما، وإلى أنها تمثل المقدمة التي سيدخل منها ابن جني إلى حججه.

م	السؤال في عنوان الباب	المقدمة التالية له مباشرة
١.	"باب القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح" ^١ .	"هذا موضع محوج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف" ^٢ .
٢.	"باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية" ^٣ .	"اعلم أن علل النحويين - وأعني بذلك حداقهم المتقنين، لا ألفافهم المستضعفين - أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفقهين" ^٤ .
٣.	"باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة" ^٥ .	"اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص. والمقيس على المنصوص..." ^٦ .
٤.	"باب في هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أو لا؟" ^٧	"سألت أبا علي رحمه الله عن هذا فقال: كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم. فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا، وما حظرته عليهم حظرته علينا" ^٨ .

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٠-٤٨

^٢ المصدر نفسه، ص ٤٠

^٣ المصدر نفسه، ص ٩٦-٤٨

^٤ المصدر نفسه، ص ٤٨

^٥ المصدر نفسه، ص ١٨٩-١٩٤

^٦ المصدر نفسه، ص ١٨٩

^٧ المصدر نفسه، ص ٣٢٣-٣٣٥

^٨ المصدر نفسه، ص ٣٢٣

<p>"أخبرنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد قال: سألت خليلًا عن الذين...^٢"</p> <p>ثم قال لاحقًا: "فقد علمت بهذا أن صاحب لغة قد راعى لغة غيره. وذلك لأن العرب وإن كانوا كثيرًا منتشرين... فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة. فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته، كما يراعي ذلك من مهم أمره. فهذا هذا"^٣.</p>	<p>٥. "باب في العربي يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها، أم يلغياها وي طرح حكمها؟"^١</p>
<p>"قد تقدم في أول الكتاب القول على اللغة: أتواضع هي أم إلهام. وحكينا وجوزنا فيها الأمرين جميعًا. وكيف تصرفت الحال وعلى أي الأمرين كان ابتداءؤها فإنها لا بد أن يكون وقع في أول الأمر بعضها، ثم احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه، لحضور الداعي إليه، فزيد فيها شيئًا فشيئًا..."^٥.</p>	<p>٦. "باب في هذه اللغة: أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط؟"^٤</p>
<p>"اعلم أنه متى اجتمع معك في الأسماء والأفعال حرف أصل ومعه حرفان مثلان لا غير فهما أصلان، متصلين كانا أو منفصلين..."^١.</p>	<p>٧. "باب في المثليين: كيف حالهما في الأصلية والزيادة، وإذا كان أحدهما زائدًا فأيهما هو؟"^٦</p>

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٤

^٢ المصدر نفسه، ص ١٤

^٣ المصدر نفسه، ص ١٥-١٦

^٤ المصدر نفسه، ص ٢٨-٤٠

^٥ المصدر نفسه، ص ٢٨

^٦ المصدر نفسه، ص ٥٦-٦٩

<p>"أما مذهب سيبويه فإن الحركة تحدث بعد الحرف. وقال غيره: معه. وذهب غيرهما إلى أنها تحدث قبله"^٣.</p> <p>ثم قال لاحقاً: "فمما يُشهد لسيبويه..."^٤، وقال: "والذي يُفسد كونها حادثة مع الحرف..."^٥،</p> <p>وقال أيضاً: "وإذا فسد هذا لم يبق إلا ما ذهب إليه سيبويه"^٦.</p>	<p>"باب محل الحركات من الحروف أم قبلها أم بعدها"^٢.</p>	<p>٨.</p>
<p>"اعلم أن المذهب في هذا ونحوه أن يعتقد الأقوى منهما مذهباً. ولا يمتنع مع ذلك أن يكون الآخر مراداً وقولاً"^٨.</p>	<p>"باب في اللفظ يرد محتملاً لأمرين أحدهما أقوى من صاحبه أيجازان جميعاً فيه، أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه؟"^٧</p>	<p>٩.</p>
<p>"اعلم أن القياس يسوغك أن تبدأ بأي العملين شئت: إن شئت بالأول، وإن شئت بالآخر"^{١٠}.</p>	<p>"باب في التغييرين في المثال الواحد بأيهما يبدأ"^٩.</p>	<p>١٠.</p>

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٥٦

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٢١-٣٢٧

^٣ المصدر نفسه، ص ٣٢١

^٤ المصدر نفسه، ص ٣٢٢

^٥ المصدر نفسه، ص ٣٢٢

^٦ المصدر نفسه، ص ٣٢٢

^٧ المصدر نفسه، ص ٤٨٨-٤٩٢

^٨ المصدر نفسه، ص ٤٨٨

^٩ ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٨-١٧

^{١٠} المصدر نفسه، ص ٨

<p>"وذلك نحو عنتر وعنبر وحنزقر وحنبتز وبلتع وقرناس. فالمذهب أن يحكم في جميع هذه النونات والتاءات وما يجري مجراها - مما هو واقع موقع الأصول مثلها - بأصليته، مع تجويزنا أن يرد دليل على زيادة شيء منه..."^٢.</p>	<p>"باب في الشيء يرد فيوجب له القياس حكما ويجوز أن يأتي السماع بضده أيقطع بظاهره، أم يتوقف إلى أن يرد السماع بجليّة حاله"^١.</p>	<p>١١٠</p>
---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------

فالغالب في الجدول السابق هو إعلان اختيار الموقف الذي ينحاز له بعد السؤال مباشرة، في كل المواضع تقريبًا ماعدا: الموضوع الخامس من الجدول، وحتى في هذا الموضوع عاد بعد المقدمة لإعلان رأيه بوضوح شديد كما هو موضح في الجدول.

ومن شدة وضوح موقف ابن جني في كثير من هذه الإشكالات أنه حتى في المسائل التي يجوز فيها وجهان، نراه يوضح ميله من خلال اختياره للألفاظ التي تحمل دلالات الاصطفاء، مثل: (المذهب) أو (القياس)، كما في المقدمات التي تلت الأسئلة في المواضع: التاسع، والعاشر، والحادي عشر من الجدول. وقد جزم قاطعًا في كل المواضع تقريبًا ماعدا: الأول، والثاني.

ثم إنه استخدم عبارات ذات شحنة حجاجية عالية الحدة توحى بقطعه في موقفه وعدم تردده، مثل قوله: "وكيف تصرفت الحال وعلى أي الأمرين كان ابتداءؤها فإنها لا بد أن يكون..."^٣، وقوله: "فمما يُشهد... وإذا فسد هذا لم يبق إلا ما ذهب إليه سيبويه"^٤، ولجأ أيضًا لبعض التراكيب التي تؤدي إلى نفس الغرض، مثل: أسلوب الأمر (اعلم)، وأسلوب القصر (إنما). ووضوح الموقف بشكل كبير يوحي بفرض الرأي، وهو ما يعضد شكل الحجاج في كتاب الخصائص.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٦٦-٦٧

^٢ المصدر نفسه، ص ٦٦

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢٨

^٤ المصدر نفسه، ص ٣٢٢

أما عن اتجاه موقف ذلك الفاعل المحاجج، فإنه يذهب في ثلاثة اتجاهات، فإما أن يتوجه إلى: الخبر: فيكون معه أو ضده، أو إلى: باث الخبر: فيقبل وضعه، أو يرفضه، أو يقوم بالتبرير له عندما يحتمل وضعه الشك، أو إلى الحجاج الخاص به: فيلتزم به فيكون حجاجه حجاجاً جدلياً، أو لا يلتزم به فيكون حجاجه برهانياً^١.

وبالنسبة لموقفه الموجه إلى الخبر سواء أكان معه أم ضده، فإن المتوقع من الفاعل في النصوص العلمية التي تقوم على الحيادية هو توضيح موقفه من الخبر بشكل صريح.

وهذا الوضوح في الموقف تجاه الخبر متواتر في الخصائص بشكل كبير، فابن جني تبعاً للجدول السابق يصرح بموقفه تجاه الخبر بشكل جلي، وقد يكون حاداً أحياناً. فقد يقف ضد الخبر^٢، فيدخل الموضوع متحاملاً على الطرف الآخر، مضمناً النص ألفاظاً تنطق بوضوح بموقف ابن جني، مثل: الرد على، ادعى، وفي مواضع أخرى كثيرة قد يقف مع الخبر، كما في الموضوعين: الثالث والرابع في الجدول السابق.

وقد يُوازن بين الأمرين إن اعتقد صوابهما معاً مثل الموضوع: التاسع، والعاشر، والحادي عشر في الجدول السابق، وقد تكون الموازنة تامة دون ترجيح أحد الرأيين، مع العناية بدلائل كل قول كما في الموضوع العاشر، لكن الغالب في كتاب الخصائص في الأحكام التي يُوازن فيها ابن جني بين أمرين هو تغليب أحد الأمرين، كما في الموضوعين: التاسع، والحادي عشر، مع استخدام عبارات توحى بغلبة أحد الرأيين، مثل: المذهب، والقياس، والأصل، وغلبة هذا الجانب تتناسب أيضاً مع شكل الحجاج الجدلي.

أما بالنسبة لموقفه الموجه إلى باث الخبر، فابن جني يُقيم موقفه في اتجاهين، إما قبول الوضع، أو تبرير ذاتي للوضع، أما بالنسبة للموقف الذي يعبر فيه عن رفض الخبر

^١ ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٦٨-٧٣

^٢ مثل باب في الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة، وباب باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني، ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٤،

بناء على قائله فلم يُوجه ابن جني بشكل مباشر اتهامًا لذات مخصوصة بصرف النظر عن قائلها، فهو من هذه الناحية يتميز بحِياد كبير.

أما بالنسبة لموقف ابن جني الذي يتعلق بقبول الوضع، فلهذا العنصر حضور معتبر في علوم اللغة؛ إذ يملك كثير من علماء اللغة سلطة حجاجية بالغة، فالقول الذي يصدر عن سيوييه -مثلاً- لا يشبه القول الذي يصدر عن غيره، وفي مواضع كبيرة عُدت أحكام علماء العربية بمثابة اللازم الذي لا يُجاد عنه، وهذا النوع من المواقف يأخذ بحسابه "أن الأطراف الأخرى لها ما يكفي من النفوذ والثقة والمعرفة للمشاركة في إطار الإشكالية"^١.

ولم يخرج ابن جني عن هذه التيمة السائدة في علوم اللغة؛ يدلنا على ذلك حضور بعض الأسماء في استدلالات ابن جني، كما في المواضع: الرابع، والخامس، والثامن من الجدول السابق، فقد صدر ابن جني فيها اسم باث الخبر، وجعل هذا التصدير بمثابة التشريع لما سيقوله تاليًا، ومدخلًا يدخل منه إلى إقناع المتلقي؛ حيث أورد له أسماء لها حضور قوي في الدرس اللغوي، ويبدو أنه يُميز بين نوعين من صنّاع الخبر، فهناك: الحُذاق المتقنين، وهناك الألفاف المستضعفين كما في رقم^٢، ويمثل النوع الأول السلطة التي تبعث على التأثير في الفاعل الهدف.

أما فيما يتعلق بموقف ابن جني الذي يبرر الوضع تبريرًا ذاتيًا، والذي يُبرر فيه الفاعل المحاجج وضعه أو وضع شخص آخر؛ لأن الوضع ربما كان في موضع شك^٣، فلم يلجأ ابن جني إلى هذا التبرير إلا في مواضع بسيطة، مثل: المواضع التي تتعلق براوي اللغة الذي يثق فيه؛ لأن الشك وراؤد في مثل هذه القضايا خاصة وأن زمن الاحتجاج قد مضى.

^١ باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٧٠

^٢ ينظر: المرجع نفسه، ص ٧٠

وقد استأنس ابن جني في مواضع عديدة بالشجري، وكان يسأله فيما أشكل عليه، ويناقشه في بعض القضايا، فهو يقول في موضع: "وسألت الشجري يوماً فقلت: يا أبا عبد الله، كيف تقول ضربت أخاك؟ فقال: كذاك..."^١، ويقول في آخر: "أنشدنا مرة أبو عبد الله الشجري شعراً لنفسه، فيه بنو عوف، فقال له بعض الحاضرين: أتقول: بنو عوف، أم بني عوف؟ شكاً من السائل في بني وبنو..."^٢، إلى غير ذلك من المواضع التي استعان فيها ابن جني بالشجري.

فالشجري ممن يثق بهم ابن جني، وممن قد يُوضع موضع شك؛ بوصفه راوياً للغة في غير زمن الاحتجاج؛ ولذلك فإنّ ابن جني مضطر إلى تبرير وضعه، فتراه يقول تارة: "وذلك أن الأعرابي الفصيح إذا عدل به عن لغته الفصيحة إلى أخرى سقيمة عافها ولم يبهأ بها. سألت مرة الشجري أبا عبد الله ومعه ابن عم له دونه في فصاحته..."^٣، فقدم للشجري على أنه من الأعراب الفصحاء، وأعلى من شأن فصاحته عندما قارنه بابن عمه، وهذا ما يؤكد على أن اختيار ابن جني للشجري لم يكن عشوائياً بل كان انتقاء؛ حيث فرق بينه وبين ابن عمه في الفصاحة مع أنهما من نفس المكان وفي نفس الزمان.

وتبلغ ثقة ابن جني بالشجري أنه يبرر له حتى لو سمع منه ما يظنه خرج عن لغته، وحتى لو وقع فيما لا يظنه ابن جني قياساً، فيقول مثلاً: "وسمعت الشجري أبا عبد الله غير دَفْعَة يفتح الحرف الحلقي في نحو يعدو وهو محموم ولم أسمعها من غيره من عقيل، فقد كان يرد علينا منهم من يؤنس به ولا يبعد عن الأخذ بلغته. وما أظن الشجري إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقي بالفتح إذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين... وهذا قد قاسه الكوفيون، وإن كنا نحن لا نراه قياساً"^٤، فهو يعتذر له، ثم يوضح مشروعية لغته في مذاهب أخرى.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٥٠

^٢ المصدر نفسه، ص ٧٨

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٢٦

^٤ المصدر نفسه، ص ٩-١٠

أما بالنسبة لموقفه الموجه إلى **الحجاج**، فإن ابن جني اختار الالتزام بالحجاج على الرغم من أن كتاب الخصائص يعد من النصوص العلمية، والذي يقتضي من الفاعل حجاجاً استدلالياً، وهو ذلك النوع من الحجاج الذي لا ينخرط فيه الفاعل شخصياً، فيتعامل معه عن بُعد متجنباً وضع الآخرين موضع شك^١. وقد سبق الحديث عن انضواء ابن جني تحت الإشكالية التي يُدافع عنها^٢.

ثالثاً: الإقناع:

يمكن تصنيف خطاب ابن جني في الخصائص في شكلين :

الأول منهما يمكن أن يتجسد في الأبواب التي ناقش فيها المسائل الخلافية، مثل: (باب القول على أصل اللغة إلهام أم اصطلاح؟)^٣، و(باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية؟)^٤، و(باب في الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة)^٥، وغيرها من أبواب الخصائص التي يكون فيها الخلاف ظاهراً.

ففي (باب في اللفظ يرد محتملاً لأمرين أحدهما أقوى من صاحبه أيجازان جميعاً فيه، أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه؟)^٦ مثلاً، يناقش ابن جني قضية: القولين القولين أو الرأيين في اللفظة الواحدة المختلفين في القوة، فأحدهما قوي، والآخر دونه، ويعرض لادعاءين متضادين فيها، وهما^٧:

^١ هذا المفهوم للحجاج الاستدلالي لباتريك شارودو، ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٧٣

^٢ في الفصل الأول المبحث الثالث.

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٤٠

^٤ المصدر نفسه، ص ٤٨

^٥ المصدر نفسه، ص ١٨٤

^٦ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٤٨٨

^٧ المصدر نفسه، ص ٤٨٨-٤٩٢

الأول: ويمثل المذهب العام في هذه القضية وهو: أن ما يُؤخذ به هو الأقوى مذهبًا، ويطرح الرأي الآخر.

والثاني: وهو رأي ابن جني الذي يتفق في أخذ المذهب الأقوى، لكن مع إجازة القول الآخر وعدم اطراحه.

فطرفا النقيض في القضية الخلافية هنا هما:

(النتيجة المضادة "لا:ن") لا نأخذ الرأي الأضعف ⇐ (النتيجة "ن") نأخذ الرأي الأضعف.

ثم يدل على رأيه بطريقتين:

١- الأول: وهو استدلال تطبيقي عن طريق حشد مجموعة من الشواهد الشعرية التي استقرأ من خلالها جواز القول بالرأيين معًا.
٢- الثاني: وهو استدلال عقلي، يقول فيه: "ألا ترى أن العالم الواحد قد يجيب في الشيء الواحد أجوبة وإن كان بعضها أقوى من بعض، ولا تمنعه قوة القوى من إجازة الوجه الآخر، إذ كان من مذاهبهم و

٣- على سمت كلامهم، كرجل له عدة أولاد، فكلهم ولد له ولاحق به، وإن تفاوتت أحوالهم في نفسه^١. فالعالم عندما يفتي برأيين مختلفين لا يعني ذلك اضطراب المسألة عنده، بل يعني جواز الأمرين معًا.

وغالبًا ما يسلك ابن جني هذا الطريق في عرض القضايا الخلافية، فيعرض المسألة من طرفين اثنين:

نتيجة "ن" ⇐ لا نتيجة "لا (ن)"

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٤٩١

ثم يدل على اختياره بمجموعة من الاستدلالات.

والثاني منهما متمثل في تلك الأبواب التي تكون في ظاهرها عرضاً لمسائل علمية مختلفة حول اللغة، مثل: (باب القول على اللغة وما هي؟)^١، و (باب في مقاييس العربية)^٢، و (باب في اختلاف اللغات وكلها حجة)^٣، ويدخل فيها تلك الأبواب التي يؤسس فيها ابن جني لأفكاره الخاصة ونظرياته المختلفة، خاصة تلك التي تدور حول المعنى، مثل: (باب في الاشتقاق الأكبر)^٤، و(باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)^٥، و (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)^٦، وأيضا تلك الأبواب التي عرض فيها ابن جني لأصول النحو وما يتعلق بها من علل وأحكام، مثل: (باب في تقاود السماع وتقارع الانتزاع)^٧، و(باب في الاستحسان)^٨، وغيرها.

ويمكن إدراج الشكل الأول تحت مسمى: (الحجاج الصريح)؛ حيث إن "بنية النص تتوزعها أطروحتان متصادمتان"^٩. أما الشكل الثاني فهو (حجاج ضمني)؛ إذ أن النص يتخذ فيه "بنية حجاجية أحادية أساسها أطروحة واحدة؛ مدحوضة أو مدعومة. يحشد لها المتكلم طائفة من الحجج تنتظم وفق نسق دال ومخصوص يمكن من تحصيل المطلوب"^{١٠}.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٣

^٢ المصدر نفسه، ص ١٠٩

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٠

^٤ المصدر نفسه، ص ١٣٣

^٥ المصدر نفسه، ص ١٤٥

^٦ المصدر نفسه، ص ١٥٢

^٧ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٠٠

^٨ المصدر نفسه، ص ١٣٣

^٩ مصطفى الغراني، البلاغة والإيديولوجيا، ص ٢١٧

^{١٠} المرجع نفسه، ص ٢١٧

ويتناسب كلا الشكلين مع الحجاج الجدلي ومع وضوح موقف ابن جني في معظم القضايا؛ حيث إن تيمة الاختلاف في الشكل الأول توجه النص وجهة يضطر معها الفاعل المحاجج إلى فرض هيمنته، ومساحة فرض الرأي في الشكل الثاني كبيرة أيضًا؛ لأن الفاعل المحاجج يُقضي وجهة النظر المعارضة عن النص، ويكتفي برأيه الذي يسرد له الدلائل.

وسمات الخطاب الحجاجي في الشكل الأول تكون عادة أكثر وضوحًا من الشكل الثاني؛ بسبب طبيعتها الخلافية التي تُبرز شكل الحجاج، مع أن ابن جني يفعل الحجاج في كلا الصنفين على حد سواء، فهو إما أن يحاجج لمذهب أو رأي، أو يحاجج لفكرة علمية يثبت صحتها وشرعيتها بكل ما أوتي من قوة عقلية وتعليلية. ذلك أن "الاعتراض ليس مبدأ مطلقًا يشمل كل موضوعات القول، إذ لا يمكن للجدلي أن يضع كل شيء موضع السؤال، ولا هو يجادل من اتفق من الناس..."^١.

ويمكن التمثيل لحجاجية الشكل الثاني بباب مقاييس العربية، الذي بدأ فيه ابن جني بضربين من المقاييس، هما: المعنوي واللفظي^٢. وهو باب في ظاهره تقرير، لكن يلحظ أن ابن جني في أول الباب بعد أن قرّر أن القياس المعنوي أقوى وأوسع من نده اللفظي، راح يسرد الأدلة على صحة ما ذهب إليه، من قبيل:

١- "أن الأسباب المانعة من الصرف تسعة واحد منها

لفظي... والثمانية الباقية كلها معنوية"^٣.

٢- أن الاعتبارات التي لأجلها يُرفع الفاعل ويُصب المفعول

به اعتبارات معنوية، فأنت تقول: "رفعت هذا لأنه فاعل، ونصبت

هذا لأنه مفعول. فهذا اعتبار معنوي لا لفظي"^٤.

^١ عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي، ص ٨٢

^٢ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٠٩

^٣ المصدر نفسه، ص ١٠٩

^٤ المصدر نفسه، ص ١٠٩

٣- أنه يمكن إرجاع المقاييس اللفظية في كثير من الأحيان إلى المقاييس المعنوية، ذلك أن "القياس اللفظي إذا تأملته لم تجده عاريًا من اشتغال المعنى عليه"^١.

إلى غير ذلك من الحجج التي تعضد ما قرره ابن جني في بداية الباب من أن القياس المعنوي أقوى وأوسع من القياس اللفظي.

وفي الباب ذاته يدافع ابن جني عن فكرته ويحيب عن سؤال لم يُطرح بقوله: "وإنما قال النحويون: عامل لفظي، وعامل معنوي، ليروك أن بعض العمل يأتي مسببًا عن لفظ يصحبه، كمررت بزيد..."^٢؛ وذلك ليسد على المعارض أي باب للاعتراض. واللافت للنظر أن ابن جني قد استعمل الحجاج في شكله الواضح في بابٍ من المفترض أنه تقريري تعليمي يفصل فيه لأنواع المقاييس، لكن الشكل الحجاجي تسلسل إلى هذا الباب بعدما فتح ابن جني قضية المفاضلة بين المقاييس اللفظية والمعنوية.

وقد فرض مقام التبادل الأحادي الحوار الذي يركن إليه ابن جني في الخصائص إلى حد كبير نوعًا محددًا من الحجاج تتضح فيه مكونات الإنجاز الحجاجي، يتوافر النص فيه على الخبر، والحكم، والإطار الإقناعي، ويسمى بالحجاج الصريح^٣، الذي يقل معه التأويل الذي يهدف إلى توضيح هذه العناصر.

ففي باب (في الحكم يقف بين الحكيمين) يقول ابن جني: "وذلك نحو كسرة ما قبل ياء المتكلم في نحو غلامي وصاحبي. فهذه الحركة لا إعراب ولا بناء. أما كونها غير إعراب فلأن الاسم يكون مرفوعًا ومنصوبًا وهي فيه؛ نحو هذا غلامي ورأيت صاحبي،

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١١٠

^٢ المصدر نفسه، ص ١٠٩

^٣ الصريح والضماني هنا يختلفان عن الصريح والضماني فيما سبق، إذ المقصود بالصرحة هنا: توافر النص على مكونات الإنجاز الحجاجي، وهذا النوع يقابل حجاجًا آخر هو الحجاج الضمني، وهو الذي لا يضبط النص فيه الإطار الحجاجي، وينبغي معه في غالب الأحيان تأويل الأقوال البسيطة في النص بصفاتها متوافرة على عناصر الإنجاز الحجاجي، ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٦٦-٦٧

وليس بين الكسر وبين الرفع والنصب في هذا ونحوه نسبة ولا مقارنة. وأما كونها غير بناء فلأن الكلمة معربة متمكنة، فليست الحركة إذن في آخرها ببناء؛ ألا ترى أن غلامي في التمكن واستحقاق الإعراب كغلامك وغلامهم وغلامنا. فإن قلت: فما الكسرة في نحو مررت بغلامي، ونظرت إلى صاحبي؛ إعراب هي، أم من جنس الكسرة في الرفع والنصب؟ قيل: بل هي من جنس ما قبلها، وليست إعرابًا؛ ألا تراها ثابتة في الرفع والنصب. فعلمت بذلك أن هذه الكسرة يكره الحرف عليها، فيكون في الحالات ملازمًا لها...".^١

يشتمل النص السابق على كل مكونات الإنجاز الحجاجي كالتالي:

أولاً: الخبر: -قول الانطلاق: ومؤداه أن الحكم يقف بين الحكمين.

- قول الوصول: ومؤداه أن كسرة الياء ما قبل ياء المتكلم من جنس

ما قبلها، وليست إعرابًا أو بناء.

ثانيًا: الحكم: يقف ابن جني مع الخبر (قول الانطلاق)، ويجعل الطرف المتحاور

متسائلًا مستزيدًا لمزيد من الإيضاح للحكم الذي بناه.

ثالثًا: الإقناع: ويظهر في قيامه بالتدليل على نفي كون حركة ما قبل ياء المتكلم

حركة إعراب؛ فهي لا تتغير بتغير موقع الفعل أو العوامل الداخلة عليه، ولا حركة بناء؛

لأن الكلمة معربة في المواضع التي لا تكون فيها مع ياء المتكلم، وإنما ثبتت لها هذه

الحركة بفعل ياء المتكلم فقط، وتتواتر هذه إستراتيجية الحجاج الصريح في الكثير من

أبواب الخصائص خاصة في الحجاج الذي تتصادم فيه أطروحتان.

واللافت للنظر أن كل مكونات الإنجاز الحجاجي في كتاب الخصائص تميل إلى

الإظهار، فالحجاج الصريح يؤمن بإظهار الخبر، وموقف ابن جني من الخبر يميل إلى

الإعلان، والإقناع يتلوها مباشرة أو يتداخل معهما. وهذا الإظهار يتلاءم مع شكل

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣٥٦-٣٥٧

الحجاج الجدلي في كتاب الخصائص، ويُحيلنا إلى أن ابن جني يميل إلى حمل مخاطبه على الإيمان بصحة دعواه من خلال اعتماده على حجج تُخاطب العقل أكثر من مخاطبتها للوجدان، وهو ما يُسمى بالافتناع Conviction وقد عدّه بيرلمان حجاجًا يهدف إلى الحصول على قبول أي كائن ذي عقل، وهو ما يتشكل منه المستمع الكوني^١.

^١ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ١٥ - ١٦

الفصل الثالث

المبحث الثالث

(بعض الآليات الحجاجية في كتاب الخصائص)

لقد كان الإقناعُ لبنةً مهمةً في بناء الجهاز الحجاجي، ولكي يُنشئ الفاعل المحاجج الإطار الإقناعي لا بُدَّ له من أساليب تعود في معظمها إلى اللغة؛ ليعطي حججه متانةً تصنع لها القبول عند المتلقي.

من هنا عُدت اللغة بمثابة السمة الفارقة بين اتجاهين حجاجين كبيرين، هما: التصور الكلاسيكي للحجاج مع بيرلمان، واللسانيات الحجاجية عند ديكر و أنسكومبر، حيث لم يربط الاتجاه الأول الحجاج ببنية اللغة التركيبية، بينما اختزل الاتجاه الثاني الحجاج داخل بنية اللغة، فأصبحت اللغة بالتالي أداة للحجاج عند بيرلمان، ومحلاً للحجاج عند ديكر^١.

وأظن أن عزل الحجاج عما هو خارج اللغة تماماً أو تنحيته عنها تماماً أمر متعذر؛ لأن الحجاج كيان كامل تتحد فيه اللغة مع غيرها من مكونات الخطاب البلاغية والمنطقية لخلق التأثير المطلوب، فلا يمكن التوسل باللغة وحدها، أو بما هو خارج اللغة فقط؛ لأن الحجاج في المبتدأ والمنتهى آلية ذريعية وديالكتكية نشيطة وفعالة.

والملاحظ أن بيرلمان قد عاد إلى اللغة في مراحل متعددة من نظريته^٢، وأن ديكر قد وصل في نظريته النسقية إلى باب مغلق اضطر معه أن يقول عن الحجاج: "إنما هو محال من المحالات... وتبين أيضاً أن الحجاج ما هو إلا سراب"^٣، فالتكامل بين اللغة

^١ ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص ٤٢، ٤٣

^٢ حيث انطلق اللغة، ومن مشمولات الخطابة اليونانية التي لم تُفصي اللغة، يضاف إلى ذلك: وجود عناصر لغوية متنوعة أخرى في نظريته مثل: الاستعارة، وغيرها. ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية عند شايم بيرلمان، ص ٩٢

^٣ ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص ٢٣٠

والمنطق والبلاغة مطلوب؛ لتكوين دراسة حجاجية تتميز بالشمول، ولا يمكن حصر الحجاج أو دراسته بمكون واحد فقط.

من هذا المنطلق يمكن القول إن الحجاج بوصفه إستراتيجية محكمة بمكونات ثلاثة، هي: المكون السياقي/الثقافي، والمكون المنطقي، والمكون اللغوي، التي هي بطبيعتها متداخلة ومتبادلة التأثير^١، بحيث يصبح الحجاج وفقًا لهذا المقتضى عنصرًا دلاليًا، يظهر من خلال جملة أو نص أو سلوك، ويقصده المتكلم؛ لخدمة عنصر دلالي آخر ينبغي على المخاطب الالتزام به والتصرف وفقه^٢.

ويمكن تقسيم الآليات الحجاجية إلى^٣:

● **الأدوات اللغوية الصرف**، الآليات اللغوية هي مجموعة من الأدوات التي يمكن أن تنشئ علاقة حجاجية بين عدة أقوال، ويرتبط بها الحجاج الذي يطلق عليه ديكرو (الحجاج الفني)، وهو الذي يوجد في بنية اللغة، فتكون الكلمة في بنيتها اللغوية متعلقة بمعنى حجاجي محدد، سواء أعلق الأمر بالمستوى المعجمي، مثل: كلمة السبب، فهي: "كل شيء يُتوصل به إلى غيره"^٤، ويتوسل بها المتكلم لإيضاح حجته، أم المستوى النحوي، مثل: المفعول لأجله وهو المصدر الذي يرد في الخطاب دائمًا بوصفه مفسرًا لعلة كلام وقع قبله^٥، أم غيره من المستويات.

^١ ينظر: عبدالهادي الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته ..)، ص ٢١٧

^٢ ينظر: حبيب أعراب، "الحجاج والاستدلال الحجاجي"، ص ١١٠

^٣ هذا التقسيم لعبدالهادي الشهري، ينظر: آليات الحجاج وأدواته، ص ٢٢٢

^٤ ابن منظور، لسان العرب، مادة (س ب ب)، ج ١، ط ٣ (١: ١٩٩٠م)، بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م،

ص ٤٥٨

^٥ سماه سيبويه: بما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر، ينظر: سيبويه، الكتاب، ج ١، تحقيق: عبدالسلام

هارون، ط ٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م، ص ٣٦٧

● الآليات شبه المنطقية، وهي آليات السلم الحجاجي الذي يعتمد كثيرا على اللغة لكنه يعتني بأمور أخرى غيرها، مثل: طريقة تسلسل الحجج في الخطاب، ودرجات التوكيد، والإحصاءات، وبعض الآليات والصيغ الصرفية.

● الآليات البلاغية: التي تؤدي دورًا في العملية الحجاجية؛ من خلال إحداث تغيير في موقف المتلقي. ولا يتفق بيرلمان مع ذلك؛ إذ إنه يميز بين نوعين من المحسنات البلاغية^١:

- الأول منها هو المحسن البلاغي الحجاجي وهو الذي يؤثر في موقف المتلقي من الخبر.

- والثاني هو المحسن البلاغي الفارغ، الذي ليس إلا زخرفة لا فعالية لها في الخطاب، ويشبه الثاني بالزهور الذابلة في مرج معشب.

وتميزه هذا يعني أن هناك حشواً في الكلام، وقد يقبل هذا في بعض أنواع الخطابات، مثل: الأحاديث اليومية، لكن في الخطابات العلمية، خاصة تلك التي تصدر عن عالم باللغة يُستبعد أن تتضمن حشواً؛ لأن "كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالته الحجاجية"^٢، وإذا كان هناك ما يمكن أن يميز بوصفه محسنًا جماليًا في البلاغة، فإنه بمقتضى الحجاج يؤدي دورًا في سيرورة العملية الحجاجية، صغر هذا الدور أو كبره.

تتداخل هذه الآليات وتتفاعل مع مكونات الخطاب الأخرى دون تمييز بينها؛ لأن الخطاب الحجاجي خطاب طبيعي "متعدد الوظائف، تتداخل فيه المستويات، وتتزوج فيه الأقوال"^٣، ويهدف الفاعل المحاجج من خلال هذه المكونات إلى:

١- خلق التأثير المطلوب، وتكثيف حضور حجاجه في ذهن

المتكلم.

^١ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص ٣٢

^٢ عبدالهادي الشهري، آليات الحجاج وأداوته، ص ٢٣٦

^٣ طه عبدالرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م،

٢- تنحية الحجة المعارضة، وتحجيم ظهورها في النص.

والرابط الذي يجمع هذه المكونات هو الوظيفة الحجاجية التي تحملها اللغة بصفة ذاتية -أو يمكن أن تحملها اللغة متى ما وضعت في جهاز حجاجي حسب باتريك شارودو^١، والتي هي موجودة في مجمل ظواهر اللغة: الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والتركيبية، والدلالية، والتداولية^٢.

والمتأمل في كتاب الخصائص يجد أن ابن جني قد وظّف هذه الآليات بشكل كثيف، أدى في كثير من الأحيان إلى توجيه حجاجه إلى الوجه التي أرادها، وكانت هذه الآليات حاضرة تقريباً في كل عناصر الإنجاز الحجاجي، ولم يقتصر على استعمالها في الحجج فحسب.

ويبدو أن ابن جني يؤمن بفكرة وجود الحجاج في بنية اللغة؛ ويتبين ذلك من خلال فكرته التي تتعلق بدوران تقاليد المادة اللغوية حول معنى واحد، وهو ما سمّاه بالاشتقاق الأكبر^٣؛ حيث أثبت معنى واحداً لكل التقاليد الممكنة للمادة اللغوية، وفكرة ثبات معنى معين في البنية اللغوية للكلمة توازي فكرة ثبات معنى حجاجي محدد لآليات لغوية معينة.

لقد استعان ابن جني بالعديد من الآليات اللغوية ليدعم حجاجه، ولإيضاح فكرة كثافة الموجهات الحجاجية اللغوية في حجاج ابن جني يمكن الاستشهاد بباب واحد من أبواب الخصائص لتلمس مدى صحة هذا الادعاء، ويمكن التوسل بالباب التالي بعد تقسيمه تقسيماً يستوفي متطلبات عناصر العلاقة الحجاجية:

^١ ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص ٥٣

^٢ ينظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص ١١

^٣ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٣٣-١٣٩

"باب في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها"^١.

● **قول الانطلاق: (ضميني)** ومؤداه أن العرب تكلموا على وتيرة واحدة في كلامهم، وهذه الطريقة في الكلام جعلت علماء اللغة يعتقدون بوجود قوانين تسيير عليها العرب في كلامها، وأن هناك من يُعارض فكرة انطلاق العرب في كلامهم من قواعد متواضع عليها، وأنهم إنما تكلموا بسليقتهم دون أي حساب لقوانين النحو واللغة.

● **قول العبور:** "ألا ترى إلى اطراد رفع الفاعل، ونصب المفعول، والجر بحروف الجر، والنصب بحروفه، والجزم بحروفه، وغير ذلك من حديث التثنية والجمع، والإضافة والنسب، والتحقيق، وما يطول شرحه؛ فهل يحسن بذي لب أن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع، وتوارد اتجه!"^٢.

● قول الوصول:

١- "أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها"^٣.

٢- "وهو أحزم لها، وأجمل بها، وأدل على الحكمة المنسوبة إليها، من أن تكون تكلفت ما تكلفته: من استمرارها على وتيرة واحدة، وتقريبها منهجًا واحدًا، تراعيه وتلاحظه، وتتحمل لذلك مشاقه وكلفه، وتعذر من تقصير إن جرى وقتًا منها في شيء منه"^٤.

٣- "وليس يجوز أن يكون ذلك كله في كل لغة لهم، وعند كل قوم منهم، حتى لا يختلف ولا ينتقض، ولا يتهاجر، على كثرتهم، وسعة بلادهم، وطول عهد زمان هذه اللغة لهم، وتصرفها على ألسنتهم، اتفاقًا وقع، حتى لم

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٣٧

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٣٨

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٣٧

^٤ المصدر نفسه، ص ٢٣٧-٢٣٨

يختلف فيه اثنان، ولا تنازعه فريقان، إلا وهم له يريدون، وبسياقه على أوضاعهم فيه معنيون"^١.

والمتأمل في هذا الباب يجد أن ابن جني قد بدأ الباب بالنتيجة، عن طريق الاستعانة بفعل كلامي ينتمي إلى جنس الإقرارات Assertives، فقد عبر عن وجهة نظره بوضوح تام، وأقرّ بأن العرب قد عرفت قوانين محددة سارت عليها في كلامها والتي استخلصها علماء العربية بعدهم، وفي هذا النوع من الأفعال الكلامية "يتعهد الشخص بدرجة معينة من القوة بمقبولية قضية من القضايا"^٢، واستخدام ابن جني لمؤكدين في صياغة هذه النتيجة، وهما: (إن، وقد) تبين درجة هذه القوة، فدخل على موضوعه مفترضاً أن المخاطب منكر للخبر^٣؛ فاحتاج بالتالي إلى حشد كل الآليات التي يمكن أن تستعمل في هذا السياق لإعطاء حجاجه قوة، وإفحام خصمه.

استخدم بعد ذلك أداة التحضيض (ألا) في أول قول العبور، ولما تلاها فعل مضارع كان الطلب هنا حثاً، وهذا ما يصعد الحجاج؛ إذ اختار أداة للحث في موطن تعليلي، فربط بين النتيجة والحجة بالأداة (ألا)، واستخدم بعدها الفعل (يرى) قاصداً إحدى المشمولات الدلالية له، وهي: "الرؤية بالعين"^٤؛ إجماع منه بأن الأمر في غاية الوضوح إلى درجة أنه يطلب من الفاعل الهدف رؤية الحجة، والرؤية هنا تقتضي التسليم بالحجة.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٣٨

^٢ فرانز فان إيمرن، وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج، ص ٨٢-٨٣

^٣ تم بناء هذا الحكم تبعاً لأنواع الخبر عند السكاكي، فالخبر الإنكاري هو الذي يتضمن مؤكداً فأكثر، ويكون فيه المخاطب منكرًا للخبر، ينظر: يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفاتيح العلوم، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، بغداد: دار الرسالة، ١٩٨٢م، ص ٢٥٣-٢٥٤

^٤ ينظر: ابن هشام الأنصاري، معني اللبيب عن كتب الأعراب، ج ١، تحقيق: عبداللطيف الخطيب، الكويت:

دار التراث العربي، ٢٠٠٠م، ص ٤٤٨

^٥ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ر أ ي)، ج ١٤، ص ٢٩١

واستخدامه التركيب (ألا ترى) يعني طلب الرؤية، وبالتالي استخدامه لفعل كلامي من جنس التوجيهات، وهي تلك الأفعال التي "يسعى المتكلم أو الكاتب من خلالها إلى جعل السامع يفعل شيئًا ما أو يحجم عن شيء ما"^١، وليس الطلب هنا بمعناه الحرفي، وإلا لكان باب الحجاج أُغلق عندها ولم يكن هناك مجال للاعتراض، لكن الأمر بمثابة تحدٍ للطرف الآخر للإتيان بحجة مناهضة تساعد في تنامي الحجاج، وتفتح الباب لابن جني لطرح بقية حججه التي تعضد رأيه، وهذا ما حدث إذ تتالت بعد ذلك الحجج المعارضة من الخصم الافتراضي، وبسط ابن جني قدراته للرد عليها.

احتج ابن جني في قول العبور أيضًا بصفة الاطراد في اللغة، وشرع في توصيف هذه السمة في مستويين من مستويات اللغة، هما: المستوى النحوي، والمستوى الصرفي، وشرع في بيان هذه الصفة في عدد من أبواب النحو والصرف معتمداً في ذلك على تكثير ذات تلك الصفة؛ حتى لا يظن السامع أنها في مستوى واحد أو في باب واحد، فاستعمل في حجته ثلاث آليات لغوية، هي: الفعل الكلامي التوجيهي، واستعمال الصفة، وتحصيل الحاصل المتمثل في تكثير ذات الصفة؛ وذلك بإثبات وجودها في عدة مستويات.

ويلحظ أن ابن جني قد صاغ قول الوصول عدة مرات، وأدخل التكرار في باب تحصيل الحاصل، وهو من الآليات اللغوية الحجاجية التي تدعم حضور الحجاج في ذهن المتلقي، وتزيد من القيمة الحجاجية للقول، ولا يعني ذلك وجود تكرار اعتباطي في الحجاج؛ فلكل عنصر دوره في العملية الحجاجية؛ إذ "قلما يخلو اختيار اللفظ عند التعبير عن فكرة المخاطب من دلالاته على الحجاج، ولا يكون غير ذلك إلا إذا كان القصد الحجاجي غير وارد... وعليه فليس هناك اختيار لفظي محايد، وإن كان يبدو كذلك"^٢.

^١ فرانز فان إيمرن، وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج، ص ٨٤

^٢ ينظر: الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص ٢٤١

وقد اختار ابن جني لصياغة قول الوصول عدة آليات حجاجية مختلفة، في ثلاث فقرات مختلفة، هي:

- استخدم في الجملة الأولى التأكيد، وذلك بالأداتين: إنَّ، وقد. واستغل الترادف بين (نَسَب) و(حَمَل)؛ للتأكيد على قصد العلماء لهذه النسبة إلى العرب، وقد استخدم ضمير الفاعلين فيهما: لبيان موقفه من خلال تبرير وضعه بوصفه فاعلاً محاججاً مشاركاً في صنع هذه النسبة.

- لجأ في الفقرة الثانية التي تبرر النتيجة إلى أفعال التفضيل، وقام بتكرار أفعال التفضيل باختيار عدة صفات تساعد على قبول النتيجة، فقال: "أحزم لها، وأجمل بها، وأدل على الحكمة المنسوبة إليها"^١، و"تعد الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمخاطب في خطابه، وذلك بإطلاق المخاطب لنعت معين في سبيل إقناع المخاطب"^٢، واستخدام أفعال التفضيل يجعل المتلقي أمام نتيجتين متعارضتين، هما:

الأولى: قصدت العرب ما نسبه العلماء لها من أحكام لغوية.

الثانية: لم تقصد العرب ما نسبه العلماء لها من أحكام لغوية.

وقد تم ربط النتيجتين بصفتين متقابلتين، فارتبطت النتيجة الأولى بصفة إيجابية، هي: الحكمة، بينما ارتبطت الثانية بصفة سلبية، هي: التكلف. وعند وضع النتيجتين في مقام مفاضلة، فسيكون الحكم للنتيجة الأولى طبقاً للصفة الإيجابية المرتبطة بها

- استخدم ابن جني في الفقرة الثالثة التي تشرح النتيجة عاملاً حجاجياً هو: القصر عن طريق النفي والاستثناء، قَصَدَ منه تقوية توجيه الحجاج للنتيجة المتبغاة، وهذا الأسلوب عادة "يوجه... الخطاب وجهة حجاجية صارمة قاضية على تعدد الاستلزمات

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٣٧-٢٣٨

^٢ عبدالمهدي الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص ٢٣٢

مفضية إلى قسم واحد من النتائج"^١، أي أنه "يوجه القول وجهة واحدة"^٢ تقضي على أي فرصة للاعتراض من قبل الفاعل الهدف.

فعندما اقتضى التفضيل فيما سبق نتيجتين متعارضتين لم تكن الصفات الإيجابية كافية لدعم النتيجة، وظلت الاحتمالات الأخرى واردة، فأتى القصر بعده؛ ليقضي على أي احتمال قد يميل تجاه النتيجة الثانية.

ووظّف ابن جني لدعم النتيجة آلية شبه منطقية هي: السلم الحجاجي^٣؛ وذلك لبيان درجات الاتفاق الذي وقع من العرب في كلامها، ويمكن التمثيل له بالشكل التالي مع أخذ ترتيبه حسب ما وقع في كلام ابن جني بعين الاعتبار:

ن: (قصدت العرب الاتفاق)



١- وقع الاتفاق في كلام العرب في كل لهجات العرب.

٢- وقع الاتفاق في كلام العرب عند كل أقوامهم.

٣- وقع الاتفاق في كلام العرب عند كل فرد منهم.

لا ن: (لم تقصد العرب الاتفاق)

والحجة الأولى في درجات السلم الحجاجي هي أقوى الحجج؛ لأنه يلزم من ذكرها جميع النتائج التي ذكرت بعدها، وهي الأكثر خدمة للنتيجة، والأبعد عن النقض، وقد قصد ابن جني من وضع هذه الحجج في هذا السلم إلى بيان شدة هذا الاتفاق

^١ عزّ الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، صفاقس: مكتبة علاء الدين، ٢٠١١م، ص ٦٧

^٢ شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى

اليوم)، ص ٣٨١

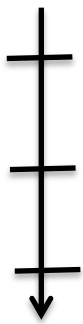
^٣ وهو: "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية"، طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص ٢٧٧

بحيث لا يخرج عنه قوم ولا فرد، وبالتالي لا يمكن أن يكون مجرد اتفاق قلد فيهم العرب بعضهم، بل هو اتفاق مقصود، ويؤكد ذلك أيضاً من خلال الترادف بين الكلمتين: (مريدون)، و(معنيون).

ونظراً للأهمية الكبيرة التي يملكها السلم الحجاجي بصفته إطاراً لترتيب الحجج؛ "لأن نظام عرض الحجج يغير شروط تقبلها"^١، فإن ابن جني قد عمد إلى ترتيب يتوافق مع رؤية النص كاملة، فرتب الحجج من الأقوى إلى الأضعف، أو ما يسمى بالترتيب النازل تماشياً مع القوة التي ينطق بها الخطاب كله؛ فهو خطاب يبدأ بالنتيجة، ويفترض مخاطباً منكرًا أشد الإنكار، ولهذا كان الإفصاح أولاً عن الحجة الأقوى أولاً ضرورياً من باب المحافظة على تيمة القوة الحجاجية في النص.

وقد ضمن ابن جني السلم الحجاجي السابق سلماً آخره اقتضاه الحال؛ حيث يمكن أن تؤدي بعض الصفات عند العرب إلى اختلافهم، مثل: كثرة عددهم، أو انتشارهم في البلاد وعدم تقاربهم، أو طول عهدهم باللغة، فضمنها في السلم الحجاجي بصفتهما حججاً على شدة اتفاق العرب، وكانت مرتبة في سلم حجاجي كالتالي:

ن: (الاتفاق بين العرب شديد)



١- وقع الاتفاق بين العرب مع كثرة أعدادهم.

٢- وقع الاتفاق بين العرب مع تباعدهم وسعة بلادهم.

٣- وقع الاتفاق بين العرب في كلامهم مع قدم لغتهم.

لا ن: (الاتفاق بين العرب غير شديد)

^١ الحسين بنو هاشم، نظرية الحجج عند شايبم بيرلمان، ص ١٠٧

وقد استعان في هذا السلم بالترتيب الصاعد؛ حيث بدأ بالحجة الأضعف ثم انتقل منها إلى الحجة الأقوى، فالاتفاق إن كان اعتباطيًا يمكن أن يقع بين جماعة كبيرة حسب جودة النقل الإعلامي عند تلك الجماعة مع صعوبة هذا الأمر، لكن أن يظل هذا الاتفاق ممتدا على مدى أزمنا بعيدة فلا يمكن أن يكون ذلك مجرد اتفاق غير مقصود بل لابد أن يكون مقصودًا.

وتعاقب على النص بعد هذه الحجة مجموعة من الحجج المعارضة والردود عليها، من مثل:

● **الحجة المعارضة ١:** "فإن قلت؛ فما تنكر أن يكون ذلك شيئًا طبعوا عليه، وأجيئوا إليه، من غير اعتقاد منهم لعلله، ولا لقصد من القصد التي تنسبها إليهم في قوانينه وأغراضه، بل لأن آخرًا منهم هذا على ما نهج الأول فقال به، وقام الأول للثاني في كونه إمامًا له فيه مقام من هدى الأول إليه، وبعثه عليه، ملكًا كان أو خاطرًا".^١

● **الرد عليها:** "لن يخلو ذلك أن يكون خيرًا روسلوا به، أو تيقظًا نبهوا على وجه الحكمة فيه. فإن كان وحيًا أو ما يجري مجراه فهو أنه له، وأذهب في شرف الحال به، لأن الله سبحانه إنما هداهم لذلك ووقفهم عليه، لأن في طباعهم قبولًا له، وانطواء على صحة الوضع فيه، لأنهم مع ما قدمناه من ذكر كونهم عليه في أول الكتاب من لطف الحس وصفائه، ونصاعة جوهر الفكر ونقائه، لم يؤتوا هذه اللغة الشريفة، المنقادة الكريمة، إلا ونفوسهم قابلة لها، محسة لقوة الصنعة فيها، معترفة بقدر النعمة عليهم بما وهب لهم منه".^٢

وقال بعد أن أورد بعض النماذج على اعتزاز العرب بلغتهم، وتصوبيهم لمن يلحن فيها: "أفلا ترى إلى هداية بعضهم لبعض، وتنبهه إياه على الصواب".^٣

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٣٨

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٣٨-٢٣٩

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٣٩

● **الحجة المعارضة ٢:** "فإن قلت: فإن العجم أيضاً بلغتهم مشغوفون، ولها مؤثرون، ولأن يدخلها شيء من العربي كارهون، ألا ترى أنهم إذا أورد الشاعر منهم شعراً فيه ألفاظ من العربي عيب به، وطعن لأجل ذلك عليه. فقد تساوت حال اللغتين في ذلك. فأية فضيلة للعربية على العجمية؟"^١.

● **الرد عليها:** "قيل: لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة، وما فيها من الغموض والرقّة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها، فضلاً عن التقديم لها، والتنويه منها"^٢.

● **الحجة المعارضة ٣:** "فإن قيل: لا، بل لو عرفت العرب مذاهب العجم في حسن لغتها، وسداد تصرفها، وعدوبة طرائقها لم تبء بلغتها"^٣.

● **الرد عليها:** "قيل: قد اعتبرنا ما تقوله، فوجدنا الأمر فيه بضده. وذلك أنا نسأل علماء العربية مما أصله عجمي وقد تدرّب بلغته قبل استعرابه، عن حال اللغتين، فلا يجمع بينهما، بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك، لبعده في نفسه، وتقدم لطف العربية في رأيه وحسه. سألت غير مرة أبا علي - عليه السلام - عن ذلك، فكان جوابه عنه نحواً مما حكّيته"^٤.

● **الحجة المعارضة ٤:** "فإن قلت: ما تنكر أن يكون ذلك، لأنه كان عالماً بالعربية، ولم يكن عالماً باللغة العجمية، ولعله لو كان عالماً بها لأجاب بغير ما أجاب به"^٥.

● **الرد عليها:** "إنما عارضت بشك، ولعل هذا ليس قطعاً كقطعنا، ولا يقيناً كيقيننا. وأيضاً فإن العجم العلماء بلغة العرب وإن لم يكونوا علماء بلغة العجم فإن قواهم في العربية تؤيد معرفتهم بالعجمية، وتؤنسهم بها، وتزيد في

^١ ابن جنّي، الخصائص، ج ١، ص ٢٤٢

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٤٢

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٤٢

^٤ المصدر نفسه، ص ٢٤٣

^٥ المصدر نفسه، ص ٢٤٣

تنبيههم على أحوالها، لاشتراك العلوم اللغوية واشتباكها وتراميتها إلى الغاية الجامعة لمعانيها. ولم نر أحداً من أسيادنا فيها - كأبي حاتم، وبندار، وأبي علي، وفلان، وفلان - يسوون بينهما ولا يقربون بين حالتهما. وكأن هذا موضع ليس للخلاف فيه مجال، لوضوحه عند الكافة. وإنما أوردنا منه هذا القدر احتياطاً به، واستظهاراً على مورد له عسى أن يورده".^١

● **الحجة المعارضة ٥:** "فإن قلت: زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها، وقد نراها ظاهرة الخلاف...".^٢

● **الرد عليها:** "قيل: هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته، محتقر غير محتفل به، ولا معيج عليه، وإنما هو في شيء من الفروع يسير. فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور، فلا خلاف فيه، ولا مذهب للطاعن به...".^٣

نستنتج من هذه الحجج المتعارضة والردود عليها ما يلي:

- استعمل ابن جني لغة حجاجية عالية تزخر بالآليات اللغوية التي توجه الحجاج إلى الوجهة التي أرادها، ويلحظ اختلاف مستوى قوة حجاجية هذه اللغة بين الحجج المعارضة التي تأتي من قبل معارض افتراضي وبين الردود الموجه لها من قبل ابن جني.

ففي الحجة المعارضة الأولى -مثلاً- لجأ ابن جني إلى الاستفهام بوصفه طلباً، فالسؤال هنا ينتمي للتوجيهات Directives، ومعلوم أنه ليس كل الأفعال الكلامية من هذا النوع تفرض رأياً، فهي "لا تلعب... دوراً بنائياً في حل خلاف الرأي. قد تستعمل التوجيهات في النقاش النقدي لتحدي الطرف الذي قدم وجهة نظر للدفاع عن وجهة نظره، أو لدعوة هذا الطرف لتقديم استدلال لصالح وجهة النظر"^٤، وقد استغل

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٤٣

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٤٣

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٤٤

^٤ فرانز فان إيمرن، وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج، ص ٨٤

ابن جني هذه الطاقة التفجيرية لجنس التوجيهات، فاستعملها لدعم تنامي الحجج، وسرد الحجج التي تدعم النتيجة الأساسية للنص.

أما الرد على هذه الحجة المعارضة فقد استغرق من ناحية الحجم سطوراً كثيرة، ويلحظ أن حجم الرد غالباً يكون أكبر من الحجة المعارضة، كما في الرد على الحجج: الأولى، الثالثة، الرابعة، الخامسة. وهذا يدعم فكرة أن ابن جني يتوسل بالآليات اللغوية التي تعين على إنماء الحجج في الرد على الحجة المعارضة.

ويعد الاستفهام من أكثر الآليات المستخدمة في الحجج المعارضة في الخصائص؛ يعود ذلك إلى طبيعة الاستفهام التي تفتح الباب أمام تنامي الخطاب، عدا عن أنه "من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجاً، وهو ما يتوسل به الكثير في فعلهم"^١؛ إذ إن "طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم"^٢.

ومجيء المعارض مستفهماً دون اعتراض في كثير من المواضع في الخصائص يثبت هذا التوجه الداعم لحجج الفاعل المحاجج والمُقضي لحجج الخصم لابن جني، مثل قوله في باب الساكن والمتحرك: "فإن قلت: ولم جرت الأشياء في الوصل على حقائقها دون الوقف؟ قيل: لأن حال الوصل أعلى رتبة من حال الوقف..."^٣، وقوله في باب في الحكم يقف بين الحكمين: "فإن قلت: فما الكسرة في نحو مررت بغلامي، ونظرت إلى صاحبي؛ أعراب هي، أم من جنس الكسرة في الرفع والنصب؟ قيل: بل هي من جنس

^١ عبدالمهدي الشهري، آليات الحجج وأدواته، ص ٢٢٩

^٢ محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسألة لميشال ميار، ضمن كتاب (أهم نظريات

الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، ص ٣٩٩

^٣ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣٣١

ما قبلها، وليست إعرابًا؛ ألا تراها...".^١ فالمعارض يتحول مع هذه الآلية إلى مستفهم ينهل من علم ابن جني.

فالاستفهام يخدم الحجاج من وجهين لا تعارض بينهما:

- قد يستخدم بوصفه قالبًا تصب فيه الحجة المعارضة كما في الحجة المعارضة الثانية والرابعة، فالاستفهام في الثانية يعني: بطلان ذلك الصفاء في أطباع العرب الذي استدعى قبولهم قوانين اللغة وقصدتهم لها، والاستفهام في الرابعة يعني: بطلان شهادة علماء العربية الذين ينتمون إلى أصل أعجمي.

- وقد يستخدمه بوصفه أداة لإغناء الحجاج وتوسيعه، وذلك من خلال استفهام المحاجج المعارض، أو اعتراضه المشوب بالاستفهام كما في الحجة الأولى والثانية والرابعة.

أما من حيث الأدوات اللغوية التي يستعين بها ابن جني في الرد على الحجة المعارضة فهي غالبًا من فئة الآليات التي تحاصر الفاعل المحاجج بالنتيجة، مثل:

○ **النفى**، كما في الرد على الحجة المعارضة الأولى، وذلك باستخدام

الأداة (لن)، وكما في الرد على الحجة المعارضة الرابعة، وذلك باستخدام ليس.

لقد عدّ ديكرو النفي من أدق العوامل الحجاجية، وندعية هذا النفي لا تأتي إلا من خلال إدراك المتلقي للنتيجة التي يريد الفاعل المحاجج إثباتها^٢، وتتجلى فاعلية النفي في الرد على الحجتين في أن ابن جني قد مهّد لنصه قبلهما بحكم قبلي هو النتيجة التي أراد أن يتوجه لها ذهن الفاعل الهدف. ثم قام بحصر النتيجة في اتجاهين مختلفين في الرد على الحجة الأولى مُقْصِيًا النتيجة المعارضة، واستخدم مع النفي في الرد على الحجة المعارضة الرابعة ضمير الفاعلين لتفخيم يقينه في مقابل إقصاء اليقين الآخر الواهي حسب اعتقاد ابن جني.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣٥٧

^٢ ينظر: عزّ الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ٤٩-٥٠

أما عن نوع النفي المستخدم فقد لجأ ابن جني إلى نفي يطلب تسليم الجمهور بأمر معين^١، واستخدام النفي هنا يفيد "معنى...التكذيب الذي هو صلب عملية التوجيه"^٢ الحجاجية. فهو بالتالي أمر يصب في صالح قوة الحجج المقدم من قبل ابن جني للرد على هذه الحجج المعارضة.

○ حجة الدليل، حيث لجأ ابن جني إلى تشغيل الحجج المعتمدة على علاقات التعاقب في توجيه النتيجة، وهي الحجج "التي تربط ظاهرة ما إما بأسبابها أو نتائجها"^٣؛ إذ توصل في الرد على الحجة المعارضة الأولى إلى أن العرب قد أرادت وقصدت ذلك من خلال النتائج التي عايشها، وهي الآثار الظاهرة التي لمسها ابن جني من تصويب العرب للاحن في لغتهم. وابن جني لجأ هنا إلى الطريقة الظاهرة^٤ في تفعيل حجة الدليل؛ حيث عرض شواهد من أقوال الآخرين مثل: قول المتنبي، وقول عمار الكلبي وغيرهم؛ وذلك لحصر مشاركتهم في النص، وليس للاعتراض على النتيجة.

○ التراكيب الشرطية كما في الرد على الحجة المعارضة الثانية، والتراكيب الشرطية من أدوات التعليل التي تستعمل لتوليد حجج جديدة^٥، فاعتذار العجم من اعترافها بلغتها حجة جديدة تؤيد رفع مقام اللغة العربية؛ حيث لا يمكن أن تكون لغة بهذا الكمال ولا يكون عندها قصد للأحكام في كلامها.

ويلحظ حشد ابن جني لمجموعة من الصفات الخاصة باللغة العربية، مثل: اللطف، والغموض، والرقّة، والدقة، قاصداً من وراء هذا الحشد إلى تعزيز النتيجة،

^١ ينظر: عزّ الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ٥٢

^٢ عزّ الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ٥٢

^٣ الحسين بنو هاشم، نظرية الحجج عند شايم بيرلمان، ص ٧١

^٤ ينظر: طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدرا البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي،

١٩٨٧م، ص ٤٧

^٥ ينظر: عبدالهادي الشهري، آليات الحجج وأدواته، ص ٢٢٥

فالصفة "من الأدوات التي تمثل حجة للمخاطب في خطابه"^١، وأي تفضيل للعربية على غيرها سيؤدي إلى النتيجة ذاتها؛ حيث يصبح لها من الكمال ما يصعب معه وصفها بالاعتباطية في أحكامها.

○ **الحصر بإنما** كما في الرد على الحجة المعارضة الرابعة والخامسة، وإنما وغيرها من أدوات الحصر من الآليات التي توجه الملفوظ نحو نتيجة محددة ضيقة^٢. فلا مجال للاعتراض بعد هذه النتيجة، والدليل أن المعارض اتجه إلى اعتراض آخر بعد هذه النتيجة يتعلق باجتماع العرب على كلام واحد، ولا يتعلق بالنتيجة التي يدور عليها النص، وهي: قصد العرب لأحكام محددة في لغتهم.

○ **السلم الحجاجي**، استخدم ابن جني الرابط الحجاجي (فضلا عن) في الرد على الحجة المعارضة الثانية؛ وذلك لترتيب الحجج في سلم حجاجي يسند النتيجة التي يرومها^٣، ويمكن التمثيل للسلم الحجاجي الوارد في هذا الرد بالشكل التالي:

ن: (العربية تفوق غيرها من اللغات)



١- اعتذار العجم من الاعتراف بلغتها.

٢- تنويه العجم على ما يرد في لغتهم من دخيل.

لا ن: (العربية لا تختلف عن غيرها من اللغات)

فوقعت الحجة الأضعف بعد الرابط (فضلا عن)، ووقعت الحجة الأقوى التي هي في أعلى السلم قبلها، والنتيجة التي يتجه لها السلم الحجاجي، وهي: (أن العربية تفوق

^١ عبدالمهدي الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص ٢٣٢

^٢ ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ٥٤

^٣ ينظر: عبدالمهدي الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص ٢٥٥

غيرها من اللغات) تخدم النتيجة التي يؤسس لها النص من أوله، وهي: "أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها"^١.

وتأسيسًا على ما سبق نخلص إلى أن ابن جني يروح إلى كثافة حضور حجاجه في النص، وإلى تقليص حضور الصوت المعارض، وذلك من خلال آليات تُغني حضوره وتضعف حضور المعارض الافتراضي، فيكون الصوت المعارض تبعًا لذلك بمثابة آلية أو وسيلة يلجأ لها ابن جني لدعم حجاجه أو توضيح قصده.

ويجدر التنويه إلى أن ابن جني قد عاد إلى الاستدلال على النتيجة بعد أن فرغ من تنفيذ الحجج المعارضة، فقال: "والذي يدل على أنهم قد أحسوا ما أحسنا، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان: أحدهما حاضر معنا، والآخر غائب عنا، إلا أنه مع أدنى تأمل في حكم الحاضر معنا. فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من احوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها... وأما ما روي لنا فكثير. منه ما حكى الأصمعي عن أبي عمرو...^٢. وهذه العودة تؤكد حضور النتيجة، وتدفع المعارض دفعًا إلى القبول حتى لا يبقى معه مجال للشك.

هذا الإصرار من ابن جني من خلال الحرص على حضور النتيجة، ومن خلال اعتماد آليات تثري حجاجه، وتوجه الخطاب نحو وجهة واحدة لا يكاد يفارقها، يدعم نوع الحجج في كتاب الخصائص وهو الحجج الجدلي.

^١ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٣٧

^٢ ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٢٤٥، ٢٤٩

الخاتمة

يدرس هذا البحث المعنون بـ"الحجاج في كتاب الخصائص لابن جني: دراسة وصفية تحليلية" في إطار النظرية الحجاجية: حجاج ابن جني في كتابه الخصائص، بدءاً من العصر الذي عاش فيه وظروف نشأته، ومدى تأثير ذلك على لغة ابن جني، ومروراً بالسّمات المنهجية التي أقام عليها كتابه الخصائص، والأصول النحوية التي أسس لها، وإستراتيجيات الحجاج القديمة التي عولجت من باب ارتباطها بالعلل، وانتهاءً إلى دراسة مكونات الإنجاز الحجاجي في كتاب الخصائص، والآليات التي وظفها ابن جني في حجاجه، وقد توصل هذا البحث لمجموعة من النتائج أبرزها:

١. لقد اتسمت مؤلفات القرن الرابع الهجري بمظهر حجاجي بَيّن؛ نتيجة للنهضة المعرفية التي أحاطت ذلك القرن، وقد كان هذا المظهر على قدر كبير من الوضوح في كتاب الخصائص لابن جني بتأثير من الظروف التي سيّجت نشأة ابن جني.

٢. لقد مكّنت السمات الديالكتيكية المُميزة لبينة الحجاج في كتاب الخصائص حجاج ابن جني من أن يكون حجاجاً جدلياً، ومن ضمن هذه المواصفات: طريقة معالجة ابن جني للأصول النحوية، وإستراتيجيات الاستدلال ونقض الحجاج، وكثافة حضور الموجهات الحجاجية، والإعلان الذي يطغى على مكونات الجهاز الحجاجي عند ابن جني.

٣. يتعدّر تطبيق كثير من المغالطات المنطقية على الدرس اللغوي العربي نظراً للطبيعية الاستقرائية والاستنباطية التي قام عليها هذا الدرس، لكن يمكن مع هذا رصد بعض المغالطات الحجاجية التي وقع فيها ابن جني في تحليلاته، مثل: مغالطة التعميم المتسرع، ومغالطة النحياز التأييد.

٤ . يغلب على مقام التبادل في كتاب الخصائص أن يكون أحادي الحوار .
وقد حتمّ هذا المقام أن يكون الحجاج في كتاب الخصائص حجاجاً صريحاً؛
حيث قام ابن جني فيه بدور مزدوج مثلّ فيه دور الفاعل المُحاجج والفاعل
الهدف . وقد أغنى هذا المقام الحوار الذي بناه ابن جني مع خصم افتراضي
في كثير من صفحات الخصائص حجاج ابن جني؛ وذلك من خلال استغلال
الطاقة التفجيرية للاستفهام الموجه أثناء الحوار لدعم تصاعد الحجاج .

٥ . يقوم شكل البرهنة في الخصائص في معظمه على الشرح، وتعتمد نماذج
الربط فيه على محوري الواجب والممكن إلى حد كبير .

٦ . لقد كان حضور الآليات الحجاجية في حجج ابن جني أكثر كثافة من
حضورها في حجج الخصم الافتراضي، وينبئ ذلك عن مدى قدرة ابن جني
على إلزام الفاعل الهدف بنتائجه .

وأوصي في نهاية هذا البحث بقراءة وتحليل الكتب التراثية في اللغة من خلال
المنجزات اللسانية، مثل: النظرية الحجاجية؛ وصولاً للكشف عن بياضات هذا
الخطاب على مستوى الإقناع والاقتناع، كما أوصي بإكمال البحث في النظرية
الحجاجية اللغوية التي بدأها ديكرو، والكشف عن مدى قدرتها على تحليل
النصوص، وما يمكن إضافته لها لتكون قادرة على الوفاء بمتطلبات التحليل
الحجاجي .

هذا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه أتم الصلاة والتسليم .

فهرس المصطلحات

م	المصطلح	مُقابلته العربي
-١	AD consequentiam ; appeal to : consequences	الاحتكام إلى النتائج
-٢	la demonstration	الاستدلال
-٣	Adhesion	الاعتناق
-٤	Conviction	الاقناع
-٥	Assertives	الإقرارات
-٦	La Persuasion	الإقناع
-٧	loaded words; prejudiced language; question-begging epithets	الألفاظ الملقمة (المشحونة)
-٨	Coherence argumentative	الانسجام الحجاجي
-٩	Inventio	البصر بالحجة (أو) إيجاد الحجج
-١٠	La Pragmatique intégrée	التداولية المدمجة
-١١	les hierarchies	الترانبيات
-١٢	Dspositiok	ترتيب الأقسام
-١٣	Contradiction et incompatibilité	التناقض والتعارض
-١٤	Directives	التوجيهات
-١٥	L'argumentation	الحجاج
-١٦	l'argumentation dialectique	الحجاج الجدلي
-١٧	l'argumentation rhétorique	الحجاج الخطابي
-١٨	Tautologie	حجة تحصيل الحاصل
-١٩	L'argument d'autorité	حجة السلطة

الحجج شبه المنطقية	Les arguments quasi-logiques	- ٢٠
حجج العدل والتبادلية	la règle de justice et la réciprocité	- ٢١
الحجج المؤسَّسة على بنية الواقع	Les arguments fondés sur la structure	- ٢٢
الحجج المؤسَّسة لبنية الواقع	Les arguments qui fondent la structure du reel	- ٢٣
الحجج المتعادلة	Arguments anti-orientés	- ٢٤
الحضور	la presence	- ٢٥
الحقائق	les vérités	- ٢٦
الدليل الدائر	Arguing in a circle	- ٢٧
السفسطة	Sophisme	- ٢٨
السلطة	ad Verecundiam	- ٢٩
الشاهد	l'illustration	- ٣٠
القيم	les valeurs	- ٣١
القوالب المكرورة	Les clichés	- ٣٢
العبارات الشارحة	Paraphrases	- ٣٣
العبارة	Lexis, Elocutio	- ٣٤
المثال	l'exemple	- ٣٥
المصادرة على المطلوب	Pétition de principe	- ٣٦
المظنونات	les présomptions	- ٣٧
مغالطة الاحتكام إلى السلطة	ad verecundiam; appeal to authority	- ٣٨
مغالطة الاحتكام إلى عامّة الناس	ad populum; appeal to people; appeal to : gallery; appeal to the mod	- ٣٩

مغالطة تداولية	pragmatic fallacy	- ٤٠
مغالطة التعميم المتسرع	hasty generalization	- ٤١
المغالطة الحجاجية	Paralogisme	- ٤٢
مغالطة الرنجة الحمراء	red herring	- ٤٣
مغالطة المنشأ	genetic fallacy; damning the origins	- ٤٤
المقدمات المنطقية	Premises	- ٤٥
المنحدر الزلق (أنف الجمال)	:slippery slope; camel's nose	- ٤٦
منطق الخطاب	la Logique du discours	- ٤٧
مواضع الأفضل	les lieux du preferable	- ٤٨
مواضع الترتيب	les lieux de l'ordre	- ٤٩
مواضع الكم	les lieux de la quantité	- ٥٠
مواضع الكيف	les lieux de la qualité	- ٥١
الوقائع	les faits	- ٥٢

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ١ - أبو الفتح، عثمان بن جني.
- الخصائص. تحقيق: محمد النجار. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.

ثانياً: المراجع العربية:

- ٢ - أعراب، حبيب. الحجاج والاستدلال الحجاجي. ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية محكمة). مجموعة من المؤلفين. تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي. الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت: دار الروافد الثقافية، ٢٠١٣م.
- ٣ - أمين، أحمد. ضحى الإسلام. القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.
- ٤ - أمين، أحمد. ظهر الإسلام. القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.
- ٥ - الأمين، محمد سالم. الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م.
- ٦ - الأمين، محمد سالم. حجاجية التأويل. الجزائر: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ٢٠٠٤م.
- ٧ - الأنصاري، ابن هشام.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٣م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق: عبداللطيف الخطيب. الكويت: دار التراث العربي، ٢٠٠٠م.
- ٨ - أنيس، إبراهيم. من أسرار اللغة. ط٦. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.

- ٩- الباجي، أبو الوليد. كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج. تحقيق: عبدالمجيد تركي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٠م.
- ١٠- بدوي، عبد الرحمن. مقدمة تحقيقه ل: منطق أرسطو. الكويت: وكالة المطبوعات، بيروت: دار القلم، ١٩٨٠م.
- ١١- أبو البركات، كمال الدين عبدالرحمن بن مُحمَّد الأنباري. - الإغراب في جدل الإغراب. تحقيق سعيد الأفغاني. دمشق: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٧م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين. تحقيق: محيي الدين عبدالحميد. ط٤. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٦١م.
- لمع الأدلة في أصول النحو. تحقيق: سعيد الأفغاني. دمشق: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٧م.
- ١٢- البغدادي، عبدالقادر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق: عبدالسلام هارون. ط٢. القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي، ١٩٨٤م.
- ١٣- البهلول، عبد الله. الحجاج الجدلي: خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية. عمان: كنوز المعرفة، ٢٠١٦م.
- ١٤- الجابري، مُحمَّد عابد. بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. ط٩ (ط١: ١٩٨٦م). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩م.
- ١٥- الجرجاني، علي بن مُحمَّد الشريف. كتاب التعريفات. لبنان: مكتبة بيروت، ١٩٨٥م.
- ١٦- الجويني، عبدالملك. الكافية في الجدل. تحقيق: فوية حسين محمود. القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٧٩م.

- ١٧- الحباشة، صابر. التداولية و الحجاج: مداخل ونصوص. دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م.
- ١٨- حسان، تمام. اللغة بين المعيارية والوصفية. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١م.
- ١٩- حسين، طه. "البيان العربي من الجاحظ إلى عبدالقاهر". من مقدمة كتاب نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر. بيروت: دار الكتب العلمي، ١٩٨٢م.
- ٢٠- الحمالوي، أحمد. شذا العرف في فن الصرف. تحقيق: مُجَّد أحمد قاسم. بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٦م.
- ٢١- الحموي، ياقوت. معجم الأدباء: إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- ٢٢- ابن خلكان، أحمد بن مُجَّد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م.
- ٢٣- الديوب، سمر. الثنائيات الضدية: دراسات في الشعر العربي القديم. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٩م.
- ٢٤- الذبياني، الشماخ بن ضرار. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني. تحقيق: صلاح الدين الهادي. مصر: دار المعارف، ١٩٦٨م.
- ٢٥- الراضي، رشيد. المظاهر اللغوية للحجاج: مدخل إلى الحجاجيات اللسانية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٤م.
- ٢٦- راضي، عبدالحكيم. "الفكر البلاغي في كتاب الخصائص"، مقدمة لكتاب: الخصائص. تحقيق: مُجَّد النجار. القاهرة: سلسلة الذخائر، ٢٠٠٦م.
- ٢٧- ابن رشد، مُجَّد بن أحمد. تلخيص القياس لأرسطو. تحقيق: عبدالرحمن بدوي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨م.
- ٢٨- الريفى، هشام. الحجاج عند أرسطو. ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) أشرف عليه حمادي صمود. تونس: منشورات كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٨م.

- ٢٩- الزبيدي، مُحمَّد بن الحسن. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم. ط٢ (١: ١٩٥٤م). القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣م.
- ٣٠- الزبيدي، وليد أحمد. وآخرون. الموسوعة الميسرة: في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة. بريطانيا: سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، ٢٠٠٣م.
- ٣١- الزماني، كمال. حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي عليه السلام. إريد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م.
- ٣٢- الزيات، أحمد حسن. تاريخ الأدب العربي. القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت.
- ٣٣- أبو زيد، نصر حامد. الاتجاه العقلي في التفسير: دراسة في قضايا المجاز في القرآن عند المعتزلة. ط٤. الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م.
- ٣٤- زيدان، جرجي. تاريخ آداب اللغة العربية. راجعه وعلق عليه: شوقي ضيف. مصر: دار الهلال، د.ت.
- ٣٥- السامرائي، فاضل. ابن جني النحوي. بغداد: دار النذير، ١٩٦٩م. وأصل هذا الكتاب رسالة ماجستير.
- ٣٦- السكاكي، يوسف بن أبي بكر. مفاتيح العلوم. تحقيق: أكرم عثمان يوسف. بغداد: دار الرسالة، ١٩٨٢م.
- ٣٧- سلمان، علي مُحمَّد علي. الحجاج عند البلاغيين العرب. ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية محكمة). مجموعة من المؤلفين. تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي. الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت: دار الروافد الثقافية، ٢٠١٣م.
- ٣٨- سيوييه، عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق: عبدالسلام هارون. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م.
- ٣٩- ابن سيده، علي بن إسماعيل. المخصص. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٦هـ.

٤٠- السيوطي، جلال الدين.

- الاقتراح في علم أصول النحو. تحقيق: محمود سليمان ياقوت.

مصر: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين. تحقيق: محمد أبو الفضل

إبراهيم. ط٢. دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩م.

- صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام. تحقيق: علي سامي

النشار وسعاد علي عبدالرزاق. ط٢ (ط١ ١٩٤٦م). مصر: سلسلة

إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٠م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. القاهرة: دار القدس، ٢٠٠٩م.

- همع الهوامع. تحقيق: عبدالعال سالم مكرم. الكويت: دار البحوث

العلمية، ١٩٧٩م.

٤١- الشهري، عبدالهادي ظافر. آليات الحجاج وأدواته. ضمن كتاب (الحجاج

مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة).

مجموعة من المؤلفين. تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي. الجزائر: ابن النديم

للنشر والتوزيع، بيروت: دار الروافد، ٢٠١٣م.

٤٢- الصالح، صبحي. دراسات في فقه اللغة. بيروت: دار العلم للملايين،

١٩٦٠م.

٤٣- صمود، حمادي. مقدمة: في الخلفية النظرية للمصطلح. ضمن كتاب (أهم

نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) أشرف عليه حمادي

صمود. تونس: منشورات كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٨م.

٤٤- صولة، عبدالله.

- الحجاج في القرآن الكريم: من خلال أهم خصائصه الأسلوبية.

ط٢ (ط١: ٢٠٠١م). بيروت: دار الفارابي، منوبة: منشورات كلية

الآداب والفنون والإنسانيات، تونس: دار المعرفة، ٢٠٠٧م.

- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات. تونس: مسكيلياني للنشر،
٢٠١١م.
- ٤٥- ضيف، شوقي.
- تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني. ط٢. مصر: دار
المعارف، ١٩٧٣م.
- المداس النحوية. ط١٠. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٨م.
- ٤٦- الطنطاوي، مُجَّد. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة. ط٢. القاهرة: دار
المعارف، د.ت.
- ٤٧- عبد الرحمن، طه.
- تجديد المنهج في تقويم التراث. ط٢. الدار البيضاء، بيروت: المركز
الثقافي العربي، د.ت.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء، بيروت: المركز
الثقافي العربي، ١٩٨٧م.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. الدار البيضاء، بيروت: المركز
الثقافي العربي، ١٩٩٨م.
- ٤٨- عبدالعزيز، مُجَّد عديل. التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي: كتاب
الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات
الأنباري ت٥٧٧هـ "نموذجًا". القاهرة: دار البصائر، ٢٠١١م.
- ٤٩- عبد اللطيف، عادل. بلاغة الإقناع في المناظرة. بيروت: منشورات ضفاف،
الجزائر: منشورات الاختلاف، الرباط: دار الأمان، ٢٠١٣م.
- ٥٠- العجاج، رؤية. مجموع أشعار العرب: وهو مشتمل على ديوان رؤية بن
العجاج وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه. تحقيق: وليم بن الورد البروسي.
الكويت: دار ابن قتيبة، د.ت.

٥١- العزاوي، أبو بكر.

- الخطاب والحجاج. بيروت: مؤسسة الرحاب، ٢٠١٠م.

- اللغة والحجاج. الدار البيضاء: العمدة في الطبع، ٢٠٠٦م.

- اللغة والمنطق: مدخل نظري. الرباط: طوب بريس الرباط، ٢٠١٤م.

٥٢- عيد، مُجّد. أصول النحو العربي: في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم

اللغة الحديث. ط ٤ (ط ١: ١٩٧٣م). القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٩م.

٥٣- الغراي، مصطفى. البلاغة والإيديولوجيا: دراسة في أنواع الخطاب النثري

عند ابن قتيبة. عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٥م.

٥٤- القارصي، مُجّد علي. البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار.

ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)

أشرف عليه حمادي صمود. تونس: منشورات كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٨م.

٥٥- قصاب، وليد. التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس

الهجري. الدوحة: دار الثقافة، ١٩٨٥م.

٥٦- القفطي، جمال الدين. إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: مُجّد أبو الفضل

إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م.

٥٧- الكفوي، أبو البقاء. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.

تحقيق: عدنان درويش، ومُجّد المصري. ط ٢. بيروت: مؤسسة الرسالة،

١٩٩٨م.

٥٨- المالقي، أحمد. رصف المباني في شرح حروف المعاني. تحقيق: أحمد الخراط.

دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩٤هـ.

٥٩- المبخوت، شكري. الحجاج في اللغة. ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في

التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) أشرف عليه حمادي صمود. تونس:

منشورات كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٨م.

- ٦٠- المرزوقي، أحمد بن مُحمَّد. شرح ديوان الحماسة. تحقيق: أحمد أمين، وعبد السلام هارون. بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م.
- ٦١- مشبال، مُحمَّد.
- البلاغة والأصول: دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي (نموذج ابن جني). المغرب: دار إفريقيا الشرق، ٢٠٠٧م.
- في بلاغة الحجاج: نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات. عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٧م.
- ٦٢- مصطفى، عادل. المغالطات المنطقية: فصول في المنطق غير الصوري. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.
- ٦٣- الملخ، حسن.
- الحجاج في الدرس النحوي. (الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية محكمة). مجموعة من المؤلفين. تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي. الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت: دار الروافد الثقافية، ٢٠١٣م.
- نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين. عمان: دار الشروق، ٢٠٠٠م.
- ٦٤- ابن منظور، مُحمَّد بن مكرم. لسان العرب. ط٣ (ط١: ١٩٩٠م). بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م.
- ٦٥- الناجح، عز الدين. العوامل الحجاجية في اللغة العربية. صفاقس: مكتبة علاء الدين، ٢٠١١م.
- ٦٦- ابن النديم، مُحمَّد بن إسحاق. الفهرست. تحقيق: إبراهيم رمضان. بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٤م.
- ٦٧- النعيمي، حسام سعيد. ابن جني: عالم العربية. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.

- ٦٨- النويري، مُحمَّد. الأساليب المُغالطية مدخلا في نقد الحجاج. ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) أشرف عليه حمادي صمود. تونس: منشورات كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٨م.
- ٦٩- بنو هاشم، الحسين. نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٤م.
- ٧٠- الوكيل، عبدالرحمن. مقدمة كتاب نقض المنطق لابن تيمية. تحقيق: سليمان الصنيع ومُحمَّد عبدالعزيز. تصحيح: مُحمَّد الفقي. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥١م.
- ٧١- ياقوت، أحمد سليمان. دراسات نحوية في خصائص ابن جني. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.
- ٧٢- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. شرح المفصل. صححه وعلق عليه جماعة من العلماء. مصر: إدارة الطباعة المنيرية، د.ت.

ثالثاً: المراجع الأجنبية المترجمة:

- ٧٣- إيمرن، فرانز فان. وغروتندورست، روب. نظرية نسقية في الحجاج : المقاربة الذريعية الجدلية. ترجمة: عبدالمجيد جحفة. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٦م.
- ٧٤- شارودو، باتريك. الحجاج بين النظرية والأسلوب: عن كتاب نحو المعنى والمبنى. ترجمة أحمد الوديني. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩م.
- ٧٥- شارودو، باتريك. ومنغنو، دومينيك. معجم تحليل الخطاب. ترجمة: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود. مراجعة: صلاح الدين الشريف. تونس: المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، ٢٠٠٨م.
- ٧٦- طاليس، أرسطو. الخطابة: الترجمة العربية القديمة. تحقيق: عبدالرحمن بدوي. بيروت: دار القلم، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م.

- ٧٧- لايكوف، جورج. الاستعارات التي نَحيا بها. ترجمة: عبدالمجيد جحفة. ط٢ (١: ١٩٩٦م). الدار البيضاء: دار توبقال، ٢٠٠٩م.
- ٧٨- ميتز، آدم. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريده. ط٥ (١: ١٩٤٠). بيروت: دار الكتب العربي، د.ت.

رابعاً: الدوريات العلمية:

- ٧٩- الأمين، خلادي محمد. "إعجاز الحوار والحجاج في القصص القرآني". مجلة فصل الخطاب. مج٢، ع٧، سبتمبر ٢٠١٤م.
- ٨٠- الجنابي، سيروان عبد الزهرة. "الاشتقاق عند ابن جني: دراسة تحليلية". مجلة اللغة العربية وآدابها. ع٦، حزيران ٢٠٠٨م.
- ٨١- الراضي، رشيد. "مفهوم الموضوع و الحجاجيات اللسانية لأنسكومير وديكرو". مجلة عالم الفكر. مج٤٠، ع٢، أكتوبر- ديسمبر ٢٠١٢م.
- ٨٢- عوارب، سليم. "نظرية التعليل في النحو العربي عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص". الأثر: مجلة الآداب واللغات. ع٩، مايو ٢٠١٢م.
- ٨٣- عيد، إبراهيم أحمد الشيخ. "ابن جني والأصول النحوية". مجلة جامعة الأقصى. مج١٩، ع٢، يونيو ٢٠١٥م.
- ٨٤- الولي، محمد. "مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان". مجلة عالم الفكر. مج٤٠، ع٢، أكتوبر- ديسمبر ٢٠١١م.

خامساً: المواقع الإلكترونية:

- ٨٥- حمداوي، جميل. نظريات الحجاج. منشورات شبكة الألوكة. [http://www.alukah.net/Books/Files/Book_3719/BookFile](http://www.alukah.net/Books/Files/Book_3719/BookFile/alhgaag.pdf) /alhgaag.pdf . الأحد ٢٠-٦-٢٠١٤هـ.

٨٦- مُجَّد، حمودي. مقالة : "الحِجَاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن: -
مقاربة إستيمولوجية- " <http://www.tahaphilo.com/> . جامعة
مستغانم. الجمعة ٢٢-٤-١٤٣٨هـ.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع	م
١	المقدمة.	٠١
١٣	مدخل: (الحجاج: مقدمة نظرية):	٠٢
١٣	- الهوية العلمية الحديثة للحجاج.	٠٣
١٧	- مفهوم الحجاج.	٠٤
٢٥	- أبرز المنطلقات النظرية للحجاج.	٠٥
٢٨	الفصل الأول: (ابن جني وكتابه الخصائص):	٠٦
٢٩	<u>المبحث الأول: السياق الفكري في القرن الرابع الهجري.</u>	٠٧
٢٩	- الحياة العقلية في القرن الرابع الهجري.	٠٨
٣٥	- موقف العرب من علم المنطق.	٠٩
٤٢	<u>المبحث الثاني: خلفية الحجاج عند ابن جني.</u>	٠١٠
٤٢	- النشأة والتكوين.	٠١١
٥١	- الاعتزال.	٠١٢
٥٧	- مذهبه النحوي.	٠١٣
٦١	<u>المبحث الثالث: الضوابط المنهجية العامة عند ابن جني.</u>	٠١٤
٦١	أولاً: سمات الخطاب الحجاجي في كتابه ابن جني.	٠١٥
٧٠	ثانياً: الضوابط المنهجية العامة عند ابن جني.	٠١٦
٧٨	ثالثاً: السمات الأسلوبية للخطاب الحجاجي في كتاب الخصائص.	٠١٧
٨٥	رابعاً: شكل الحجاج في كتاب الخصائص.	٠١٨
٩٤	الفصل الثاني (أسس الخطاب الحجاجي في كتاب الخصائص):	٠١٩
٩٥	<u>المبحث الأول: الأصول النحوية عند ابن جني.</u>	٠٢٠
٩٦	- أولاً: السماع.	٠٢١

١٠٣	- ثانيًا: القياس.	.٢٢
١١٣	- ثالثًا: الإجماع.	.٢٣
١١٥	- رابعًا: استصحاب الحال.	.٢٤
١١٩	<u>المبحث الثاني: طرق الاستدلال ونقض الحجج في الخصائص.</u>	.٢٥
١١٩	- أولاً: مسالك الاستدلال.	.٢٦
١٢٧	- ثانيًا: مسالك نقض الحجج.	.٢٧
١٣٩	<u>المبحث الثالث: المغالطات الحجاجية في الخصائص.</u>	.٢٨
١٥٧	الفصل الثالث (فحص الحجج في كتاب الخصائص):	.٢٩
١٥٨	<u>المبحث الأول: العلاقة الحجاجية في كتاب الخصائص.</u>	.٣٠
١٥٨	- أولاً: قول الانطلاق.	.٣١
١٦٨	- ثانيًا: قول الوصول.	.٣٢
١٧٠	- ثالثًا: قول العبور.	.٣٣
١٧٦	<u>المبحث الثاني: الجهاز الحجاجي في الخصائص.</u>	.٣٤
١٧٧	- أولاً: الخبر.	.٣٥
١٨٢	- ثانيًا: الحكم.	.٣٦
١٩٠	- ثالثًا: الإقناع.	.٣٧
١٩٧	<u>المبحث الثالث: بعض الآليات الحجاجية في الخصائص.</u>	.٣٨
٢١٥	الخاتمة.	.٣٩
٢١٧	فهرس المصطلحات.	.٤٠
٢٢٠	فهرس المصادر والمراجع.	.٤١
٢٣٢	فهرس الموضوعات.	.٤٢